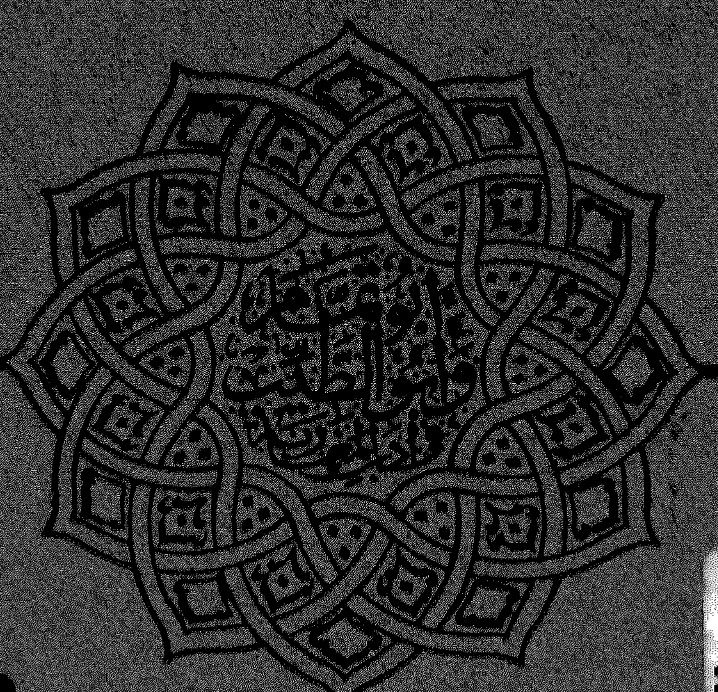
الدكتور محمد ابن شريفة

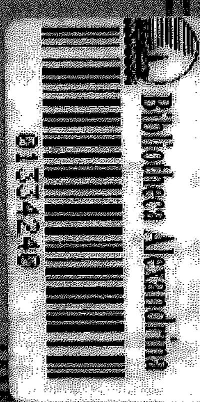
أبو تمام وأبو الطيب

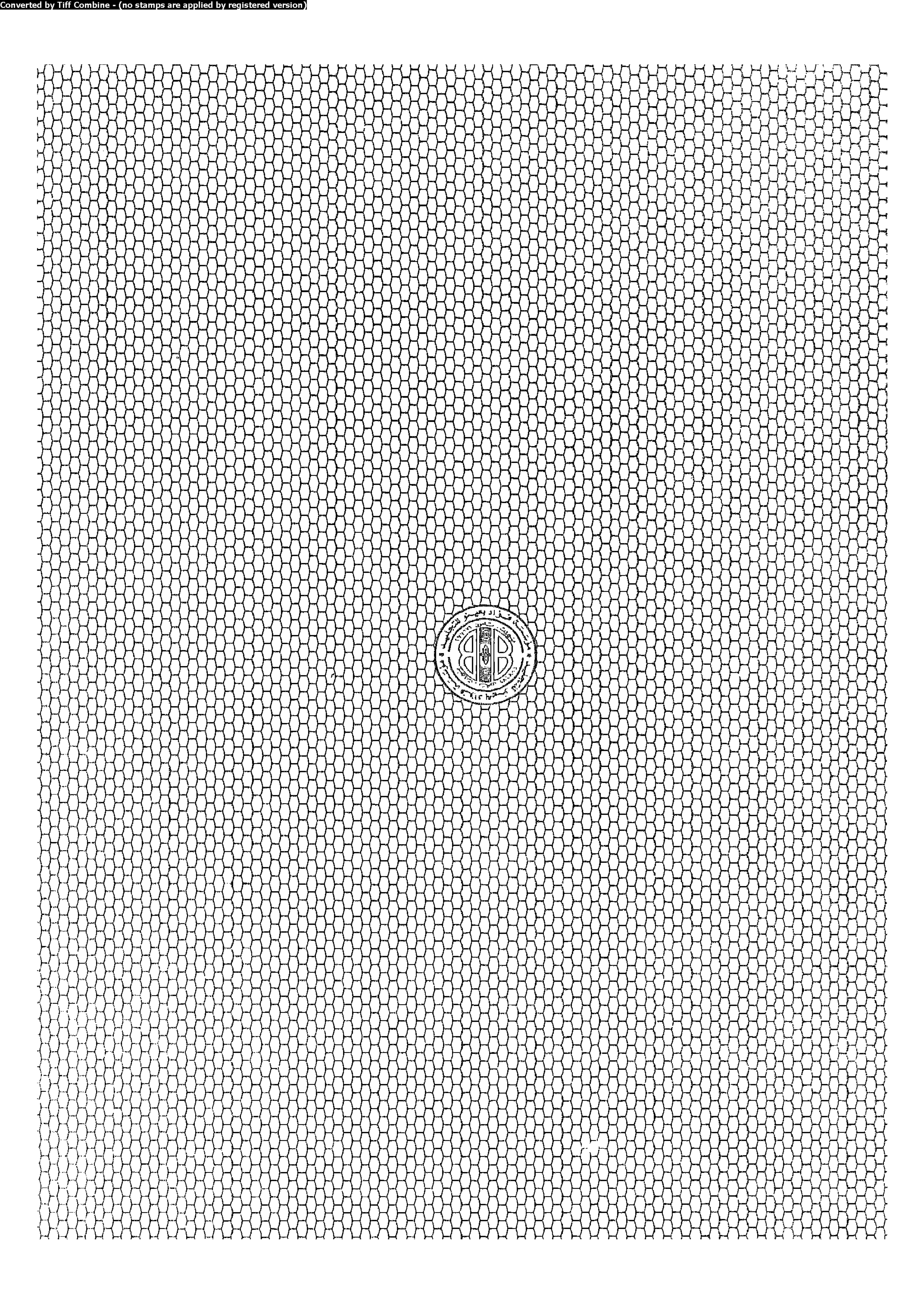
في أدب المغاربة

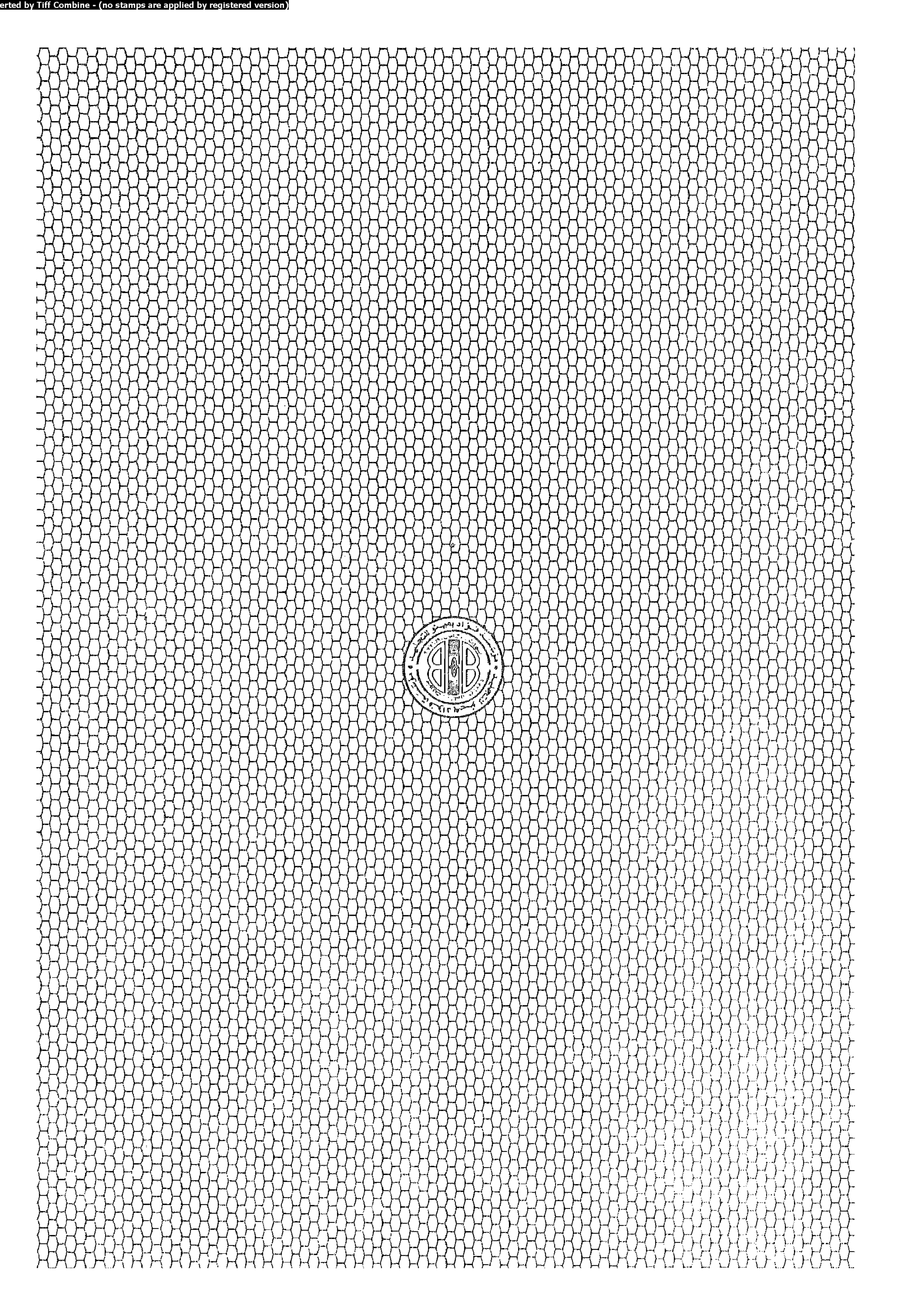




دار الغرب الإسلامي









أبو تمام وأبو الطيب

في أدب المغاربة

الدكتور محمد ابن شريفة



دار الغرب الإسلامي
بيروت

الطبعة الاولى
1986

دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمـــة

يقوم أساس هذا العمل على فقرتين مستلتين من مشروع كتاب حول تاريخ الصلات الثقافية بين مشرق الوطن العربي ومغربه عبر العصور، وهو مشروع قطعت فيه شوطاً لا بأس به، وأرجو أن أنجزه بعون الله في و قت قريب.

وقد رأيت أن أنشر منه قبل إخراجه هاتين الفقرتين حول عناية المغاربة بشاعري العربية الكبيرين الطائي والمتنبي وتأثيرهما في الآداب العربية ببلدان المغرب.

وإنما جمعتهما في قرن بهذا الكتاب لأن أهل المغرب كانوا يطلقون تثنية «الشعرين» على شعر أبي تمام وشعر أبي الطيب، ويقولون في ابن هانىء وابن دراج إنّهما «نظيران لحبيب والمتنبّي»، ولأن بعض الشراح والنقاد القدماء جمعوا بينهما كمؤلف «النظام، في شرح ديواني المتنبي وأبي تمام» ومؤلف «المآخذ الكندية، من المعاني الطائية» ومؤلف «نزهة الأديب، في سرقات المتنبي من حبيب» ومؤلفنا الأندلسي الذي يرد عليهما فيما يبدو في رسالته: «روضة الأديب، في التفضيل بين المتنبي وحبيب».

ثم إن نشر هذه الرسالة الأخيرة في ذيل هذا الكتاب اقتضى الجمع بين الشاعرين والتعريف بمكانتهما عند المغاربة.

وشفعت هذا النص. الذي عثرت عليه وحققته وعرفت بصـاحبه. باختيارات من نسخة ديوان المتنبي السعدية المنصورية، وهي نسخة نفيسة

مقابلة على أصول أندلسية ومغربية عتيقة ذات طرر مأخوذة من «منصف» ابن وكيع في معظمها، وهذه الطرر مفيدة في ترميم «المنصف» وتتميم الناقص منه، وفي هذه النسخة المنصورية أيضاً زيادات على ما في دواوين المتنبي المطبوعة تنشر هنا لأول مرة.

تدور موضوعات هذه الدراسة حول الأسانيد والشروح والآثار النقدية والمعارضات وغيرها من الموضوعات المتعلقة بأبي تمام والمتنبي في الأندلس والمغرب.

وقد جمعت مادة هذه الموضوعات من مختلف المظان المطبوعة والمخطوطة واستعملت مخطوطات لم تكن معروفة من قبل كشرح الأعلم الشنتمري على شعر أبي تمام وشرحه أيضاً على الشعر الذي قاله المتنبي في صباه.

وكشفت عن صاحب «سرقات المتنبي» التي نشرها الشيخ الطاهر ابن عاشور منسوبة إلى ابن بسام، وهي لغيره.

وقد اكتفيت في هذه المحاولة الأولى بجمع المادة وتوثيقها وعرضها لأني أرى أنّهُ لا بد من الفراغ من هذه الأمور قبل الانتقال إلى ما سواها.

وأرجو في الأخير أن يكون في هذا العمل فائدة للدارسين والله الموفق.

الفصل الأول

أبو تمّام في أدب الأندلسيّين والمغاربة



ـ ذكر أبو تمّام الأندلس في شعره مرتين: إحداهما في قصيدته التي مدح بها خالد بن يزيد الشيباني ومطلعها:

يـا موضِـعَ الشدَنيـة الـوجنـاء
ومـصـــارع الأدلاج والإســـراء

وذلك في هذه الأبيات التي يصف فيها تخلّص ممدوحه من عثرته:

قـد كان خـطبٌ عاثـرٌ فأقـالَهُ
رأيُ الخليفَـة كوكب الخُلَفـاء
فخرجتَ منهُ كالشّهاب ولم تَزَلْ
مـذْ كنتَ خَرّاجـاً من الغَمّـاءِ
ما سرّني بِخِداجِها من حجّـةٍ
ما بينَ أندلـسٍ إلى صَنعاء[1]

وذكرها مرة ثانية في قصيدته في مدح المعتصم:

---

(1) ديوان أبي تمام 1 :15 - 16. تحقيق محمد عبده عزام. دار المعارف بمصر. ط. 3.

الحق أبلجُ والسيـوف عــوار
فحذار من أسد العرينِ حَذارِ

وفي هذه القصيدة يشير أبو تمّام إلى سعة رقعة الدولـة العباسيـة فيقول:

فـالصينُ منظومٌ بـأندلسٍ إلَى
حيـطانِ روميـةٍ فَمُلكِ ذمـارِ(2)

وفي كلتا المرتين نراه يعدّها في تخوم الدولة العبّاسية.

أما الأندلس وأهلها فقد عرفوا أبا تمام ووصل إليهم شعره في حياته، وفتنوا به، وشغلوا بفنه وصنعته، وأدرك لديهم من القبول والحظوة ما لم يدركه إلاّ المتنبّي بعد ظهوره.

ويبدو اهتمامهم به من خلال مظاهر مختلفة وفي مستويات متعدّدة:

فعلى مستوى الرواية نجد شعر أبي تمّام ينتشر في الأندلس عبر عددٍ من الطرق والروايات:

منها رواية الرحالة البغدادي أبي اليسر إبراهيم بن أحمد الرياضي الذي جاب بلاد الإسلام شرقاً وغرباً وأدخل إلى أفريقية والأندلس أشعار المحدثين وأخبارهم، ومنها شعر أبي تمّام(3) وقد ظلت روايته لشعر أبي تمام موصولة السند حتى القرن السابع الهجري ونجد هذا السند عنـد الحافظ ابن الأبار على النحو التالي:

(2) المصدر نفسه 2 :209.

(3) تكملة ابن الأبار: 174 (نشر عزت العطار) والترجمة رقم 2262 في ملحق التكملة، ونفح الطيب 3 :134 - 135 تحقيق د. إحسان عباس.

أبـو تـمّـام

↓

أبو اليُسْر الرياضي

↓

عثمان بن الصيقل

↓

غالب بن معمر

↓

تمام بن غالب

↓

حاتم بن محمد

↓

أحمد الخولاني

↓

محمد ابن زرقون

↓

أبو الربيع الكلاعي

↓

ابن الأبّار[4]

ومنها رواية عثمان بن المثنى المؤدب والشاعر القرطبي (ت 273) قال ابن الفرضي في ترجمته: «وقرأ على حبيب بن أوس ديوان شعره وأدخله الأندلس رواية عنه»[5] وقال الزبيدي في الطبقات: «رحل إلى المشرق فلقي

(4) ذكر ابن الأبار هذا السند في ترجمة أبي اليسر إبراهيم وأشار إليه في تـرجمة عثمـان بن الصيقل. التكملة: 174 ورقم 2262 (ملحق).

(5) تاريخ العلماء 1 :346 وبغية الوعاة 2 :136. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

حبيب بن أوس فقرأ عليه شعره وأدخله الأندلس»[6]» وقال ابن سعيد في المغرب: «وذكر أنه رحل ولقي أبا تمام الطائي وأخذ عنه شعره»[7] وعندنا خبر طريف يفصّلُ كيفية آلتقائه بالشاعر، وينص على تكرّر اللقاء، ونسوقه هنا لغرابته نقلاً عن ابن الأبار قال: «حكي أنّ عثمان بن المثنّى جمعه مركبٌ في بحر القلزم (أي البحر الأحمر) مع حبيب بن أوس أبي تمام الطائي فأنشدَه شعره الذي يقول فيه:

اللهُ أكبرُ، جاءَ أكبرُ منْ مَشَى
فتعثّـــرتْ في كُنْهِـــه الأوْهـــامُ

وكانَ هذا البيت مبتدأ الشعر فقال له ابن المثنّى: شعر حسن لولا أنّه لا ابتداء له، فوقذت في نفس حبيب وابتدأ الشعر بقوله:

دمَنٌ ألمَّ بِهـــا فَقـــالَ ســـلامُ
كَمْ حـلَّ عقدةَ صَبْـرِه الإلْمامُ

ثمّ أنشدَهُ في اليوم الثاني الشعر بهذا الابتداء إلى تمامِه، فقال له ابن المثنّى: أنت أشعر الناس، فعظُم في نفس حبيب، ثم لقيه في انصرافه، وحبيب قد عَظُم قدرُه، وجَلّ خطره، فكان يؤثره، ويعرف له فضله وكان أولَ من أدخل شعره، ويقال إن كثيراً من غزلِ حبيب له»[8] وهذا الخبر يصور الصلة بين الرجلين على أنها صلة شاعر بشاعر أو ناقد بشاعر، وهو خبر له أشباه ونظائر كخبر عباس بن ناصح مع أبي نواس وخبر يحيى الغزال مع أدباء بغداد، وخبر سعيد بن أحمد مع بعض أدباء مصر، وخبر القاضي محمد بن عيسى مع أحد أدباء المشرق[9]؛ وتشير هذه الأخبار إلى مواقف

---

(6) طبقات النحويين واللغويين: 288 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(7) المغرب 1 :112 تحقيق د. شوقي ضيف. ط. 1.

(8) تكملة ابن الأبار: 10 - 11.

(9) انظر تفصيل الأخبار المذكورة في طبقات الزبيدي: 284 - 286 ونفح الطيب 2 :260 وتكملة =

بعض الأدباء الأندلسيين تجاه أضرابهم في المشرق وتذكر شيئاً من الحوار الأدبي الذي كان يجري بين الطرفين؛ ولهذا فإننا لا نستبعد ما ورد في الخبر المذكور، ولا نستكثر على ابن المثنى انتقاده أبا تمّام، فقد كانَ أسنّ من الشاعر الطائي[10] ويفهم من الخبر أن ابن المثنّى لم يخرج من الأندلس إلّا بعد أن تمكّن من أدوات الشعر والنقد وتزوّد بحظ جيّد من الأدب، وتجدر الإشارة إلى أن البيت الذي انتقده ابن المثنّى كمطلع انتقده فيما بعد أبو الطاهر السرقسطي[11] وصالح بن شريف الرندي[12]، أما الجزء الأخير من الخبر وهو المذكور بصيغة التمريض والمتعلّق بنسبة كثير من غزل أبي تمّام إلى ابن المثنّى فقد يكون محلّ نظر، ومع ذلك فإن النقاد الأقدمين ـ ومنهم ابن شرف وابن رشيق ـ ذكروا أن أبا تمام كان ضعيفاً في النسيب ولم يكن حسن التغزّل «وإنّما يقع له من ذلك التافه اليسير في خلال القصائد»[13].

وثمة راوية أندلسي آخر لشعر أبي تمام وهو الشاعر الفحل مؤمن بن سعيد الذي لقي أبا تمام ببغداد وأخذ عنه شعره وأدخله الأندلس وكانت له حلقة يقرىء فيها هذا الشعر، وروايته أتمُّ من رواية ابن المثنّى، إذ يبدو أنه أدرك أبا تمّام في آخر حياته، وقد ذكر أنّه لقيه في بغداد[14].

وهناك مؤدّبون أندلسيون آخرون ظهروا بعد هؤلاء المذكورين الذين لقوا أبا تمّام ورووا عنه شعره مباشرة، ومنهم أبو عبدالله محمد ابن

= ابن الأبار: 216 وجذوة المقتبس: 212 تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، والمقتبس 5 :46 نشر شالميتا ومعاونيه.

(10) ولد أبو تمام سنة 192 هـ وتوفي ابن المثنّى سنة 273 عن 99 سنة فهو إذن من مواليد سنة 174 هـ.

(11) المقامات اللزومية: مقامة الشعراء وهي المقامة الثلاثون.

(12) الوافي (مخطوط).

(13) العمدة 2 :119 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ورسالة الانتقاد لابن رشيق.

(14) المغرب 1 :132.

الأصفر القرشي الذي كان له «بصر بمعاني شعر حبيب»[15] وأبو عبدالله الغابي الذي «كان يقرأ عليه شعر حبيب»[16] وأبو العباس وليد الطبيخي شارح شعر أبي تمّام[17]، وقد أخذه عن أبي عبدالله الغابي، ومنهم أيضاً جماعة الأدباء الذين كلفهم عبد الرحمن الناصر بانتساخ شعر حبيب ومنهم محمد بن أرقم وموسى بن محمد الحاجب ومحمد بن يحيى القلفاط وابن فرج البلساري، فهؤلاء الأعلام الذين عنوا بشعر أبي تمّام لا بد أن لهم أسانيد في رواية شعره لم تذكرها كتب التراجم.

وقد بلغ الاهتمام المبكّر بشعر أبي تمّام غايته في عهد عبد الرحمن الناصر الذي كلّف ـ كما أشرنا إلى ذلك آنفاً ـ لجنة من الأدباء بعمل نسخة من ديوانه، وفي طبقات الزبيدي خبر مفصل حول هذا الموضوع يحسن بنا أن نورده برمّته، قال: «ولمّا أمر أمير المؤمنين عبد الرحمن رضي الله عنه بانتساخ شعر حبيب أحضره (يعني محمد بن أرقم) وأحضر جماعة من الأدباء منهم موسى بن محمد الحاجب ومحمد بن يحيى القلفاط وابن فرج المعروف بالبلساري، وكان ابن فرج من أهل العربية، وكان لا يناظر الحُكيّم والقلفاط من أهل الزمان غيره، فشاورهم أي القصائد يقدّم في صدر الكتاب، فقال ابن أرقم: إنّما يفضّل الشعر ويقدّم لغرابته وحسن معناه، وشعره الذي فيه وصف القلم لم يتقدّمه عليه متقدّم ولا لَحِقه فيه متأخّر؛ فدفعوا جميعاً عليه، وقالوا: الوضيع يتعصّبُ للوضيع ـ يعنون ابن الزيات ـ فأخجلوه، فبينما هم كذلك إذ استؤذن لأبي عبدالله الغابي فأُذن له، فلمّا استوى في المقعد سُئل عما جرى من القول، فقال: أخبرني أبو الحسن المُغَنّي[18] أن أهل بغداد لا يفضّلون على شعره اللاّمي الذي ذكر

(15) طبقات الزبيدي: 328.

(16) المصدر نفسه: 315.

(17) المصدر نفسه: 328.

(18) يبدو أن المقصود به علي بن نافع الملقب بزرياب، وعلى هذا الأساس يعتبر هو أيضاً من

فيه القلم شيئاً لغرابة معناه، ولم يكن الغابي يعلم شيئاً من اختلافهم في ذلك، وإنّما سُئل عمّا يجب تقديمه، فاستطال ابنَ أرقم على أصحابِهِ فقال: مثلي مع هؤلاء ما قاله حبيب:

كِلابٌ أغارتْ في فَريسَة ضَيْغَم
طروقاً وهامٌ أطعمتْ صيدَ أجدلا

وإنّما يغمّني أن أكونَ في بلدٍ يتحكّم علي فيه من لا يعرفُ ما أقول». وهذه نسخة قديمة من شعر أبي تمّام جمعت من المحفوظ والمكتوب الذي كان بين يدي أدباء الأندلس يومئذ من هذا الشعر، وقد نظر في ترتيبها إلى جودة القصائد ودرجاتها في الجودة، ولم ترتب على الحروف أو الأغراض.

وبعدَ قليل من التاريخ الذي جمعت فيه هذه النسخة دخل أبو علي القالي الأندلس، وأدخل معه ـ فيما أدخل ـ شعر أبي تمّام في صورتين: إحداهما قراطيس ذكر أنها بخط يد أبي تمّام، والأخرى ما قيده أبو علي من شعر أبي تمّام في سفر الكاغد الذي قرأ فيه على أبي محمّد عبدالله بن جعفر بن درستويه. وهكذا كان ما أدخله أبو علي أتمّ ما دخل من شعر أبي تمّام إلى الأندلس، وقد غطت روايته على الروايات السابقة عليها واعتمدها رواة الأندلس والمغرب كما سنرى فيما بعد، ونسخة أبي علي غير مرتبة على الحروف كذلك، وقد نقل عن أصلها نسخ متعددة توجد مخطوطاتها في الأسكوريال بإسبانيا والخزانة الحسنية وغيرها[19] بالمغرب، ولعل من

= نقلة شعر أبي تمام إلى الأندلس؛ وانظر تراجم الأعلام المذكورين في الخبر في طبقات الزبيدي وتاريخ العلماء لابن الفرضي والمغرب لابن سعيد.

(19) تحدّث عن نسخة الاسكوريال محقق الديوان الأستاذ محمد عبده عزّام، وفي الخزانة الحسنية نسخ متعددة يبدو أنها فروع من نسخة الاسكوريال ومنها النسخة التي تحمل رقم 548 م وقد فرغ من نسخها «في التاسع من ذي القعدة سنة خمس وسبعين وتسعمائة» والنسخة رقم 5512 وتاريخ نسخها 1129 هـ. وفيها أيضاً نسخ متعددة برواية الصولي.

المفيد أن نثبت هاهنا نص الكلمة التي توجد في آخر نسخة الأسكوريال وبعض نسخ الخزانة الحسنية بالرباط، وهي هذه:

«وجد في الأصل المكتوب منه هذا ما نصه:

كتبه لنفسه بخط يده علي بن محمد بن عيسى القيسي[20] نفعه الله به، استنسخه من كتاب الشيخ الأجل الوزير الأستاذ أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكرياء الزهـري المعروف بـابن الأفليلي المكتوب بخط يـده المنقول من القراطيس التي اجتلبها أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي وذكر أنها بخط يد أبي تمّام حبيب بن أوس الطائي. ووجدت أيضاً فيه ما نصّه:

«وألفيت في آخر الأصل المذكور بخط الشيخ الأستاذ أبي القاسم المذكور رحمه الله؛ كمل في هذا السفر جميع ما تضمنته القراطيس التي اجتلبها أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي من شعر أبي تمّام حبيب بن أوس الطائي، وذكر أبو علي أنها بخط يد أبي تمّام واستقرت عند صاحب الشرطة الكاتب أبي القاسم بن سـيد[21] وصارت إلي من جهته؛ وكذلك كمل فيه جميع ما قيده أبو علي من شعر أبي تمّام في سفر الكاغد الذي قرئ فيه على أبي محمّد عبدالله بن جعفر بن درستويه[22] وأقرأه ذلك رواية عن علي بن مهدي الكسروي[23] عن أبي تمّام حبيب بن أوس، واستقرّ

---

(20) في الذيل والتكملة هذه الترجمة القصيرة (5) «علي بن محمد بن عيسى: بطليوسي أبذي الأصل؛ روى عن أبي محمد بن عتاب». ويبدو من تـوافق الاسم ومن تاريـخ نسخة الاسكوريال التي انتسخها المذكور لنفسه وهو سنة 556 هـ ومن روايته عن ابن عتاب المتوفى سنة 531 هـ أن هذا الناسخ هو صاحب الترجمة المذكورة.

(21) له ترجمة في جذوة المقتبس: 110، 381 وبغية الملتمس: 170، 538 والصلة 1: 14 ومعجم الأدباء 2 :203 وإنباه الرواة 1 :30 وبغية الوعاة 1 :291.

(22) انظر في ابن درستويه دراسة الأستاذ عبدالله الجبوري.

(23) وقع تحريف في اسمه في فهرسة ابن خير، وله ترجمة في بغية الوعاة 2 :208 ومعجم الأدباء 15 .88.

السفر المذكور عند الحاجب جعفر بن عثمـان[24] وصارَ من جهتـه إلى صاحب الشرطة الكاتب أبي حفص بن مضاء[25] واستعرته من ابنه، وأضفت إلى ذلك ما ألفيته زائداً في الكتب التي استقرت بخطّ أبي علي وروايته في خزانة المنصور أبي عامر محمد بن أبي عـامر[26]؛ وأخـرج إلى الكتب المذكورة أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف[26م]، رحم الله جميع المذكـورين وعفا عنهم وأضفت إلى مـا نقلته من الأصـول المذكورة ما ألفيته زائداً في رواية محمد بن يحيى الصولي ممّا أشبه ما تقدّم في حسن الصناعة واختيار الألفاظ. والحمد لله على عونه وجميل تأييده كثيراً كما هو أهله وصلى الله على محمّد وسلّم.

أللهم اجعله دعاءً نافعاً وسعياً مشكوراً.

نقلته كما ألفيته في الأصل المذكور حرفاً بحرف»[27].

أثبتنا هذا النص بكامله لدلالاته المتعددة على عناية الأندلسيين بشعر أبي تمّام وجهودهم في توثيقه وجمعه.

إن هذه النسخة التي أصَّلَها أبو علي القالي ووثّقها بعده بمدّة ابن الأفليلي هي التي انتشرت في الأندلس والمغرب وتوجد منها مخطوطات متعددة إلى اليوم في المغرب، وعلى أساسها وضع الأعلم الشنتمري شرحه كما سنذكر ذلك فيما بعد.

---

(24) هو الوزير الحاجب المعروف بابن المصحفي، وترجمته وأخباره في المطمح والذخيـرة والحلة السيراء والمعجب والبيان المغرب ونفح الطيب.

(25) بيت بني مضاء مشهور في قرطبة، ولكن يبدو أن المقصود هنا هو أبو حفص عمر بن يوسف بن محمد بن مضاء الملقب بالحيطي، فهـو الذي كان معنياً بشعر أبي تمام.

(26) كان المنصور من تلاميذ أبي علي القالي. انظر البيان المغرب 2 :357 والحلة السيراء 1:268.

(26م) ترجمة ابن العريف في تاريخ العلماء لابن القراضي 1 :134 - 135 وكان مؤدّبـاً لأولاد المنصور ومقرباً منه.

(27) نقلت هذا النص من مخطوط الخزانة الحسنية رقم 584 وهو موجود أيضاً في نسخ أخرى بالخزانة المذكورة، وأصله في نسخة الاسكوريال.

2 ـ وعلى مستوى الإقراء والتدريس تزوّدنا كتب الطبقات بأسماء جماعة من المؤدبين اشتغلوا بتدريس شعر أبي تمّام وإقرائه في الأندلس، فمنهم أبو عبدالله الغابي، قال الزبيدي:

«كان يقرأ عليه شعر حبيب»[28].

ومنهم محمد بن عبدالله المعروف بابن الأصفر، وكانَ لَهُ فيما يقول الزبيدي: «بصر بمعاني شعر حبيب وغيره من أشعار المحدثين»[29].

ولعلّ أشهر حلقة قُرِىء فيها شعر أبي تمام في الأندلس قديماً هي حلقة مؤمن بن سعيد (ت 267هـ).

وقد وصلت إلينا بعض أصداء هذه الحلقة، ويبدو أنها لم تكن تخلو من طبيعة التنكيت وروح التندّر الذي كان غالباً عليه.

قال ابن سعيد في المغرب: «وقرأ عليه يوماً أحد المتعلّمين قول حبيب:

أرض خلعتُ اللهوَ خلعي خَاتَمي
فيها وطلقتُ السّرور ثلاثا

فقال له: «من سرور هذه أصلحك الله؟ فقال هي امرأة حبيب؛ وقد رأيتها ببغداد»[30].

ومن الواضح أن مؤمن بن سعيد ضاق ذرعاً بسؤال تلميذه الذي لا يفرق بين الحقيقة والمجاز فاستغباه وتهكّم عليه بهذا الجواب، ولست أدري كيف لم ينتبه صديقنا الدكتور محمود مكي إلى مسحة المزح على كلام

(28) طبقات الزبيدي: 315.
(29) المصدر نفسه: 328.
(30) المغرب 1: 132.

الشاعر مؤمن فحمله محمل الجد وقال في رسالته الجامعية المنشورة بالإسبانية (ص 243):

«También el poeta cordobés Mu'min IBN sa'id estudiò Con Abu Tammàm su poeséa y, ademàs de introducirla en Espana, La explicaba y Comentaba a sus discipulos, aunque sus Comentarios no eran del todo exactos, a jazgar por alguno de ellos, conservado por Ibn Sa'id».

أي «وكذلك الشاعر القرطبي مؤمن بن سعيد درس على أبي تمّام شعره، وأدخله إلى الأندلس وكان يشرحه لطلابه، ولو أن شروحه لم تكن بكامل الدقّة إذا حكمنا عليها من خلال بعضها كما جاءت عند ابن سعيد» والذي جاء عند ابن سعيد في المغرب هو النادرة المذكورة آنفاً.

وأمثال هذه النادرة أمرٌ معهود في حلقات الدروس ومجالس الإقراء والإملاء عند الأندلسيين، فقد حكى ابن سعيد أن الأستاذ النحوي الأديب هذيل الأشبيلي وَصل إليه طالب متخلّف ليقرأ عليه، فكان أول ما قرأ عليه بيت كثيّر:

حيتك عزّةُ بعْدَ الهجْرِ وانصرفَتْ
فحيّـي ويْحَكِ مَنْ حَيّاكِ يا جُمَلُ

فصحّفه وقال: جئتك عرة، فقال الشيخ: وكذلك بالله ترجع يا ولدي ولو قريت سنة فأضحك الحاضرين. وقال له يوماً: يا أستاذ، ما الْكَمَوْج؟ فقال: وأين رأيت هذه اللفظة؟ قال: في قول امرىء القيس:

وليلٍ كَمَوْجِ البحْرِ أرْخى سُدولَهُ

فقال: نعم، الكموج: دويبة من دواب البر تحمل الكتب ولا تعلم ما فيها.

وكان يقرأ عليه طالب من البربر، جعد الشعر، قبيح الوجه، فوقف يوماً على: ﴿قل إن كان للرحمن ولدٌ فأنا...﴾ فقال: لأي شيءٍ بالله، ألِحُسن وجهك وطيب شعرك؟ عيسى ابن مريم لم يعلم لأصحابه ذلك فكيف أنت[31].

وقد سئل الأستاذ الدّباج في حلقة شعر المتنبي سؤالاً شبيهاً بسؤال تلميذ الأستاذ مؤمن فأجاب عنه بجواب لطيف فيه لـذع النادرة وإصـابة المعنى، قال ابن سعيد أيضاً:

«كان أحد المتطلّبين الأعيان كثيراً ما يلزم مجلسه (الدباج) لغرض كانَ لَه في بعض القوم فدخل على غفلة فرفع الأستاذ رأسه وقال: ارجع إنه ما جاء اليوم، فخجل وعاد علي ومنعه ذلك من مخالطة الصبيّ ومجالسته ثم لم تمر إلا أيام حتى قرىء بمجلس الأستاذ قول المتنبي:

وقَدْ طَرَقْتُ فتاةَ الحيّ مُرْتـدِياً
بصاحبٍ غَيْرِ عِزْهـاةٍ ولا غَزِلِ

فقال ذلك الخجل المتجنّب: سيدي، ما ٱلْعِزْهاة؟ فقال الأستاذ: العزهاةُ من ينفرُ عن محبوبه ولا يعودُ إليه. فقال: يا أستاذ ما أدري ما أعمل، إن أقمت عتبت، وإن تغيبت عَيّرت، فضحك الأستاذ، وقال ما معناه: لولا هذه السرائر، ما حفظت النوادر»[32].

هكذا كانت حلقات الإقراء لشعر أبي تمّام والمتنبي في مساجد قرطبة وإشبيلية وغيرها ومن هذه الحلقات كان يتخرج الشعراء والكتّاب والأدباء والعلماء.

بعد مؤمن بن سعيد وفد على الأندلس أبو علي القالي، وكان ممّا جلبه من الدواوين ديوان أبي تمّام، وقد أقرأه فيما أقرأ في حلقته الكبيرة في

(31) المغرب 1 :266 والغصون اليانعة: 69 - 70.

(32) اختصار القدح المعلّى: 155 تحقيق الأبياري.

جامع مدينة الزهراء الملكية[33]، وحمل هذه الرواية أبو القاسم أحمد بن أبان ثم تلقّفها أبو القاسم إبراهيم بن محمد المعروف بابن الإفليلي فنشر سندَها بواسطة تلاميذه، وكلّهم ظهروا في عصر الطوائف.

ولعل أشهر هؤلاء هو الأعلم الشنتمري أكبر شارح أندلسي وصاحب أوسع حلقة أدبية في مملكة بني عبّاد، ويذكر بعض تلاميـذه بخصوص تدريسه «الشعرين» أنه كان يستمرّ في إقراء شعر أبي تمـام في رمضان ويتوقف فيه عن تدريس شعر أبي الطيب[34]، ولم يكتف الأعلم بالتفسير الشفوي وإنما شفعه بالشرح المدوّن لكلا الشعرين، واطلاق الشعرين هكذا كان عندهم ينصرف إلى شعر أبي تمام وشعر أبي الطيب[34م].

ومثل الأعلم نظيره أبو مروان عبد الملك ابن سراج الذي قال فيه ابن بسام: «لم ير مثله قبله ولا يرى بعده»[35].

ولدينا فكرة مجملة عن حلقته القرطبية في «الشعرين»، فقد كان لا يقرىء من شعر أبي تمّام في المجلس الواحد إلا ثلاثة أبيات، بينما كان يقرىء من شعر أبي الطيب خمسة أبيات في المجلس[36].

وإذا كان الأعلم الشنتمري قد أدرك حظوة كبيرة عند بني عبّاد حتى غدا كما يقول ابن سام: «زعيم البلد، واستاذ ولد المعتمد» فإن ابن سراج كان متكئاً على عصبية قومه وأهل بلده، «وكان بين الأستاذين أبي الحجاج وأبي مروان بن سراج ما يكون بين فحلين في هجمة، وزعيمين من أمّة، فاتفق أن كتب ابن سراج إلى المعتمد بشطرٍ بائي من بحر الوافر يمدحه

(33) فهرسة ابن خير: 325.

(34) انظر روضة الأديب لابن لبال الشريشي في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(34م) انظر فهرسة ابن خير: 402.

(35) انظر ذخيرة ابن بسّام ق 1 م 2: 811 وترجمته في قلائد العقيان ومطمح الأنفس وصلة ابن بشكوال والمغرب وإنباه الرواة وبغية الوعاة والديباج المذهب، وخريدة القصر.

(36) روضة الأديب لابن لبال في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

فيه، وكأنه ـ زعموا ـ عرض بقرنه ومباريه، وأعلم بذلك الأعلم، فصمت عن جوابه وأحجم»[36م] ووقعت بين الرجلين أيضاً خصومة حول الرسالة الرشيدية، ولعل في هذا كله صورة لما كان يقع في حلقتيهما من خصومة حول شعر أبي تمّام وغيره.

وثالث الفرسان من أصحاب ابن الأفليلي هُوَ أبو تميم العز بن محمّد بن بقنّه[37]، وهو عدوي مغربي استوطن قرطبة وأخذ عن ابن الإفليلي كثيراً من كتب اللغة والآداب، وكان حافظاً لهما مقدّما في معرفتهما، وقد أخذ الناس عنه في حلقته بقرطبة، ومن جملة ما أخذوا عنه شعر أبي تمام.

ومن تلاميذ ابن الإفليلي الذين رووا عنه شعر أبي تمام أبو بكر خازم ابن محمد بن خازم القرطبي، كان «وافر الأدب وهو كان الأغلب عليه، وله تصرّفٌ في اللغة وقول الشعر» وكان زميله أبو مروان ابن سراج المذكور آنفاً يتكلّم فيه ويضعّفه، ولكن هذا لم يمنع الناس من الرواية عنه والسماع منه[38]. وممن روى عنه شعر أبي تمّام أبو الحسن علي ابن حنين القرطبي مستوطن فاس الذي بنى بها مسجداً ودرّس فيه ستاً وستين سنة[39]، وقد استمر سند روايته عن شيخه خازم عن ابن الأفليلي مروياً حتى القرن الحادي عشر الهجري[40].

ومن حلقات شعر أبي تمّام في غير قرطبة وإشبيلية على هذا العهد ـ عهد الطوائف ـ حلقة أبي الوليد ابن ضابط في بطليوس قال ابن الأبّار:

(36م) الذخيرة ق 2 م 1 :474 وانظر في المسألة الرشيدية أحكام صنعة الكلام: 68.

(37) ترجمته في الصلة: 429 والذيل والتكملة 5 :144 وقال فيه: العز بن أحمد بن هارون، وقال ابن خير: العز بن محمد بن أبي موسى بقنة.

(38) ترجمته في الصلة: 178.

(39) الذيل والتكملة: 5 :150 - 153 والتكملة رقم 1885 وجذوة الاقتباس رقم 539 وصلة الصلة: 102 وسلوة الأنفاس 1 :349.

(40) برنامج المنتوري وإجازة عبد القادر الفاسي وكلاهما مخطوط.

«ووقفت على الأخذ عنه لشعر حبيب»، وابن ضابط البطليوسي له «كتاب الآداب»، وقد تخرج من حلقته في بطليوس الشاعر الأديب ابن عبدون، وكان من المؤدّبين الذين يرعون المواهب الشعرية المبكرة، فمن ذلك أنه قال مرة يختبر تلميذه النجيب المذكور ويدعوه إلى الاجازة:

الشِّعرُ خُطَّةُ خَسْفِ

فأكمل قائلاً:

لِكلِّ طالبِ عُرفِ
لِلشّيخِ عَيْبةُ عَيْبِ
ولِلْفَتى ظَرْفُ ظَرْفِ[41]

وفي بطليوس كان محمد بن رزق الله أحد شراح شعر أبي تمام الذين سنتحدّث عنهم بعد قليل.

وكانت في المرية لهذا العصر حلقة يدرّس فيها الأديب أبو الأصبغ عبد العزيز الجهني شعر الطائي، قال ابن الأبّار «أخذ عنه الوزير أبو جعفر أحمد بن عباس، وسمع منه شعر حبيب، قرأت ذلك بخط أبي جعفر». والوزير المذكور هو صاحب الأخبار الغريبة المذكورة في الذخيرة وغيرها[42].

وقد بلغت حلقات «الشعرين» ذروتها خلال القرنين السادس والسابع في قرطبة واشبيلية وبلنسية، فابن خير الفاسي الإشبيلي (ق6) على سبيل المثال يروي شعر أبي تمّام من طرقٍ ثلاثٍ أولها هكذا:

---

(41) تكملة ابن الأبار: 407 ونفح الطيب 3: 397 - 398.

(42) ترجمة عبد العزيز الجهني في التكملة رقم 1737 وأخبار الوزير ابن عباس في الذخيرة والتبيان والإحاطة ونفح الطيب وغيرها.

أبـو تـمّـام

↓

علي بن مهدي الكسروي

↓

ابن درستويه

↓

أبو علي القالي

↓

أحمد بن أبان

↓

ابن الأفليلي

↓

عبد الملك بن سراج

↓

جعفر بن محمد بن مكي

↓

ابن خيـر

أبـو تـمّـام

↓

علي بن مهدي الكسروي

↓

ابن درستويه

↓

أبو علي القالي

↓

أحمد بن أبان

↓

ابن الأفليلي

↓

الأعلم الشنتمري

↓

أبو بكر محمد بن عبد الغني ابن فندله

↓

ابن خير

وثالثها:

أبـو تـمّـام

↓

علي بن مهدي الكسروي

↓

ابن درستويه

↓

أبو علي القالي

↓

أحمد بن أبان

↓

ابن الأفليلي

↓

العز بن بقّنه

↓

أبو عبد الله ابن أبي الخصال

↓

ابن خير[43]

(43) فهرسة ابن خير: 402 - 403.

ومن الحلقات الإشبيلية في هذا القرن السادس الهجري حلقة الأديب النحوي الشاعر أبي العباس أحمد بن علي الإشبيلي المنبوز باللص، لقبه بذلك قرينه الأديب الشاعر أبو بكر الأبيض في صغره لإغارته بزعمه على الأشعار فغلب عليه، وهو يروي شعر أبي تمام حسب السند الآتي:

أبـو تـمّـام

↓

علي بن مهدي الكسروي

↓

ابن درستويه

↓

القـالـي

↓

أحمد بن أبان

↓

ابن الأفليلي

↓

الأعلم الشنتمري

↓

ابن فندلة

↓

أبو العباس اللص

وقد ذكر ابن الأبّار أنه «كان يقرأ عليه شعر أبي تمام حبيب بن أوس رحمه الله»(44) وممن رواه عنه أبو العباس الجراوي.

أما في القرن السابع فلعّل أشهر حلقة «للشُّعْرين» في قرطبة هي حلقة أبي جعفر الحميري الوَزَغي «آخر من انتهى إليه علم الآداب بالأندلس» حسب عبارة عبد الواحد المراكشي الذي درس عليه وقال فيه: «ما رأيت أروى لشعر قديم ولا حديث ولا أذكر لحكاية تتعلق بأدب أو مثل سائر أو بيت نادر أو سجعة مستحسنة منه»(45).

وقد تخرج به كثير منهم ولده عصام وعبد الواحد المراكشي مؤلف المعجب وأبو عبدالله الحميري الاستجي الذي ستأتي الإشارة إليه في شراح المتنبي. ولم تكن طريقة هذا الشيخ تقتصر على ما يتعلق بشعر حبيب أو المتنبي وإنما كان يستمع في خلال ذلك إلى محاولات طلبته الشعرية مصلحاً تارة ومستحسناً تارة أخرى. كما يبدو من قصّة ولده عصام وعبد الواحد المراكشي، وقال تلميذه وقريبه الحميري: «وكان على شاخته رحمه الله ثابت الذهن مقبل الخاطر، حافظاً ألمعياً: -

يــروعُ رَكـانــةً ويـذوبُ ظَــرْفــاً
فمـا تـدري أشيــخٌ أم غـلامُ(46)

نأتيه بمقاطيع الشعر فيصلحها لنا ويقف على ما نستحسنه منها فنجده أثبت منّا».

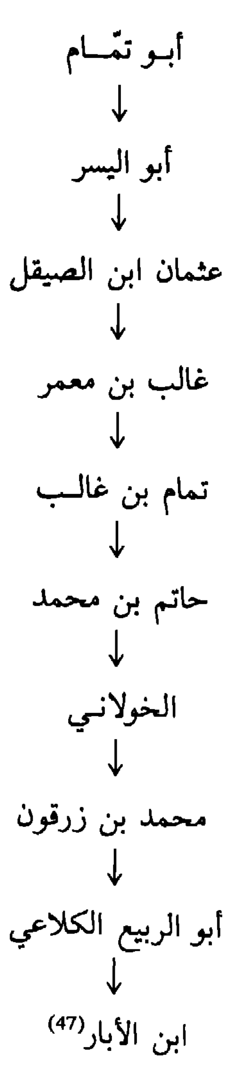
وفي هذا القرن السابع كانت حلقة أبي الربيع الكلاعي في بلنسية وقد درس في هذه الحلقة الأدبية شعر أبي تمام، وممن رواه على ذلكم

(44) ترجمته في التكملة: 80 والذيل والتكملة 1: وبغية الوعاة 1: 344 ونفح الطيب 4: 112 و 193 وما بعدها، وراجع كذلك المغرب والمطرب.

(45) المعجب: 300 - 304 ط. القاهرة 1949 م.

(46) الإحاطة 2: 315 والمعجب: 302 - 303.

الشيخ المجاهد الشهيد أدباء كبار من طبقة ابن عميرة المخزومي وحازم القرطاجني وابن الأبار، وفيما يلي سند هذا الأخير في شعر أبي تمام رواية عن شيخه الكلاعي :



واشتهرت بإشبيلية في هذا القرن حلقات متعددة كان يدرس فيها شعر

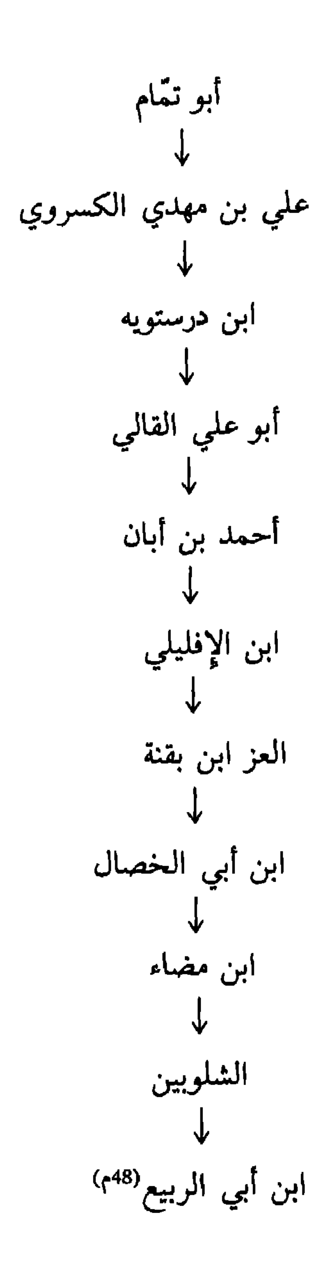
---

(47) التكملة : 174 .

حبيب، منها حلقات الدبّاج وأبي علي الشلوبين وأبي بكر محمد بن طلحة الأموي، فأما الدبّاج فقد مرت الإشارة إلى حلقته، وأمّا الشلوبين فكان معاصر الدباج ومنافسه، ولكنه فاقه شهرة، وكان ـ فيما يذكر ـ ابن سعيد ـ يدرس العربيـة وآدابها بلهجـة أندلسيـة منحرفـة عن أوضاع النحـو تثير الضحك، وكان يحتد عند المناقشة فيخرج عن طوره قـالَ ابنُ سعيد: «واتفق له مع ابن الصابوني الشاعر الحكاية المشهورة، وذلك أن الشاعر المذكور كان يلقّب بالحمار ويغتاظ من ذلك، فبينما هو ذات يوم يقرأ عليه كتاب «الإيضاح» إذ مرت مسألة «السمن منوان بدرهم» وتشعّبت المذاكرة إلى أن اغتاظ الأستاذ عليه. فزحف إليه من صدر مجلسه وقال له: يا حمار، يا حمارين، وجعل يصعد هكذا شيئاً فشيئاً إلى أن قال له: يا مائة ألف حمار! يا ملء الأرض حميراً؛ ثمّ جعل إصبعه في أذنيه ونهق وهو يزحف إليه، واجتمعت العامة على باب المسجد، وكانت حالة مضحكة» لقد كان هذا الأستاذ الشعبي ولد الخباز طويل اللسان ذا حكايات مضحكة ولكنه كان في تدريس دواوين الشعر كديوان أبي تمام وديوان أبي الطيب وأمهات الأدب كالكامل وغيره «كالعارض الصيب»، أما تلميذه المذكور فقد أصبح شاعر إشبيلية بل شاعر الأندلس الأول في عصره[48]، ومن أشهر تلاميذ الشلوبين ـ وهم كثر ـ ابن أبي الربيع الإشبيلي مستوطن سبتة، ويهمنا هنا أن نورد سنده في شعر أبي تمّام رواية عن الشلوبين:

---

(48) انظر فيما ذكرناه: اختصار القدح المعلى: 152 - 154 وكذلك ص 69 وما بعدها.



(48م) برنامج ابن أبي الربيع لابن الشاط. تحقيق د. عبد العزيز الأهواني. مجلة معهد المخطوطات العربية.

وأمّا أبو بكر محمد بن طلحة الأموي فقد درّس العربيـة والآداب بإشبيلية أزيد من خمسين سنة، وممّا كان يدَرّس في حلقته «شعر حبيب» وممن رواه في هـذه الحلقـة أبـو الحسن الـرعيني صـاحب الـبرنـامـج المعروف[49].

والواقع أن قاعدة رواية شعر أبي تمّام ودراسته اتسعت في هذا القرن وما بعده، ويطول أمر تتبّعها في مختلف فروعها في الأندلس والمغرب، فلنكتف بهذا القدر.

وقد تخرج بالشلوبين والدباج وأبي الربيع الكلاعي عدد من أهل الأدب أشهرهم ابن سعيد العمّاري وابن عميرة وابن الأبار وحازم القرطاجني وأبو جعفر اللبلي، ومن طريق هؤلاء ومعهم انتقل السند الأندلسي إلى بجاية في المغرب الأوسط، وتونس في المغرب الأدنى، وقد نصّ ابن خلدون في المقدمة على أن سند أهل أفريقية الحفصية «متصل بمشيخة الأندلس الذين أجازوا عند تغلّب النصارى على شرق الأندلس واستقروا بتـونس وعنهم أخذ ولدانهـم»[49م]. وهكذا نجـد الغبريني مؤلف عنـوان الدّراية (ق. 7) يقرأ في بجاية علي أبي عبدالله محمد بن الحسن القلعي «قصائد متخيرات من شعر حبيب ومن شعر المتنبّي»[50] ونراه يشير إلى مجلس أبي الحجاج يوسف بن يخلف الجزائري (ق 7) الذي كان «يعرب فيه شعر حبيب والمتنبّي»[51].

وتمثل ذلك في بيئة أدبية جيدة في كلٍّ من وتونس وبجاية خلال القرن السابع، وهي بيئة تميزت باعتماد الأصول والتعلق بالفحول مثل أبي تمام والمتنبي، يقول الغبريني:

---

(49) برنامج الرعيني: 79 - 80 تحقيق إبراهيم شبوح.

(49م) مقدمة ابن خلدون: 1361 تحقيق د. علي عبد الواحد وافي. ط. 2.

(50) عنوان الدراية: 40 المطبعة الثعالبية 1910.

(51) المصدر نفسه: 47.

«وكان (أبو عبدالله التميمي القلعي) يسلك في شعره على طـريق حبيب بن أوس، وكان صاحبه أبو عبدالله الجزائري يسلك في شعره سلوك المتنبي، وكانا يتراسلان الأشعار، يجاوب كـل واحدٍ منهمـا الآخر على طريقته، فكان الأستاذ (القلعي) رحمه الله ينحو نحو حبيب، والأديب أبو عبدالله الجزائري ينحو نحو المتنبي، ولولا الإطالة لأتيت من شعر كل واحدٍ منهما بما يستظرف معناه ويروق محياه»[52].

ولو وصل إلينا شعر هذين الرجلين لعرفنا مستوى تأثرهما بطريقتي شاعري العربية الكبيرين.

ونحن نلمح بالفعل شيئاً من تأثر القلعي ببناء القصيدة التّمامية من خلال النموذجين اللذين أوردهما الغبريني، ولا سيما قصيدته التي مطلعها:

الخبْرُ أصدقُ في المرْأى من الخَبَر
فمهّد العذر، ليس العينُ كالأثر[53]

فهي وإن كـانت ـعلى ما فهمت ـ معـارضة لقصيـدة ابن عبدون المشهورة:

الـدهرُ يفجـعُ بعدَ العينِ بـالأثَـرِ
فما البكاءُ على الأشباحِ والصّوَرِ

إلاّ أن المطلع من حيث طريقة بناء جمله الشعرية أوثق اتصالاً وأقرب احتذاء إلى مطلع العمّورية:

السيفُ أصـدقُ أنبـاءً من الكتب
في حده الحَدّ بين الجدّ واللّعِب

(52) المصدر نفسه: 43.

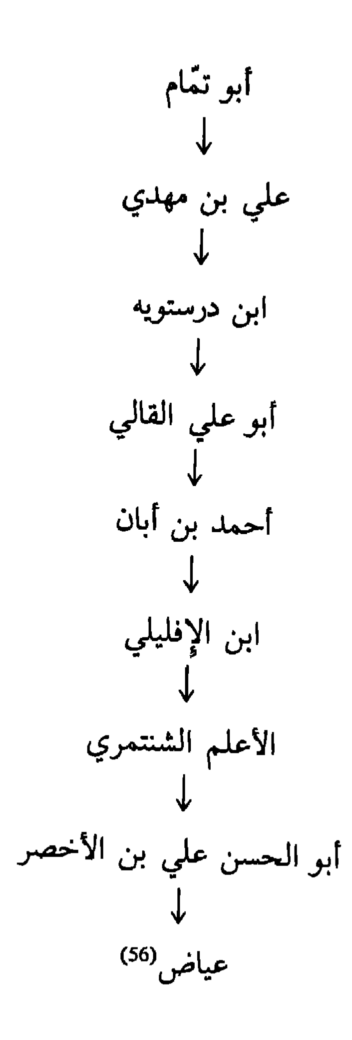
(53) المصدر نفسه: 42.

ويقول الغبريني في القلعي المذكور: «وهو أكثر الناس شعراً، وقد شرع في تدوين شعرِهِ عام ثلاثين وستمائة، وهو في كل عام يقول منه ما يُكتب في ديوان وعاش بعد شروعه في تدوينِهِ ثلاثاً وأربعين سنة، ولو تمّ له تدوينه لكان في مجلدات كثيرة ولكن بأيدي الناس منه كثير، وتواشيحه حسنة جداً»[54]. وهذا النص يؤكد الأثر المزدوج الذي كان للمشيخة الأندلسية في بجاية، وهذا السند الأندلسي الذي كان قوياً في تونس استمر موصولاً حتى القرن الثامن حيث نجد ابن خلدون يحفظ شعر حبيب وطائفة من شعر المتنبي بإشارة من شيخه أبي عبدالله محمد بن بحر إمام العربية والأدب بتونس[55].

وإذا كان سند أهل شرق الأندلس هو الغالب في إفريقية الحفصية فإن السند الذي روى بالمغرب الأقصى في «الشعرين» هو سند أهل إشبيلية وقد انتشر بواسطة القاضي عياض أولاً وهذه صورته:

(54) المصدر نفسه: 43.

(55) التعريف بابن خلدون: 17 تحقيق المرحوم محمد بن تاويت الطنجي.



(56) الغنية : 178 تحقيق ماهر جرار.

ثم انتشر بعد ذلك بواسطة سند ابن أبي الربيع الإشبيلي مستوطن إشبيلية وأضرابه، وقد مر ذكره.

وليس معنى هذه الأسانيد التي وقفنا عليها عند بعض المغاربة أن شعر أبي تمام لم يعرف في بلاد المغرب إلا في عصر المرابطين وما بعده، إذ إن الأخبار والاشارات تدلّ على أنه عرف قبل ذلك بكثير، فقد رحل الشاعر بكر بن حماد التاهرتي إلى المشرق واجتمع في العراق بأبي تمّام وطبقته وسمّاه في أبيات يحرض فيها المعتصم على دعبل الخزاعي يقول فيها:

أيهْجو أميرَ المؤمنينَ ورهطَهُ
ويَمْشي على الأرْضِ العَريضَة دِعْبِلُ

إلى أن يقول:

وعاتبني فيهِ حبيبٌ وقال لي
لسانُكَ محذورٌ وسمُّك يَقْتُلُ[57]

ولا بدّ أن بكر بن حماد كان من أوائل من أشاعوا شعر أبي تمّام في البيئات الأدبية المغربية، كما عرفت القيروان وشعراؤها أبا تمام في وقت مبكر بواسطة كل من أبي اليسر الرياضي وأبي علي القالي اللذين أقاما فترة بالقيروان قبل أن ينتقلا إلى الأندلس[58]، وقد ظهر أثر شعر أبي تمام في شعر عددٍ من شعراء القيروان كما سنشير إلى ذلك فيما بعد.

وكان شعر أبي تمام معروفاً في المغرب الأقصى منذ أواخر العهد الإدريسي حتى في بيئات كانت تسود فيها اللغة الأمازيغية، وقد ورد الاستشهاد به في رسالة لموسى بن أبي العافية وجّهها إلى عبد الرحمن الناصر، وجاء فيها من وصف وقعة بين ابن أبي العافية والعبيديين ما يلي: «وجالت الخيل بيننا وبينهم جولة أخطأ فيها الحكيم حكمته وأضلّ فيها

(57) البيان المغرب 1 :154 تحقيق كولان وبروفنسال والحلة السيراء 1 :173، 183 تحقيق د. حسين مؤنس. ورياض النفوس 2 :16 - 19 ومعالم الإيمان 2 :192.

(58) فهرسة ابن خير: 395.

العاقل سمته، كما قال حبيب بن أوس الطائي:

في ساعةٍ لو أنّ لُقماناً بِها
وهو الحكيمُ لكانَ غيرَ حَكيمِ»(59)

إن الأسانيد الإشبيلية وغيرها في شعر أبي تمّام هي التي حملها أعلام الأدب في مملكة غرناطة حيث ظل الشفوف موقوفاً على أبي تمام والمتنبّي برغم محاولة البعض اللحاق بغبارهما، يقول إبراهيم الساحلي الملقب بالطويجن في وصف قصيدة له:

وقف ابن أوسٍ دونها وتخضّبت
في نسج حلتها أكفُّ البحتري(60)

ويقول ابن الخطيب السلماني:

ولو نشر الطائي يوم اجتلائها
لجلّله من أجل إيثارها غَمٌّ(61)

وَيتواضع فيقول مورّياً:

«مُتنبّىءٌ» أنا في حلى تلك العُلَى
لكنّ شعري فيك شعر «حبيب»
والطبعُ فحلٌ والقريحَةُ حُرّةٌ
فاقبله بين نجيبة .ونجيب(62)

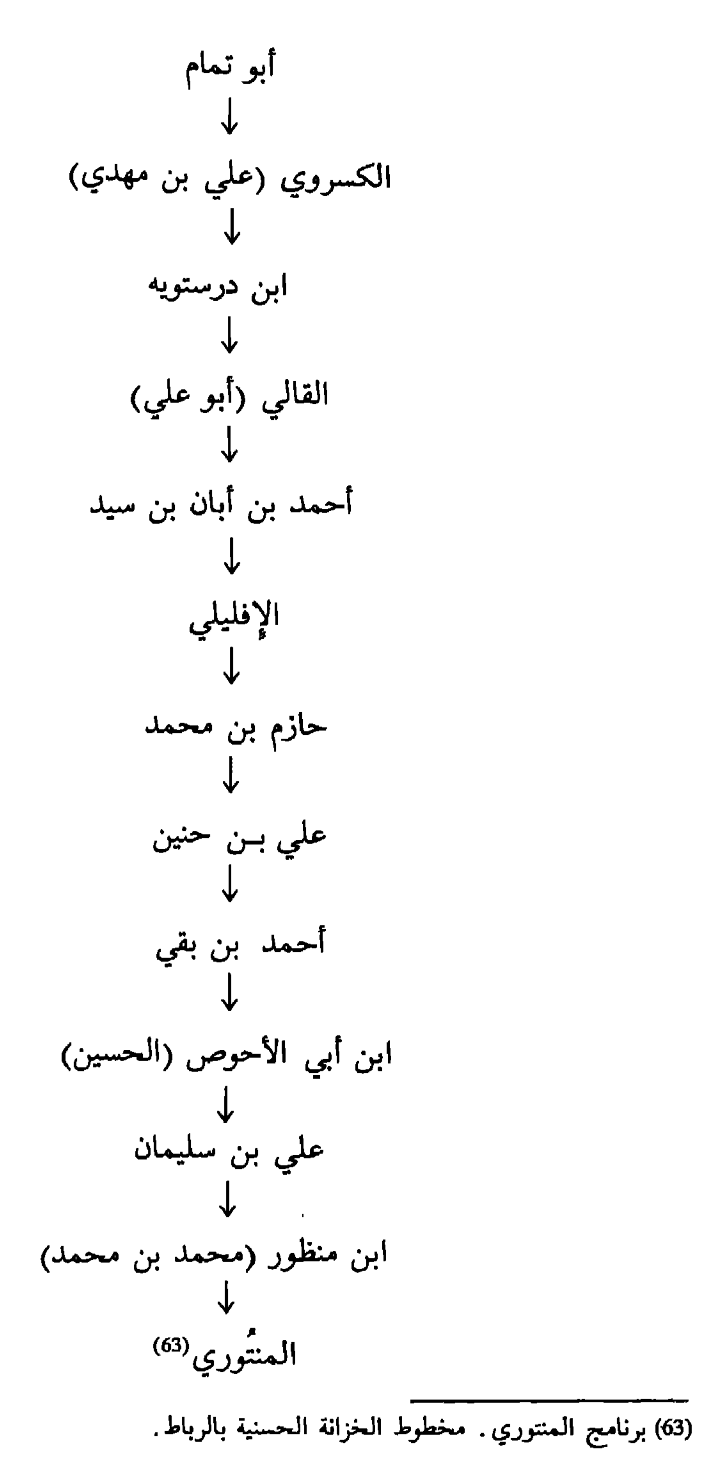
ومن الأسانيد التي وقفنا عليها في آخر هذا العصر سند أبي عبدالله محمد بن عبد الملك المنتوري آخر مسندي الأندلس في هذا الباب (ت 834هـ) وهذا رسم سنده:

(59) المقتبس 5 :372.

(60) انظر ترجمته وبعض أشعاره في الإحاطة والنفح والكتيبة الكامنة وغيرها.

(61) من ميمية له طويلة وردت في بغية الرواد 2 ص 300 وما بعدها.

(62) من مذهبته البائية الطويلة في نفح الطيب 6 :459.



(63) برنامج المنتوري. مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط.

وقد عاش هذا السند في المغرب حتى أواخر القرن الحادي عشر حيث نجده عند عبد القادر الفاسي[64].

3 ـ وَمن الطبيعي أن تؤدّي حركة رواية شعر أبي تمام وتدريسه إلى وضع شروح عليه، وهذا هو المستوى الثالث للعناية بأبي تمام في الأندلس، ولعلّ أقدم هذه الشروح هو شرح أبي العباس وليد الطبيخي (ت 352) الذي وصل إلينا شرحه لشعر مسلم بن الوليد، وقد ضاع مع الأسف شرحه لشعر أبي تمّام، وهو شرح «أخذه عنه الناس» كما يقول ابن الفرضي[65]، وإذا كان هذا الشرح مفقوداً فإن ما بقي من شرحه لشعر مسلم يعطينا فكرة عن طريقته في الشرح وهي طريقة تتميز ببسط المعنى وتقريبه إلى مختلف المستويات، وهذه كانت طريقته أيضاً في الإقراء والتدريس قال الزبيدي: «وكان بصيراً بمعاني الشعر حسن التلقين لمن تبلّد فهمه عنها وكان يقرّبها ويضرب الأمثال فيها حَتّى عرف بذلك»[66] وهذا يدل على مهارة في الطريقة وتمكّن في المادة، وحوالي التّاريخ الذي ألف فيه الطبيخي شرحه في الأندلس ظهر في المشرق شرح معاصره الصولي، وَنَظُنُّ أن الشعر الذي شرحه الطبيخي هو الذي كان أمر بانتساخه عبد الرحمن النّاصر.

وشرحَ شعرَ أبي تمام في القرن الخامس الهجري أبو الحجّاج يوسف ابن سليمان الملقب بالأعلم الشنتمري، وهو معروف بشروحه المتعدّدة لعدد من المتون الشعرية والأدبية والنحوية، قال القفطي في إنباه الرواة: «وكان حافظاً للأشعار قائماً عليها، عظيم السلطان على شعر حبيب الطائي وأبي

(64) فهرس عبد القادر الفاسي المعروف بالإجازة، وهي التي عرف بالرجال المذكورين فيها باللغة الفرنسية المرحوم محمد بن أبي شنب.

(65) تاريخ العلماء 2 :159.

(66) الطبقات: 329.

الطيب المتنبّي كثير العناية بهما خاصة(66م) لقد ذكر الأعلم شرحه في شعر أبي تمام عند سرد مؤلفاته في مقدمة شرح حماسته(67)، وروى القاضي عياض هذا الشرح عن أبي الحسن علي ابن الأخضر الإشبيلي تلميذ الأعلم وذكره من مروياته عنه في فهرسته المعروفة بالغنية(68)، ولم نقف على أي ذكر له بعد ذلك في المظانّ التي رجعنا إليها.

ومن حسن الحظ أننا اهتدينا إلى نسخة من هذا الشرح في خزانة القرويين تحت رقم 1839 كانت منسوبة إلى غير مؤلّفها. وهي نسخة تقع في سفر كبير غير محبوك، وهي في وضعها المحفوظ في الخزانة مختلطة الأوراق مشوشة الترتيب وقد أُخذت لي صورة منها على هذه الحال، والورقة الأخيرة توجد في الوسط رقم 171 ونقرأ فيها ما نصّه: «تم السفر بتمام جميع شعر أبي تمّام حبيب بن أوس الطائي شرح الأستاذ النحوي الأديب اللغوي أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى رحمه الله، وذلك يوم الخامس والعشرين من شهر صفر عام ثلاثة وتسعين وتسعمائة» وقد اجتهدنا في ترتيب أوراقها المختلطة فتبين لَنا أنها تامة تقريباً ولا ينقصها إلاّ ورقتان أو ثلاث من الأول، كَمَا قُمْنا بضبطها وتحقيقها، وسنقدمها للطبع قريباً بإذن الله رغم رداءتها وكثرة التحريف والتصحيف فيها.

ويبدو ممّا ذكرناه أن هذا الشرح لم يشتهر وينتشر مثل بقية شروح الأعلم، ولذلك لم يذكر في تراجمه، ولم يرد في كشف الظنون وشبهه، ولعلّ الخطيب التبريزي وقف عليه ولم يسمّه، فهو يقول معدّداً مصادره في شرح شعر أبي تمّام ما نصّه: «وما وقع إلي ممّا رُوي عن أبي علي

(66م) إنباه الرواة 1 :183.

(67) مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 101 ق.

(68) الغنية: 178 وبغية الوعاة 2 :174 نقلاً عن الغنية.

المعروف بالقالي وغيره من شيوخ المغرب»(68م).

وتدلّ القراءة السريعة لهذا الشرح على أن الأعلم الشنتمري قصد فيه على ما يبدو إلى تقريب شعر أبي تمّام من عامة الطلاب ولهذا اقتصر على حلّ الأبيات بأوجز عبارة، والاختصار هو السّمة الغالبة على هذا الشرح، فهو يخلو تماماً من الشواهد التي يلجأ إليها الشنتمري في شروحه الأخرى، كما يخلو من ذكر الروايات وسرد الأقوال على نحو ما نجد في شرح ترتيب الحماسة وشرح شواهد الكتاب، ولعلّ الأعلم أشار في المقدمة أو الديباجة المبتورة إلى طريقته في هذا الشرح، وإذا كنا نجده يشير في شرح شعر الصّبا من ديوان المتنبّي إلى بعض الشراح الذين سبقوه فإنه في شرحه هذا لا يذكر أحداً من شراح أبي تمام قبله كالطبيخي أو الصولي مثلاً.

على أن للأعلم منهجاً عامّاً في شروحه أشار إليه في مقدمات شروحه، ومنها مقدمة شرح الأشعار الستة قال: «ولم أطل في ذلك إطالةً تخلّ بالفائدة، وتملُّ الطالب الملتمس للحقيقة، فإنني رأيتُ أكثر من ألّف في شروح هذه الأشعار قد تشاغلوا عن كشف المعاني وتبيين الأغراض بجلب الروايات والتوقيف على الاختلافات والتقصي لجميع ما حوته اللفظة الغريبة من المعاني المختلفة حتى إنّ كتبهم خالية من أكثر المعاني المحتاج إليها ومشتملة على الألفاظ والرواية المستغنى عنها»(69) وهذا هو المنهج الذي أخذ به في شرح شعر أبي تمام أما الشعر الذي شرحه فهو ما اشتملت عليه النسخة الأندلسية التي رواها أبو علي القالي وأكملها ابن الإفليلي شيخ الأعلم، وقد سار في الشرح حسب ترتيب القصائد في هذه النسخة العتيقة.

(68م) مقدمة شرح التبريزي: 2 وكشف الظنون.

(69) مقدمة شرح الأشعار الستة.

ولعل من المفيد أن ندرج هنا شرحه لإحدى القصائد كمثال تام لطريقته في الشرح، ولتكن القصيدة الآتية:

«وقال يمدح يحيى بن ثابت ثم صَيّرها في محمد بن حسان:

1 ـ قَدْكَ اتَّئِبْ أرْبَيْتَ في الغُلَواءِ
كَمْ تعذلونَ وأنْتُمُ سُجَرائي

معنى «قَدْكَ حسبُك، ومعناها اكفُفْ عمّا أنت فيه، ومعنى اتئبْ استحي، وهو من الإبة والتؤبة، وهو كلّ ما يستحيى منه، ومعنى «أربيت» زدت، وأصله من الربا، و«الغلواء» التجاوز في الغلو، و«السُّجَراء» جمع سجير وهو الصديق المملوء محبة، وأصله من البحر المسجور.

يقول لعاذله على البكاء: اكفف عن عذلي واستحي منّي فقد زدت في غلواء عذلك؛ ثم رجع من خطاب الواحد إلى خطاب الجماعة فقال: كم تعذلون وأنتم أصحابي وإخواني هلّا ساعدتموني كما يساعد السجير سجيره ولم يقطعوني ملاما.

2 ـ لا تَسْقِني ماءَ المَلام فإنّني
صَبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بُكائي

رجع إلى خطاب عاذله وحده، يقول: لا تلمني على البكاء فإنني لا أصغي إلى قولك ولا أقبل نصحك لأني مستحل للبكاء مستعذب لمائه ولما ذكر ماء البكاء جعل للملام ماء استعارةً ومَثلاً.

3 ـ ومعرّسٍ للغيثِ تَخْفِق بينَهُ
راياتُ كلِّ دُجُنّةٍ وطْفاءِ

«المعرس» موضع نزول المسافر في آخر الليل ليسْتريح، فاستعاره للغيث لنزوله فيه، و«الرايات» البنود، و«الدجنّة» السحابة المظلمة المطبقة للسماء و«الوطفاء» الدانية من الأرض التي تراها كان لها خملاً متصلاً بالأرض، والعين الوطفاء الكثيرة شعر الشفر.

يصف روضة لازمها الغيث فخفقت فيها راياته، وهذا مثل وحقيقته أنه أراد كثرة المطر، ويحتمل أن يريد بالرايات البروق.

3 ـ نشـرَتْ حـدائقــه فصـرنَ مــآلفــاً
لــطرائــفِ الأنــواء والأنــداء

يقول: نشرت هذه الدجُنّة حدائق ذلك المعَرّس فصارت الحدائق مواضع تألفُها طرائف الأمطار، وطرائفها: ما أنبتته في الحدائق من ضروب النّبات وأصناف الزهر، ومعنى «نشرت حدائقه» أظهرت بهجة رياضه.

4 ـ فسقـاهُ مسْكَ الـطلّ كـافـورُ الصَّبـا
وانحــل فيـه خيطُ كــلِّ سَمــاءِ

5 ـ عنى الــربيـعُ بــروضِــهِ فكــأنّمــا
أهْـدَى إلَيْـهِ الـوشْيَ من صَنْعـاءِ

يقول: عنى الربيع بروض هذا المعرس وأكملَ نبته ونَوْرَه فكأنّما أهدى إليه وشياً صنعانياً وهو من أفضل الوشي.

7 ـ صـبّحتُــه بسُــلافَــةٍ صَـبّحـتُـهـا
بـسُــلافَــة الخُـلَطاء والـنّــدمــاء

سلافة الخمر خالصُها وما سال منها دون عصر. يقول: أتيتُ هذا

المعرّس صباحاً سلافة خمر صبّحتها للشّرْب سلافة من الخلطاء والندماء أي ما خلص منهم والذين هم في الإخوان كالسّلافة في الخمر.

8 ـ بمُـدامَـةٍ تغـدو المُنى لكؤوسهـا
خَـوَلاً عـلى السّـرّاء والـضـرّاء

المـدامـة: الخمـر التي أديمت في دَنّهـا حتى عتقت، والخـول: الأعوان. يقول: صبحت المعرس بمدامة ساعف المنى كؤوسهـا فتعينها على الزيادة في السراء وعلى إذهاب الضراء.

9 ـ راحٌ إذا مـا الـراحُ كـنّ مـطيهـا
كانت مطايا الشوق في الأحشـاءِ

الراح الأولى الخمر والراح الثانية جمع راحة: الكفّ. يقول: إذا حملت هذه الرّاح التي هي الحمر على راح الأكُف إلى أقوام [مولعين] بالشراب حملت الشوق والهوى إلى أحشائهم، فأكفهم مطي للخمر والخمر مطية للشوق تحمله حتى يحل في الأحشاء.

10 ـ عِـنَبيَّـةٌ ذهـبيّـةٌ سَـبَـكـتْ لَـهـا
ذهبَ الْمعـاني صـاغَـةُ الشّعـراءِ

يقول: هي من أفضل الخمر لأنّها عنبية الأصل ذهبية اللون فالشعراء تتسابق في وصفها فتسبك لها من المعاني ما هو شبيه بالذهب في حسنه.

11 ـ صَعُبَتْ وراضَ المـزْجُ سَيّء خُلْقها
فتعلّمتْ مِنْ حُسْن خُـلق المـاءِ

يقول: كانت هذه الخمر قوية شديدة صعبة فلما مُزجت بالماء راضها المزج ولين شدّتها وأحسن خلقها حتى صارت آخذة من حسن خلق الماء ولينه.

12 ـ خـرقـاءُ يلعبُ بـالعقـولِ حَبـابُهـا
كتـلاعُبِ الأفـعـالِ بـالأسمـاءِ

إنما جعل الخمر خرقاء لأنّ شاربها يخرق فنسب ذلك إليها لأنها سبب الخرق، ثم قال: وهي مع خرقها تلعب بالعقـول وتصرّفهـا على حكمها كما تصرف الأفعال الأسماء من نصب إلى رفع ومن رفـع إلى نصب؛ والحباب: طرائقها إذا مزجت بالماء، وجعل العقل للحباب لأن حبابَها منها ففعله من فعلها.

13 ـ وضعيفـةٍ فـإذا أصـابت فُـرْصـةً
قتلتْ كـذلـك قُـدْرةُ الضّعفـاءِ

يقول: الخمر مع قوة جوهرها ضعيفة لا تبـطش، فإذا أكثـر منها وجدت بذلك فرصةً فبطشت بشاربها فصرعته سكرانَ كالقتيل، وكذلـك الضعيف أبداً إذا وجد فرصة انتهزها وبطش بصاحبه ولم يستبق شيئاً من جهده وطاقتِهِ لأنه قد علم أنه متى أبقى على صاحبه عـطف عليه فلم يقاوِمْهُ، وهذا كقول جرير:

يـصرعن ذا اللُّبّ حتى لا حراكَ لَهُ
وهنّ أضعفُ خلقِ الله إنْسـانـا

14 ـ جـهـمـيّـةُ الْـوُصّـاف إلاّ أنّـهُـمْ
قَـدْ لقَّبـوهـا جـوهـر الأشيـاءِ

مذهب جهم ألّا تثبت صفة للباريء سبحانه من الصفات التي يقع فيها الاشتراك فيوصف بها المخلوقون كقولنا عالم وراحم تقول الجهمية: لا نقول الله عالم إنّما نقول الله ليس بجاهل فننفي عنه ضد هذه الصفة التي تكون للمخلوق ولا نقول عالم لأن هذه الصفة تكون للمخلوق فكأنّ شبّهنا الله تعالى بغيره حيث وصفناه كـ ا يوصف غيره وكذلك يفعلون في سائر الصفات.

يقول أبو تمام: هذه الخمر لا نظير لها فهي لا توصف بما يوصف به غيرها ولكن ينفي عنها أضداد الصفات كما فعل جهم في صفات الباريء جلّ وعز، ثم قال إلاّ أنهم يلَقّبونها بلقب تنفرد به لا يشركها غيرها فيه وذلك اللقب أن يقال: هي جوهر الأشياء، فإذا كانت جوهر الأشياء والأشياء كلّها أعراض فقد أفردت بلقب لا يكون لغيرها لأن اسم الجوهر لا يقع على العرض كما أن قولنا: إله وخالق لا يقع لغير الله تعالى وهذا مما يثبته جهم فإذا سميت الخمر جوهراً فسائر الأشياء أعراض، والجوهر أفضل من الأعراض، والخمر إذن أفضل الأشياء.

15 ـ وكأنّ بهجتَها وبهجةَ كأسِها
نارٌ ونورٌ قيّدا بوعاءِ

يقول: كأنّ شعاع هذه الخمر وبهجتها وشعاع كأسها وبهجته حين اجتمعا فقيدا بوعاء واحد، فشبّه الخمر بالنار لحمرتها وشبه الكأس بنور الشمس أو غيرها من النيّرات لبياضها.

16 ـ أو درّة بيضاء بكر أُطبقتْ
حبلًا على ياقوتة حمراء

شبه الكأس لبياضها بدرة بكر وهي التي لم تثقب وذلك أصفى لها وأشد لبياضها وجعل الخمر في جوف الكأس كياقوتة قد حملت بها هذه الكأس التي هي كالدرة وأطبقت عليها كما تطبق على حملها، وقد مَلّحَ ما شاء في قوله: بكر؛ ثم قال أطبقت حبلًا والبكر لا تحبل البتة ما دامت بكراً.

17 ـ ومسافةٍ كمسافةِ الْهجْرِ آلتقتْ
في صَدْرِ باقي الحُزْنِ والبُرَحاءِ

يقول: ربّ مسافة قطعتُها وهي في الصعوبة والشدة على النفوس

والبعد بمنزلة مسافة الهجر عند العاشق المهجور.

18 ـ بيدٍ لنسْلِ الرّيحِ في إمليدها
ما شئتَ منْ عدوٍ ومنْ عدواءِ

البيد جمع بيداء وهي القفر ونسل الريح: الإبل، ويقال إنها خُلقت من الريح والعدو شدة السير، والعدواء: مشقته على النفس وعدوانه عليها، والعدواء أيضاً البعد والإمليد الأملس الذي لا شيء فيه؛ يقول: تلك المسافة في قفار للإبل في مستويها وأملسها ما شئت من شدة العدو وعدوائه.

19 ـ مزّقْتُ ثوبَ عُكوبِها بركوبِها
والنّارُ تنبع مِنْ حَصَى الْمَعْزاءِ

يقول: قطعت هذه المسافة ومزقت ثوب غبارها الذي تثيره الإبل لشدّة سيرها بركوب هذه المسافة وكان قطعي لها في الهاجرة وشدة الحر، والنار تنبع وتنبعث من حصى المعزاء لشدة حمى الشمس عليها، والمعزاء الأرض الصلبة ذات الحصى والعكوب: الغبار.

20 ـ بأبي محمّد امتحنت قصائدي
ورفَعْتُ للمسْتَنْشدين لِوائي
يحيى بن ثابت الذي سنّ النّدى
وحَوى المكارمَ مِنْ حياً وحَياءِ

يقول: أول ما رضت نفسي وامتحنت شعري في هذا الرجل فهو أول من مدحته حتى عرفت بالشعر فلما عرفت به وشهرت كنت كمن رفع لواءه فشهر موضعه فقصدني الناس يستنشدونني فأنشدتهم، . . .

وإلى ابن حسان اغتدت بي همّةٌ
وقفت عليه خلّتي وإخائي

يـا غـايـة الأدبـاءِ والـظرفـاء بَـلْ
يــا سيـد الشعــراء والخُــطبــاء

يقول: أفضت بي همة إلى ابن حسان فوقفتُ عليه صداقتي وأخوتي فأنا لا آمل غيره ولا أعتمد سواه.

عرفت بكل الآداب مجملةً كَمـا
عُـرِفَت قـريشُ اللهِ بــالبَطْحــاءِ

يقول: الآداب مجملةٌ لا يشذّ منهـا شيء عنك، كمـا أن قريشـاً جميعهم في مكة وبطحائها لا يعمرون من الأرض غيرها، وإنما أضاف قريشاً إلى الله تعالى لأنهم كانوا خدمة البيت الحرام وجيرانه.

ســاويتَهُمْ أدبـاً وجــودُكَ شـاهــدٌ
بَــلْ حــالِفٌ أَنْ لستُمُ بِسَــواء

يقول: ساويت الأدباء والظرفاء والشعراء والخطباء في الأدب وفضلتهم بالجود والكرم وجودك شاهد بل حالف أنك أفضلهم.

بِخــلائقٍ اسكنْتهــا خَلَد النّــدى
فـجـهدتَ منْهـا جهْـد كُـلّ بَـلاء

أي فضلتهم بخلائق من الجود والكرم اسكنتها نفس الثرى وإنما يعني نفس الممدوح فجهدت من تلك الخلائق كل جهد وأسكنت نفسك منها كل ندى.

لَمْ يبقَ ذو غــدرٍ لــريبِ ملمّــةٍ
إلاّ وقــدْ ألْــجــمــتَــهُ بــوفــاء

يقول: كلما غدرت ملمات الزمان، وخـان ريبها الإنسـان شغلتها بالوفاء والمشاركة حتى لم يبق لها فم إلاّ وهو ملجم بوفائك ويكون أيضاً أن

الزمان كان غادراً فتعلم الوفاء من هذا الممدوح.

وإذا تشاجَرت الخُطوبُ قريتَها
رأياً يفلُّ مضارب الأعداء

يقول: إذا اختلفت الأمور وأشكلت صيرت لها رأيَك قرى أي قابلها برأي نافذ يفلّ حدّ العدو ويرد كيده والمضارب جمع مضرب وهو حد السيف.

رأي لو استسقيتَ ماءَ نصيحةٍ
لجعلتَه أرْياً من الأرآءِ

الأري: العسل، والأرآء جمع رأي؛ يقول: رأيه كالعسل في حلاوة موقعه من النفس والتشافي به، فلو كانت النصيحة ماء يستقى لظننت رأي هذا الرجل ـ إذا استسقيته إياه مستنصحاً ـ عسلاً من آراء.

لما رأيتكَ قَدْ غذوتَ مودّتي
بالبشْرِ واستَحْسنتَ وجْهَ ثَنائِي
انبطتُ في قلبي لوأيكَ مَشْرَعاً
ظَلّتْ تحومُ عليهِ طَيْرُ رجائي

جعل البشر غذاء للمودة لأنه يؤكّدها ويحمل صاحب المودة على الرغبة في المودود وإضعاف مودّته له، ومعنى انبطت استخرجت، والمشرع: المورد من الماء. يقول: لما قابلتني بالبشر واستحسنت ثنائي عليك ووعدتني بالجميل من الفعل جعلت في قلبي مورداً من أجل وأيك، والوأي: الوعد، فظلت طيور رجائي تحوم على ذلك المورد، وهذا مثل وإنما يريد تمكن الرجاء من قلبه.

فثويتُ جاراً للحضيضِ وهِمّتي
قد طُوّقَتْ بكواكبِ الجَوْزاء

الحضيض أسفل الجبل؛ يقول: قد بسطت رجائي ومكنته حتى سمت همتي إلى السماء فطُوقت بكواكب الجوزاء أي صارت لها كالطوق فأنا وإن كنت في الأرض فهمتي في السماء.

إيـهِ فـدتــكَ مَغـارسي ومَنــابتي
اطـرَحْ غَنـاءَكَ في بحُـور عنـائي
يسّــر لِقَـوْلِـكَ مَهْــرَ فِعْلك إنّــهُ
ينْـوي افتضـاضَ صنيعــةٍ عَـذْراء

قوله: إيه أي زدنا من عداتك الكريمة ونعمك الجزيلة، فدتك مغارسي أي أصولي من آبائي وأجدادي، ومنابتي أي فروعي وأبنائي واطرح غناءك أي نفعك وما أرجوه من نيلك، في بحور عنائي أي في كثرة عنائي، وضرب البحور مثلاً للكثرة ثم قال مقتضياً لعدته: يسّر لقولك مهر فعلك أي تمم العِدَة بالانجاز والقول بالفعل كما يتم النكاح بالمهر فإن قولك ينوي منك لي صنيعةً بكراً لم تسبق إلى مثلها يفتضّها كما تفتضّ الجارية البكر، وهذا كله مثل واستعارة.

ومن هذا المثال يتبين ما ذكرناه من اقتصار الأعلم على ما يقرّب المعنى، وإعراضه عن الروايات المختلفة، وتجنبه للإطالة إلا ما كان من بسطه بعض الشيء شرح بيت الجهمية، كما أن الشاهد الذي أورده ـ وهو بيت عمر بن أبي ربيعة ـ يعد من قبيل النادر الذي يقع له في هذا الشرح.

وبمقابلة شرحه لهذه القصيدة مع شرح التبريزي ندرك جملة من الفروق، منها استقلال الأعلم واعتماده على نفسه، بينما التبريزي يرجع إلى المعرّي والصولي والمرزوقي وغيرهم من شراح أبي تمام.

ولعلّ أبرز الفروق بين الشرحين يتمثل في اختلاف الرواية، وترتيب القصائد والأبيات أحياناً، مع اختلاف الألفاظ أحياناً، وقد أشرنا آنفاً إلى أن الأعلم وضع شرحه على النسخة التي شاعت في الأندلس والمغرب، وهي

برواية أبي علي القالي، وليس لها ترتيب معين، وإنما جمعت فيها قصائد أبي تمام منقولة من القراطيس التي كتبها الشاعر بخط يده، وأولُ هذه النسخة القصيدة التي مطلعها:

عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلّما
وإن تعتب الأيام فيهم فربّما

وآخرها شعره في هجاء عياش بن لهيعة بعد موته:

لا سقيت أطلالك الداثرة
ولا أنقضت عثرتك العاثرة

وتوجد من رواية القالي هذه ـ كما أسلفنا ـ نسخ مخطوطة في الأسكوريال والخزانة الحسنية بالرباط وفي آخرها وثيقة ذكرنا نصها فيما سلف ونثبت صورتها في آخر هذا الفصل.

وفي أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السّادس قام الأديب البطليوسي محمّد بن رزق الله الأموي باختصار شرح الطبيخي، وقد تحدث عن هذا الاختصار ابن الأبّار فقال: «وله في شرح شعر حبيب بن أوس للطبيخي اختصارٌ أفاد بِه وأضاف إليه من غيره ما دلّ على مكانه من النّباهة رحمه الله»[69م] وقال ابن عبد الملك المراكشي: «واختصر شرح الطبيخي شعر حبيب اختصاراً حسناً، وأضاف إليه فوائد شهدت بنبله وسعة معرفته»[70] ويستفاد من هذا الكلام أن شرح الطبيخي كان مطوّلاً، وأن شرح ابن رزق الله جمع بين شرح الطبيخي وشروح غيره، وقد يكون المقصود بها شرح الصولي وشرح الأعلم وغيرها، وهذا الشرح مفقود اليوم، ولذلك فإننا لا نعرف نوع الفوائد التي أشار إليها ابن عبد الملك،

(69م) التكملة. 417.
(70) الذيل والتكملة 6: 199.

لقد كان ابن رزق الله أديباً ماهراً وكان تلميذاً ملازماً للشارح الكبير أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي معاصرِ الأعلم ونظيره في شرح النصوص الأدبية.

4 ـ وعلى مستوى النقد الأدبي عرفت الأندلس وبلدان المغرب شيئاً من الحركة النقدية حول أبي تمّام وانتهى إليها بعض ذلك الصراع الأدبي الذي ظهر في المشرق حول الطائيين، فكان لأبي تمّام في الأندلس أنصاره، ونستطيع أن نعدّ منهم أولئك الذين عنوا بنشر شعره وشرحه من أمثال عثمان بن المثنّى ومؤمن بن سعيد وأبي عبدالله الغابي وأبي عبدالله ابن الأصفر وغيرهم، وكان للبحتري متعصّبون له، ومنهم عمر بن يوسف الحيطي (ت 338هـ) قال الزبيدي: «كان من أهل العلم بمعاني الشعر، حسن التكلّم فيه، وكان يتعصب للبحتري»[71] وهو شاعر مدح الناصر الأموي بجملة قصائد، ولا بدّ أن تعصّبه للبحتري جعله ينهج نهجه في الاسترسال مع الطبع والابتعاد عن الصنعة وهذا ما يفيده قول الزبيدي: «وكان شاعراً مطبوعاً مجوّداً»[72] ويبدو أن شعراء إشبيلية وغرب الأندلس كانوا في الجملة من أنصار البحتري وعلى مذهبه، قال ابن بسّام في الذخيرة «وطريقتهم في الشعر الطريقة المثلى التي هي طريقة البحتري في السلاسة والمتانة والعذوبة والرصانة»[73] وقد ذكر الزبيدي جماعة من شعراء إشبيلية في مطلع القرن الرابع ووصفهم بأنهم كانوا شعراء مطبوعين[74].

---

(71) الطبقات: 330 وكان مع تعصبه للبحتري يُقرىء شعر أبي تمام قال ابن الأبار في ترجمته: «حدث عنه أبو تمام غالب بن معمر التياني بشعر حبيب» التكملة رقم 2218 (ملحق) والحيطي وردت بالخاء في التكملة والذيل والتكملة وطبقات الزبيدي ويبدو أن صوابها بالحاء فقد لقبه شيخه الحكيم بذلك لتكرره عليه شتاءً وصيفاً في قميصين فهو إذن مثل الحَيْطي وهو في اصطلاح الأندلسيين والمغاربة عبارة عن الاستار التي تكون على الحيطان الداخلية للقبة أو الغرفة. انظر قاموس دوزى: 1 :337 والمراجع التي أشار إليها.

(72) الطبقات: 330.

(73) الذخيرة ق. 2 م. 1 :12.

(74) الطبقات: 301، 316، 332، 333.

وقد عرف أبو تمّام عند نقاد الأندلس والمغرب ـ كما عرف عند نقاد المشرق ـ بأنه شاعر الصنعة، وفسرها ابن حزم بأنها «التأليف الجانح للاستعارة في الأشياء والتحليق على المعاني والكناية عنها» قال: «ورب هذا الباب من المتقدمين زهير بن أبي سلمى ومن المحدثين حبيب بن أوس»؛ وتوسع ابن رشيق في شرح المطبوع والمصنوع من الشعر، وأشار إلى مؤسس المصنوع صاحب الحوليات، واعتبر أبا تمّام زعيم الصنعة، ووازن بينه وبين البحتري فقال: «وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها، فأمّا حبيب فيذهب إلى حزونة اللفظ وما يملأ الأسماع منه مع التصنيع المحكم طوعاً وكرهاً، يأتي للأشياء من بعد ويطلبها بكلفة ويأخذها بقوة، وأما البحتري فكان أملح صنعة، وأحسن مذهباً في الكلام، يسلك منه دماثة وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا تظهر عليه كلفة ولا مشقّة» ويظهر من كلامه أنه يتوسع في مفهوم الصنعة ولا يخلي شعر البحتري من قدْر محمود منها، ووازن أيضاً بين أبي تمام ومسلم فقال: «غير أنّا لا نجد المبتدىء في طلب التصنيع ومزاولة الكلام أكثر انتفاعاً منه بمطالعة شعر حبيب وشعر مسلم بن الوليد لما فيهما من الفضيلة لمبتغيها ولأنهما طرّقا إلى الصنعة ومعرفتها طريقاً سابلةً وأكثرا منها في أشعارهما تكثيراً سهلها عند الناس وجسّرهم عليها على أن مسلماً أسهل شعراً من حبيب وأقلّ تكلّفاً» إن اهتمام ابن رشيق بأبي تمام في العمدة لايدانيه إلا اهتمامه بالمتنبي كما سنرى في الفصل القادم، فقد وقف طويلاً عند صنعته وتكلّفه واحتفاله بالمعنى وعدم مبالاته باللفظ، واشاد بجهارة ابتدائه وفخامته وروعته وأبهته، وساق أمثلة من ابتداءاته ومطالعه، وذكر إجادته في الرثاء، وضعفه في الغزل، وتبريزه في القصائد، وتقصيره في القطع، وانتقده حيناً ودافع عنه حيناً، ونبّه على اعتماده طريقة التصدير في صناعة قصائده أي أنه كان ينصب القافية للبيت ليعلّق الأعجاز بالصدور.

وأما ابن شرف القيرواني فيبدو من مقامته الانتقادية أنّه كان يفضل البحتري على أبي تمام قال في البحتري: «وأما البحتري فلفظه ماء ثجّاج،

ودرٌّ رجـراج، ومعناه سراج وهاج، على أهدى منهاج، يسبقه شعره، إلى ما يجيش به صدره، يسرَ مراد، ولين قياد، إن شربتَه أرواك، وإن قدحته أوراك، طبع لا تكلّف يعييه، ولا العناد يَثْنيه، لا يملّ كثيره، ولا يستكفّ غزيره لم يهف أيام الحلم، ولم يصف زمن الهرم» وقال في أبي تمّام: «وأما الطّائي حبيب، فمتكلّفٌ إلا أنه يصيب، ومتعب لكن له من الراحة نصيب، وشغله المطابقة والتجنيس، حبّذا ذلك أو بيس، جزل المعاني مرصوص المباني، مدحه ورثاؤه، لا غـزلـه وهجاؤه، طرفا نقيض، وخطتا سماءٍ وحضيض، وفي شعره علم جم من النّسب، وجملة وافرةٌ من أيام العرب، وطارت له أمثال، وحفـظت له أقـوال، وديوانـه مقرو، وشعـره متلو»[75] وقد أورد البديعي هذين القولين وعقب عليهما بقوله: «والذي يشعر به كلام ابن شرف تقديم البحتري»[76] وهذا استنتاج صحيح وواضح، أما ابن بسام فقد ذهب إلى أن ابن شرف كان منصفاً في حكمه على أبي تمّام وقال «أما صفته هذه لأبي تمّام فصفةٌ لم يثن عِطْفَها حمية ولا تعلّقت بذيلها عصبية، حتى لو سمعها حبيب لاتخذها قبلة، واعتمدها ملّة، فما آلمَ من أدّب وإن أوجع، ولا سبّ من صدق وإن أقْذَع»[77] وهذا كـلام يناقض آخره أوّله ويكشف عن رأي ابن بسّام في أبي تمّام ويخرج كلام ابن شرف من مقام التلميح إلى مقام التصريح.

وقد نسج أبو الطاهر السرقسطي في القرن السادس على منوال ابن شرف فألف مقامة في الشعراء وهي الموفية ثلاثين من مقاماته اللزومية، وفي هذه المقامة نجد أيضاً محاكمة لأبي تمام والبحتري جاءت كسابقتها لصالح البحتري قال على لسان بطل مقاماته السائب بن تمام محاوراً صاحبه الشيخ أبا حبيب: «قلت فالطائي الأكبر؟ فقال: نعم ما صنع وحبّر، وبئس

(75) الذخيرة ق 4 م 1 :206 - 207.

(76) الصبح المنبي: 104.

(77) الذخيرة ق 4 م 1: 207.

ما أفصح عن المعاني وعبّر، حتى أذّن في شعر وكبّر، ومن التحسين والتنجيد، ما يزري بالمبرز المجيد، وقد أبى الناس إلا تقديمه، وإن مزّقوا بالنقد أديمه، ومن ذا الذي يخلص على الانتقاد، أو يسلم من الضغائن والأحقاد، أبو تمام حبيب بن أوس، يعدو عدو الأوس، ويغدو بكل نائل جزلٍ وأوس، ويدوس أقطار الكلام أي دوس، ويسير من الفصاحة بين عامر ودوس، وإنّه للعِدّ المَعين، والنجد المعين، يهدي إلى القول هداية، وما مثله ظئراً ولا داية.

قلت فالطائي الأصغر؟ قال: شحا فاه وفغر، وشاب في الاحسان وأثغر، أبو عبادة وليد، طريف من الإبداع وتليد، منح البهجة والإشراق، وغذي النعمة والإيراق، أبو عبادة وليد ما وليد، يشب لإحسانه الأشيب والوليد، غفل عن إحسانه غافل، ورفل في أثوابه رافل، فرقرق من جرياله، وأطالَ من أذياله، خلع عليه الزمان ملاءة ربيعه، وكرع من الإحسان في جدوله وربيعه»[78].

وكما وازنوا بين أبي تمّام والبحتري وفضلوا أحدهما على الآخر ظهر بين نقادهم من فاضل بين أبي تمام والمتنبّي، وقد أشار ابن رشيق في العمدة إلى مناظرة أو موازنة لعلها لبعض المغاربة، واقتطف منها ما يلي:

«وقال بعض من ناظر بين أبي تمام وأبي الطيب: إنّما حبيب كالقاضي العدل يضع اللفظة موضعها ويعطي المعنى حقّه بعد طول النظر والبحث عن البينة أو كالفقيه الورع يتحرى في كلامه ويتحرّج خوفاً على دينه، وأبو الطيب كالملك الجبّار يأخذ ما حوله قهراً وعنوة أو كالشجاع الجريء يهجم على ما يريده لا يبالي ما لقي ولا حيث وقع»[79] ومن أطرف موازنات الأندلسيين بين أبي تمّام والمتنبي هذه الموازنة المركبة، فقد كانوا

(78) مقامة الشعراء في المقامات اللزومية وهي المقامة الثلاثون.

(79) العمدة 1 :133.

يقولون: «ابن قزمان في الزجّالين بمنزلة المتنبّي في الشعراء، ومدغلّيس بمنزلة أبي تمّام بالنّظر إلى الانطباع والصّناعة، فابن قزمان ملتفت إلى المعنى ومدغليس ملتفت إلى اللفظ»[80] وقد «تبلورت» موازناتهم بين الشاعرين الكبيرين في رسالة أحمد بن لبال الشريشي التي سماها «روضة الأديب، في التفضيل بين المتنبي وحبيب» ويجد القارىء في الفصل الثالث من هذه الدراسة تعريفاً بمؤلِّفها وتحليلاً لمضمونها مع تحقيق لنصها.

5 ـ إن هذه العناية برواية شعر أبي تمام وحفظه وتدريسه وشرحه ونقدِه أدت في آخر الأمر إلى تأثيره في الحركة الأدبية والشعرية بالأندلس وبلدان المغرب ويتمثل هذا التأثير على الخصوص في مظهرين:

أ ـ أولهما يتجلّى في المعارضة التي أصبحت ظاهرةً عامة في شعر الأندلس والمغرب[81]، ويمكن القول بأنّ مُعارضة أبي تمّام بدأت مع جيل ابن عبد ربّه، فقد حذا هو وشعراء عبد الرحمن الناصر حذو أبي تمّام في بناء القصيدة ولا سيما قصيدة المدح التي يشتمل القسم الأخير منها على نعت القصيدة ومدحها، ويعتبر أبو تمّام الشاعر المبرز في هذا المنحى كما يقول الشريشي في شرح المقامات[81م]، وقد أعجب ابن عبد ربه بشعر أبي تمام في وصف القلم وعارضه بشعر له في الموضوع نفسه[82]، وأورد مختارات من شعره في العقد الفريد وكان استشهاده به في مختلف أغراض كتابه وموضوعاته يدل على حفظه وتمثِّله كما يدلّ على أنّه غدا مألوفاً في البيئة الأدبية الأندلسية يومئذ.

---

(80) نفح الطيب 3: 385.

(81) من أبرز الأمثلة على ظاهرة المعارضة في الشعر الأندلسي مثال الشاعر عبد الرحمن بن أبي الفهد الذي كان فيما يقول الناقد ابن شهيد «من أشعر من أنبتته الأندلس أو وطىء ترابها بعد أبي المخشي أولاً وأحمد بن دراج آخراً» فهذا الشاعر «لم يكد يبقي شعراً جاهلياً ولا إسلامياً إلّا عارضه وناقضه» جذوة المقتبس: 258

(81م) شرح المقامات 3: 159 نشر د. عبد المنعم خفاجي.

(82) العقد 4: 193.

ومن قصائد أبي تمام التي عارضها الأندلسيون البائية المشهورة:

السّيفُ أصدقُ إنبـاءً من الكُتُبِ
في حَدّه الحدُّ بيْنَ الجدِّ واللعِبِ

فقد كانت وما تزال من شعره المشهور المحفوظ، وبها مثّل المعتمد ابن عَبّاد عندما فخر بشعره فقال مضمّناً مطلعها:

فهاكَها قِطْعةً تَطْوي لَها حَسَـداً:
«السّيفُ أصدَق أنباءً من الكُتبِ»[83]

وكانت كتب الفتوح في الأندلس والمغرب تُصدَّر بقول أبي تمّام في هذه القصيدة:

فتـحٌ تفتـحُ أبـوابُ السّمـاء لَـهُ
وتبرز الأرْضُ في أثْوابِها القُشُبِ[84]

ولعلّ أشهر من عارضها من شعراء الأندلس والمغرب هو الشـاعر المدعو بالأصم المرواني، وذلك بقصيدته في مدح عبد المؤمن وتهنئته بفتح جبل طارق، ومطلعها:

مـا للعدى جُنّةٌ أوقى من الهَـرَبِ
أيْنَ المفرُّ وخيلُ اللّهِ في الطّلَبِ[85]

وهي مثل العمّوريةِ جوّاً ومناسبة، ولا تقصر عنها حوكاً وجودة، وقد توارد فيها بحكم الموضوع والقافية مع أبي تمّام في بعض القوافي؛ ومن المعروف أنه لا غنى للشاعر اللاحق عن أن يشترك فيها عند المعارضة مع

---

(83) الذخيرة ق 2 م 1 :68.

(84) انظر على سبيل المثال: المن بالإمامة: 277 والاستقصا 2 :112.

(85) المن بالإمامة: 160 - 164.

الشاعر السابق كما يقول أبو تمام:

أَمّـا الْمعـاني فَهْـي أبكـارٌ إذَا
نُـصَّتْ ولـكنّ الـقـوافِـيَ عُـونُ

ومعنى الشطر الأخير أن القوافي يشترك فيها الشعراء مثل قوله: «فحواكَ عين على نجواك يا مذلُ» تشترك قوافيها وقوافي قصيدة الأعشى التي أولها: «ودّعْ هريرةَ إنّ الركبَ مرتحلُ» ألا ترى إلى قوله: «وهل تطيق وداعاً أيها الرجل» وإلى قول الطائي: «من أن يذال بمن أو وممن الرجل»[86].

ومن أبيات قصيدة الأصم التي نجد لها نظيراً في المعنى والقافية في البائية الأم قوله:

ويُلبسُ الـدينَ غضّاً ثـوب عِزّتـه
كـأن أيـامَ بـدرٍ عنـهُ لم تغِب
تـدبيرُ مَنْ قـارعَ الأيّامَ واختلطَتْ
آراؤُه في الْوَغى بالسُّمْرِ والقضُب
إن آبَ من غـزوةٍ أفنتْ أعـاديَـهُ
كانَ الإيابُ لأخْرى أعْظَم النَّسَبِ
سَما إلى الشّرفِ الأقْصى بهِمّتِه
دينٌ مـريـحٌ وعـزمٌ دائمُ التّعَبِ

يقول أبو تمام في تصوير ذعر العدو وفزعه وفراره:

ولّى وقـد ألْجمَ الخَطّيُّ منطِقَـه
بسَكْتةٍ تحتَها الأحشاءُ في صَخَبِ

(86) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي 3 ·330.

أحْذَى قرابينَه صرفَ الرّدى ومَضى
يحتثّ أنْجى مـطاياه مِن الهـرَبِ
مُـوَكّـلاً بيَفـاعِ الأرْضِ يشْـرفُـهُ
منْ خِفّة الخوف لا مِنْ خِفّة الطربِ
إن يعْدُ منْ حَرِّها عدوَ الظّليم فَقدْ
أوسعتَ جاحِمَها مِنْ كثرةِ الحَطَب

ويقول الأصم المرواني في المعنى نفسه:

ما للعِدى جُنّـةٌ أوْقى من الهَرَب
أينَ المفرُّ وخيلُ اللهِ في الطّلَبِ
لَـوْ بـدّلـوا قَـدمـاً زلّتْ بقـادمَـةٍ
لأَصْبـحَ الكُلّ طيّـاراً منَ الرُّعُبِ
وأيْنَ يذهبُ مَنْ في رأسِ شاهقَةٍ
إذا رَمَتْـهُ سمـاءُ الله بـالشُّهُـبِ

ولو وازنّا بين القولين لرأينا كيف سما الأصم إلى مستوى سابقه، وحاول اللحاق به، وإذا كان أبو تمّام خَلّى بين الأعداء وبين الهَربِ فإن شاعرنا لم يقنع منهم بالفرار، على ما فيهِ من وصمة العار، بل سدّ عليهم المنافذ، وأحكم من حولهم الحصار، ولم يبق لهم إلا فرصة واحدة هي مهانة الاستسلام ومذلة الاستئسار:

ألقتْ إليك بأيدي الذلّ خـاضعَةً
ومكّنتـكَ من المسْلوب والسّلَبِ
ســارَ العُلوجُ وفي أعنـاقِهمْ مِنَنٌ
منْ عَفْـوِ مُقتـدرٍ للغـزْو مُنْتـدَبِ

مدّو الأكفَّ للَمْس النّجم ِ من فَرَحٍ
وشَمّروا لِوُثوبِ البَحْرِ مِنْ طَرَبِ

وقد وصل إلينا تخميسٌ لأشْطارِ القصيدة العمورية من صنع الشاعر المترسِّل أبي عبدالله ابن أبي الخصال[87]، وهو يعكس الافتتان بهذه القصيدة التي غدت نموذجاً «كلاسيكياً» يترسم ويحتذى.

وأوله:

الحمدُ لله أضحى الدين مغْتليا
وباتَ سيفُ الهُدَى الظمآنِ قدْ رَويا
إنْ كنتَ ترتاحُ للأمر الذي قُضيا
فَسلْهُ نشْراً ودعْ عنكَ الذي طُوِيا:
فالسيفُ أصدق أنباءً من الكتب»

ومن أطرف المعارضات لهذه البائية المشهورة قول ابن الخطيب يهجو خصمه النُّباهي:

يا كوكبَ النّحس منْ قُرْبٍ على الْحِقَبِ
تلكَ الذُّنابى أَتَتْ بِالْحَرْبِ والْحَرَبِ
لَمّا رأيناكَ حقّقنا الّذي وَصَفوا
لِلنّاسِ مِنْ حدَثانٍ جاءَ في الكُتُبِ
إذْ قالَ شاعرُ طيٍّ في قصيدتِهِ
وهو المقلّدُ في علمٍ وفي أَدَبِ:
«وَخَوّفوا النّاسَ مِنْ دَهْيَاء داهيةٍ
إذا بدا الكوكبُ الغَرْبِيّ ذو الذّنَبِ»[87م]

---

(87) تاريخ الأدب الأندلسي للدكتور إحسان عباس 2 :247.

(87م) نثير فرائد الجمان: 252 تحقيق د. الداية.

وفي ديوان ابن زيدون مرثيتان رائيتان إحداهما في رثاء أبي الحزم ابن جهور أولها:

«ألَمْ تَرَ أنّ الشمسَ قد ضُمِّنَها القبرُ» والثانية في رثاء أم أبي الوليد ابن جهور، ومطلعها: «هُو الدّهرُ فاصبر للّذي أحْدَثَ الدّهْرُ»(88) ويبدو أنه نسَجَهما على منوال مرثية أبي تمّام المشهورة:

كَذا فليجلّ الخَطْبُ وليفْدَح الأمْر
فليسَ لعَيْنٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ

وتظهر محاكاة ابن زيدون في مثل قوله في الأولى:

وما الرُّزءُ في أن ودّع التّربَ هالكٌ
بل الرّزءُ كلُّ الرُّزْء في أن يهْلِكَ الأجْرُ

فهو يدعو إلى استحضار قول أبي تمام:

غَـدا غُدوةً والحمـدُ نسْجُ ردائِـه
فَلَمْ ينصَـرِفْ إلّا وأكْفانُـه الأجْـرُ

وكذلك قوله في القصيدة الثانية:

هُو الضَّيمُ لَوْ غَيْرُ القَضاءِ يـرومُه
شَآه الْمَرامُ الصّعْبُ والمَسْلكُ الوَعْرُ

يذكرنا بقول أبي تمّام:

وقد كان فوْتُ الموتِ سَهلاً فردّهُ
إليهِ الحفاظ المُـرُّ والخُلُق الوعْـرُ

ونلمس شيئاً من المعارضة لقصيدة أبي تمّام:

---

(88) انظر ديوان ابن زيدون: 36 - 41، 152 تحقيق محمد سيد كيلاني.

الـحقُّ أبـلجُ والـسُّيـوفُ عـوار
فـحـذارِ مِنْ أسَـد الْعـرين حَـذارِ

في قصيدة الشاعر المغربي أبي العباس الجراوي التي مطلعها:

أعْـليتَ ديـنَ الْـواحِـدِ القـهّـار
بـالْمَشْـرَفِيـةِ والْقَنـا الخَـطّارِ[89]

وقد كانت مدائح أبي تمّام مثالاً مفضّلاً لدى شعراء المديح في عصر الموحّدين كابن حبوس والجراوي ومما يدلّ على ذلك هذه الرؤيا التي تتصل بيعقوب المنصور ويشير إليها الجراوي في آخر قصيدة له في مدحه إذ يقول

رُؤْيـا لأِمـرِكـمُ الـعَـلِيّ بِـعِـزِّهِ
تَقْضـي وطـولِ بقـائِـه مُـتجـدِّدا
أضْحى «حَبيبٌ» كـاسمـه لَمّـا غَـدا
لِيَ في الْمَنام عَلَى آمْتداحِكَ مُنْجدا
أوْصـى إليّ فَـقُمْـتُ غَيْـرَ مُـضَيّـع
لِـوَصـاتِـهِ عَـنْـهُ وَعَنّـي مُنْـشـدا

وقد ورد في التمهيدِ لهذه القصيدة أنّ لها خبراً عجيباً يذكـر في آخرها[89م].

وعارض بعض شعراء الأندلس رائية أبي تمّام في وصف الربيع:

رقّت حَواشي الدّهرِ فهْي تَمَرْمَـرُ
وغـدا الثّـرى في حَلْيـه يتكسّـر

---

(89) البيان المعرب: 46 - 47 (القسم الموحدي) ط. تطوان.

(89م) حماسة البياسي (مخطوطة).

فقال ابن نصير الكاتب:

انظرْ نَسيم الزّهرِ رقّ فوجهُهُ
لكَ عن أسرّته السّرية يَسفِر
خَضِلٌ بريْعانِ الرّبيع وقد غَدا
للعين وهْوَ من النّضارة مَنْظر
وكأنما تلكَ الرياضُ عرائسٌ
ملبوسُهن مُعصفر ومزعْفَر
أو كالقيانِ لبسْنَ مَوْشِي الحُلى
فلهنّ من وَشْي اللباس تَبَخْتُرُ(90)

وقد نظر في البيت الثاني إلى قول أبي تمام:

دنيا معاشٌ للورى حتى إذا
حَلَّ الربيع فإنّما هي منظر

كما أن التشبيه في البيت الثاني يذكّر بتشبيه أبي تمّام:

مصفرّةٌ محمرّة فكأنّها
عُصَبٌ تَيمّنُ في الوغى وتَمضّر

وإذا كان أبو تمّام قد انتزع صورته من تراث العرب. وأيامها وراياتها المضرية الحمراء واليمنية الصفراء لقرب العهد بذلك وسهولة تهدي الناس يومئذ إليه فإن الشاعر الأندلسي استعمل التشبيه نفسه ولكنه قربه إلى أهل عصره وعامة قرائه وأخذه من لونين مألوفين هما لون العصفر الأصفر ولون الزعْفران الأحمر؛ وَحذا ابن قَلّبيل البجّاني حذو أبي تمّام أيضاً في هذه القصيدة فقال من أبيات:

---

(90) جذوة المقتبس: 369 - 370، 383.

ضحكَ الربيعُ بـرَوْضـةٍ وسميـةٍ
وافتـرّ عن روضٍ أنيقٍ يـزهِـرُ
فكـأنـهُ زُهْـرُ النّجـوم إذا بـدا
وكـأنّها في التـرب وشْيٌ أخْضَـرُ
وكأنّ عَرف نسيمِها عند الصّبا
عَرْفٍ العَبير يفوح فيه العَنْبَرُ[91]

وقد علق د. إحسان عباس على تأثّر الأندلسيين بأبي تمّام في مجال وصف الطبيعة قائلاً: «ومن أغرب الأمور أن يكون شعر أبي تمّام محرّكاً في وصف الطبيعة وأنموذجاً للأندلسيين في هـذا المقام»[92] ولكن الـدكتور البهبيتي يرى أن وصف الطبيعة هو «من أهمّ ما سار فيه الشعر قدماً على يد أبي تمام»[93] ويقول الدكتور شوقي ضيف: «ولعلّ من الطريف أنه وقف بعض مقدماته على وصف الطبيعة»[94].

أما سينية أبي تمام المشهورة في مدح المعتصم: «ما في وقوفكَ ساعةً من باسٍ» فقد كانت من محفوظ شعره المشهور، وقد ساقها من حفظه المحدّث ابن دحية في كتابه النبراس[95]. ونجد لابن عبد ربّه شعراً في وزنها ورويها وموضوعها يمدح فيه القائد أبا العباس، ومنه قوله:

الـلهُ جـرّد لـلنـدى والـبـاسِ
سـيفـاً فـقـلّده أبـا الـعَـبْـاسِ
ملكٌ إذا استقبلتَ غـرة وجْهِـه
قبضَ الـرّجاءُ إليـكَ روحَ اليأسِ

(91) المصدر نفسه: 366.
(92) تاريخ الأدب الأندلسي 1 :111 ط. 2.
(93) تاريخ الشعر العربي: 499. ط. دار الكتب المصرية 1950.
(94) تاريخ الأدب العربي 3 :28 ط. 2.
(95) النبراس: تحقيق عباس العزاوي، وهبة الأيام للبديعي

وجـهٌ عليه من الحيـاءِ سكينـةٌ
ومحبّـةٌ تجـري مـع الأنْفـاسِ
وإذا أحبَّ الله يـومـاً عـبـدَهُ
أَلْقَى عليه محبّـةً للنّـاسِ [96]

وبهذا البيت الأخير تسامى ابن عبد ربّه إلى رتبة أبي تمام في إرسال ما يُتمثّلُ به من الشعر؛ وفي ديوان الأعمى التطيلي سينية مطلعها:

شِعْـري وجودُكَ يـا أبـا العَبّـاسِ
مَثَـلانِ قَدْ سـارا بنـا في النّـاس

ويبدو أنه حذا فيها حذو أبي تمّام، ونظم شاعر مغربي من أهل القرن العاشر الهجري هو محمد بن إبراهيم الفاسي قصيدة في معارضة سينية أبي تمام أيضاً ومطلعها:

أَسَقيط طَـلٍّ في حـديقـةِ آس
أَمْ ذا حَبـابٌ دارَ فـوقَ الكـاسِ

وقد ضمّنها مطلع أبي تمّام فقال:

طـارَ الفؤادُ بِهـا فقـالَ وقـارُهـا:
«ما في وقوفك ساعة من باسِ» [97]

وفي ديوان ابن الزقّاق قصيدة يبدو أنه عارض فيها أبا تمّام وهي القصيدةُ التي مطلعها:

قفا نَقتبسْ مِنْ نور تِلْكَ الرَّكائب
فَما ظَعنَتْ إلّا بزُهر الكَواكبِ [97م]

(96) العقد 1: 269.
(97) ريحانة الألبا: 131 المطبعة الوهبية 1294 هـ.

فهي محاذية لقصيدة أبي تمام:

عَلى مثلِها من أرْبُعٍ وملاعِبِ
أذيلَتْ مَصوناتُ الدّموعِ السواكب

ونجد لشعراء أندلسيين ومغاربة آخرين قصائد على وزن بعض قصائد أبي تمّام ومن بحرها وقافيتها، وإذا لم تكن نية المعارضة فيها حاصلة والقصد إليها قائماً فإن استحضارها يفضحه تضمين بيت أو اقتباس شطر من النموذج المحكي كقول المعتمد في آخر شعر له:

فَهاكَها قِطعةً تَطوي لها حسداً:
«السيفُ أصدق إنباءً من الكتب»[98]

وقول ابن اللبّانة في شعر له:

حبيبٌ إلى قلبي حبيبٌ لقولِهِ:
«عَسى وطنٌ يدنو بِهِمْ ولَعَلّما»[99]

وضمّن الشطر نفسه ابن صارة في آخر أبيات له إذ يقول:

وأزمع يأساً ثم أذكرُ أنّني
بحضرة أزكى الناسِ فرعاً ومنْتَمى
فأرتقب العتبى وأشدو تعلّلاً
«عسى وطن يدنو بهم ولعلّما»[100]

وضمَّنَ الأعمى التّطيلي شطر بيت لأبي تمام فقال:

(98) الذخيرة ق 2 م 1: 68.

(99) المصدر نفسه ق 2 م 1: 78.

(100) قلائد العقيان: 303 ط. باريس المصورة في تونس.

نهجت سبيل المجد من بعد ما عفَت

«ومحّتْ كما محّتْ وشائع من بُرْدِ»[101]

ويقول عبد الرحمن بن سليمان البلوي من قصيدة مدحية له مضمّناً بيتاً لأبي تمام:

وقد اخلَقَتْ أثوابُ عبدكَ وانطوَى

على جمرةٍ في صدره تتلَهّبُ

«وأنت العليمُ الطبُّ أي وصيةٍ

بها كانَ أوصى في الثياب المهلّبُ»[102]

وكتب أبو الحسن بن أضحى إلى بعض أصحابه معتذراً بهذين البيتين:

ومستشفعٍ عنْدي بخَيْر الوَرى عِنْدِي

وأولاهمُ بالشُّكْر منّي وبالحَمْدِ

وصلتُ فلَمّا لَمْ أقُمْ بجَزائِهِ:

«لَفَفْتُ لَهُ رأسي حَياءً من المَجْدِ»[103]

إن معارضة قصائد أبي تمام المقصودة وغير المقصودة وتضمين أبياته وأشطاره شيء لا حصر له وما قصدنا إلاّ التمثيل ببعضه والتدليل على تأثيره.

ب ـ والمظهر الثاني أن شعر أبي تمام كان ـ كعامة الشعر القديم والمحدث ـ من المحفوظ الذي تجري ألفاظه ومعانيه على ألسنة الشعراء

(101) ديوان الأعمى التطيلي: تحقيق د. إحسان عباس.

(102) جذوة المقتبس: 254.

(103) نفح الطيب 4: 163.

وأقلام الكتاب في الأندلس والمغرب وكانوا لا يستطيعون التخلّص من تأثيره حينما يكتبون أو يشعرون، ومن هنا نجدهم يقعون على مَعانٍ وصورٍ وصيغ سبق إليها أبو تمّام، وقد شغل بعض دارسي الأدب وشراح الشعر بهذا الموضوع في الأندلس وتناولوه في إطار السرقات، وهو الأسلوب المعْهود في الدرس الأدبي يومئذ، ومنحاهم في هذا الأسلوب مختلف، فمن معتدل كابن دحية وابن بسام الذي يقول: «ولست أقول أخذ هذا من هذا قولاً مطلقاً، فقد تتوارد الخواطر، ويقع الحافر على الحافر، إذا الشعر ميدان والشعراء فرسان» ومن متشدد كابن حزم إذ يقول: «والذي ذكره المتكلمون في الأشعار من الفصل الذي سموه المواردة وذكروا أن خواطر الشعراء اتفقت في عدة أبيات فأحاديث مفتعلة لا تصح أصلاً ولا تتصل، وما هي إلا سرقات وغارات من بعض الشعراء على بعض».

وتواردُ شعراءِ الأندلس والمغرب مع أبي تمام ونظرهم إلى معاني شعره كثير نحيل في مجموعه على ذخيرة ابن بسّام وقراضة الذهب لابن رشيق والرائق أو شرح المختار من بشار وشرح المقامات للشريشي وشرح مقصورة حازم للشريف السبتي وغيرها، ونكتفي هنا ببعض الأمثلة منها، فقد ذهب ابن بسام إلى أن ابن زيدون استوحى قوله:

بني جهورٍ أحرقتم بجفائكم
جَناني فما بالُ المدائح تعبَقُ
تعُدونني كالمندل الرّطْب إنما
تطيب لكم أنفاسه حين يُحْرقُ

من قول أبي تمّام:

لولا اشتعال النار فيما جاوزَتْ
ما كانَ يُعرفُ طيبُ عَرْفِ العود[104]

(104) الذخيرة ق. 1 م. 1 ص 354.

وأن قول الشاعر المذكور:

ويـذكرني العقـدَ المـرنّ جُمـانُـه
مُرِنّاتِ وُرْقٍ في ذرى الأَيْكِ هُتّفُ

منسوخ من قول أبي تمام:

وبـالحلْي إن قامتْ تـرنّمَ فـوقَها
حَماماً إذا لاقى حَماماً تَـرَنّما[105]

وأن قوله أيضاً:

ومحـاسنٌ تنْـدَى رقـائقُ ذِكْـرِهـا
فتكـادُ تـوهِمُـكَ المـديـحَ نَسيبـا

قريب من قول أبي تمّام:

طـابَ فيـهِ المـديـحُ والتـذّ حَتّى
فـاقَ وصفَ الديـارِ والتشبيبـا[106]

ولمّا أورد ابن بسام قول ابن حصن الإشبيلي:

فقلْتُ صِلي قدْ ضِقتُ ذرعاً بهجرِكُمْ
فقالتْ صَهٍ قدْ ضِقتُ ذرعاً بدملُجي

قال: «وهذا المعنى مشهور، وهو في شعرهم كثير إلاّ أنـه غَوّره وأبعدَه، وأوعز لفظَه وعقّدَه، والذي إليهِ أشار، وعليه دار، قولُ أبي تمّام:

يعنّفني أن ضِقـتُ ذرعـاً ببـينِـه
ويجْزَع أن ضاقتْ علي خلاخِلُه[107]

(105) المصدر نفسه ق 1 م. 1: 377
(106) المصدر نفسه ق. 1 م. 1. 382
(107) المصدر نفسه ق. 2 م 1 ص 170.

والأمثلة من هذا القبيل في الذخيرة متعـدّدة، ولا أريدُ أن أطيـل بتتبعها.

وكان حازم القرطاجنّي متملّئاً من شعر أبي تمام، ويظهرُ أثر محفوظه على لسانه من حين لآخـر في مقصورته، يقول:

جيشٌ جيـوشُ الرُّعْب من قُـدّامِهِ
تَسْـري وتغزو قبلَهُ مَنْ قـدْ عَـزا

وهو كما يقول شارح المقصورة من قول أبي تمام:

لم يغْزُ جَيْشاً ولم ينهَدْ إلى بلدٍ
إلاّ تقــدّمَــه جيْشٌ من الــرُّعُب

ويقول حازم أيضاً:

وَكُـلّ نِضْوٍ فـوقَ نِضْوٍ قـد رَعتْ
منهُ الْفَلا مـا كانَ مِنْهـا قَدْ رَعَى

وهذا قول أبي تمّام بعينه:

رعتـهُ الفَيافي بعـدما كـانَ حقبـةً
رَعاها ومَاءُ الرَّوضِ ينهَلُّ ساكِبُـهْ

ويقول حازم في المقصورة كذلك:

أضحتْ بـه صُلْعُ الـرُّبَى معتَمّـةً

وهو من قول أبي تمام:

حتّى تعمّمَ صلع هامات الرّبَى[108]

---

(108) رفع الحجب المستورة 1: 89، 2: 8، 33 - 34.

وقد تتبع الشريف مثل هذا في شرحه المذكور، ونجد نحو هذا الصنيع عند الشريشي في شرح المقامات، فهو يناظر كثيراً بين أشعار الأندلسيين وأشعار سابقيهم من المشارقة في المواضيع المشتركة وذكر في هذا السياق أمثلة من معاني الأندلسيين التي نظروا فيها إلى أبي تمّام(109).

ولم يكن شعراء المغرب الكبير أقلّ تأثّراً من الأندلسيين بأبي تمّام، وقد ظهر أثره على الخصوص في شعراء القرن الخامس الهجري حين بلغ الازدهار الشعري قمته بالقيروان، ومن أبرز هؤلاء الشعراء المتأثرين بطريقة أبي تمّام إبراهيم الحصري، وفيه يقول ابن رشيق:

«وكان شاعراً نقّاداً عالماً بتنزيل الكلام، وتفصيل النظام يحسن المجانسة والمطابقة، ويرغب في الاستعارة، تشبّهاً بأبي تمّام في أشعاره متتبّعاً لآثاره، وعنده من الطبع ما لو أرسله على سجيته لجرى جري الماء، ورق رقة الهواء» ومنهم عبد الرزاق بن علي النحوي الذي وُصِف بأنه «صَناعٌ أحيا سنن أبي تمّام» ولو وصل إلينا «الأنموذج» لابن رشيق لَلَمسنا ما كان لأبي تمام من أثر في أولئك الشعراء، ومع ذلك فإننا نجد شيئاً منه من خلال العمدة والقراضة ورسالة الانتقاد والرائق بأزهار الحدائق وزهر الآداب، ففيها شواهد متعدّدة على انتشار شعر أبي تمّام وتأثيره في بيئة القيروان الأدبية، ولذلك يقول ابن شرف في رسالة الانتقاد: «وديوانه مقرو، وشعره متلو» وقد أشرنا فيما سبق إلى بعض شعراء بجاية الذين كانوا يترسّمون طريقة أبي تمّام في القرنين السادس والسابع الهجريين.

6 ـ وثمة مستوى آخر لذيوع شعر أبي تمّام وهو يتجلى في هذه الأبيات المبثوثة في ثنايا الرسائل الإخوانية والديوانية وفي تضاعيف الكتابة الأندلسية والمغربية على العموم، وهذا باب كبير لا سبيل إلى تتبّعه.

وسأكتفي بما ورد في رسائل الذخيرة والقلائد، فمن ذلك الأبيات الآتية:

(109) انظر على سبيل المثال جـ 1 ص 125.

ـ يَحْميهِ لألاؤه ولَوْذعيتُه
مِنْ أن يُذالَ بمَن أو ممّن الرّجُلُ(110)
ـ وإذا امرؤٌ أسدى إليكَ صنيعةً
مِنْ جاهِهِ فكأنّها مِنْ مالِهِ(111)
ـ أرضُ الفِلاحَةِ لو أتاها جَرْوَلٌ
أعْني الحطيئةَ لاغتدَى حَرّاثا(112)
ـ له كبرياءُ المُشْترِي وسُعودُه
وسَطوةُ بهرامٍ وظَرْفُ عُطارِدِ(113)
ـ إن نفترقْ نسباً يؤلّفْ بَيْنَنا
أدبٌ أقمناهُ مَقامَ الْوالِدِ(114)
ـ وإذا امرؤٌ أسْدَى إليك ضيعةً
منْ جاهِهِ فكأنَّها من مالِه(115)
ـ وإنَّ صريحَ الرأي والحزم لامرئٍ
إذا بلغَتْه الشمسُ أن يتحوّلا(116)
ـ إذا ما امرؤٌ ألقَى إليكَ برَحْلِه
فقدْ طابَتْهُ بالنجاحِ مَطالِبُهْ(115م)

(110) الذخيرة ق. 1 :672.
(111) المصدر نفسه. ق. 1: 344.
(112) المصدر نفسه. ق. 1: 838.
(113) المصدر نفسه. ق. 2: 117.
(114) المصدر نفسه. ق. 2: 777.
(115) المصدر نفسه. ق. 1: 344.
(116) المصدر نفسه. ق. 2: 115.
(115 م) المصدر نفسه ق. 2 م 2: 252.

ـ يـا أَسَـدَ المـوتِ تَخلَّصْتَـهُ
مِنْ بين لَحْـيَي القـاصـرَةِ(116م)
ـ عبـأ الكمينَ لـه فـظلّ لحينِـهِ
وكمينُـهُ المُلْقى عليـهِ كَمينُ(117)
ـ كـان الـذي خفتُ أن يـكـونـا
إنـا إلـى الله راجِـعـونـا(118)
ـ نَسيبيَ في رأيـي وعلْمي ومذْهَبي
وإن باعَدتْنا في الأُصولِ المـذاهبُ
ـ وأثبـتَ في مُسْتنقَع الموتِ رِجْلَهُ
وقالَ لها مِنْ تحتِ أَخْمصِكِ الْحَشْرُ

وكان الشعراء والكتاب في ذلك الزمان يكتفون بالتلميح إلى بعض شعره ليعرفه الناس إذ كان مُتَداولاً بينهـم محفوظاً عندهم، ولذلك يقول الكاتب أبو بكر عبد العزيز ابن القبطورنة في آخر رسالة له إلى بعضهم: «وأهديك وداداً مزج باشتيـاق، وأقرئـك سلامـاً ينسي سلام حبيب على الحسن بـن وهب والعراق»(121) وجاء مثل هذا في آخر رقعة أخرى كتبها إلى الشخص نفسه: «وأقرأتُكَ مِن أثناء تلك الـدولة والآفـاق، سلام حبيب على الحسن بن وهب والعراق»(122) والإشارة فيهما إلى قول أبي تمّام:

سـلامٌ تـرجفُ الأَحشـاءُ منْـهُ
على الْحسَنِ بْنِ وهْبٍ والْعِـراقِ

(116 م) المصدر نفسه ق. 2 م. 1: 334.
(117) المصدر نفسه. ق. 2: 254.
(118) قلائد العقيان: 65.
(119) المصدر نفسه: 225.
(120) المصدر نفسه: 243.
(121) الذخيرة ق 2 م 2: 761.
(122) المصدر نفسه ق 2 م 2: 755 - 756.

ويقول سعيد العروضي:

يـا بَني مَعْنٍ لقـدْ طـابتْ بكُمْ
شـجَـرٌ لـولاكـمُ لَـمْ تُـورقِ
لَـوْ سَـقى حَسّـان إحسـانكُمْ
مـا بـكَى نَـدْمـانَـه في جلّقِ
أَوْ دنـا الـطّائي مِـنْ حَـيّكُـمْ
ما حدا البَـرْقُ لِرَبْـعِ الأبرق(123)

وهو يشير في البيت الأخير إلى مطلع قصيدة أبي تمام:

يـا بـرقُ طـالـعْ منـزلاً بـالأبـرَقِ
واحـدُ السَّحابَ لَـهُ حُداء الأَيْنُقِ

وقد وجدنا المؤرخ ابن حيان يستشهد بشعر أبي تمام ويحل شعره في نثره ويلمّح إلى بعض أبياته تلميحات تخفى أحياناً على بعض محققي نصوصه كقوله يصف ما صنعه ابن رشيق المرسي بالشاعر الوزير ابن عمار: «فلم يزل يطلع عليه من الثنايا والشّعاب، حتى أخرجه من مرسية لا كالشهاب» فقد حذف دوزى كلمة لا بينما أثبتها الدكتور حسين مونس كما وردت في الأصل وهو الصحيح، ولكنهما لم يذكرا أنه يشير إلى قول أبي تمام:

فخرَجْتَ منها كالشهابِ ولمْ تزَلْ
مُذْ كُنتَ خرّاجـاً من الغمّاء(123م)

6 ـ إن إعجاب الأندلسيين الشديد بأبي تمام ولّد ردود فعل سلبية أحياناً لدى بعض شعرائهم، وقد ذكرنا قول المعتمد:

---

(123) المصدر نفسه ق 3 م 2: 872.

(123م) انظر الحلة السيراء 2: 135.

فَهاكَها قطعةً تَطوي لَها حَسـداً:
«السيّفُ أصدَقُ إنباءً من الكُتُبِ»[124]

وفخر إدريس بن اليمان بقصيدة له فقال:

ولــو خــطرت بحبيب بن أوسٍ
طَوَى كُلّ ما حاكَهُ في المُعْتَصِمْ[125]

ويقول أبو عبدالله اللوشي مادحاً قطعة للشاعر ابن السقاط:

فــاتَتْ حبيبــاً لَنْ يفــوهَ بمِثلِهــا
وأتتْ بِما يُزري بنُبْلِ البحْتُري[125م]

ومثله قول إبراهيم الساحلي مفتخراً بقصيدته:

وَقَفَ ابنُ أوسٍ دونَها وتخضّبَتْ
في نسْجِ حُلّتها أكفُّ البُحْتُري[126]

ويمدح أبو بحر يوسف بن عبد الصمد بلاغة أبي بكر بن زيدون فقـال:

فــإنْ زَهّــدْتَ طيّــاً في حَبيــبٍ
فقدْ زهّدتَ في كَعْبٍ إيـادا[126م]

ولما قُرِيء على الشاعر المؤدّب أبي العباس أحمد بن سيد الملقب باللص ديوان أبي تمّام ومرّ فيه وصف السيف قال: أنا أشعر منه حيث أقول:

---

(124) الذخيرة ق 2 م 1 :68.

(125) المصدر نفسه ق 3 م 1: 343.

(125م) قلائد العقيان: 222 المطبعة الحـديـون بولاق ي1283 هـ.

(126) الإحاطة.

(126م) الذخيرة ق 3 م 2: 813.

تَـراهُ في غـداة الغَيْمِ شمسـاً
وفي الـظّلماءِ نجمـاً أَوْ ذُبـالا
يـروعُـهُـمُ مُـعـايـنـةً ووَهْـمـاً
ولـو نـامـوا لـرَوّعهم خيـالا[127]

ويبدو أن الوصف الذي وردت الإشارة إليه في الخبر هو قول أبي تمّام:

ونبّهـن مثلَ السّيف لـو لَمْ تسُلّه
يـدانِ لسلّتْه ظُبـاهُ من الغِمْـدِ

وقد ذكر ابن عبد ربه في العقد أنه «من أحسنِ ما قيلَ في وصف السّيف»[128].

ويقول ابن حمديس مفتخراً بأشعاره وبنات أفكاره:

أمّـا بنـاتي المفـردات فـإنّهـا
في الحسن أشهر من بنات حبيب[129]

ومثل هذا في المبالغة قول ابن خفاجة يطري شعر أحد أصدقائه:

بَـرَعْتَ فَـرُعْتَ، فمَنْ ذَا حبيبٌ
ـ لـه الويـل ـ أمْ مَن أبو الـطيّب
ولـو جـاريـاك إلـى غـايَـةٍ
لفُـزْتَ وكـانـا مِنَ الخُيّـبِ[130]

---

(127) التكملة: 80 ونفح الطيب 4 :112.

(128) العقد 1 :183.

(129) ديوان ابن حمديس: 62 تحقيق د. إحسان عباس.

(130) ديوان ابن خفاجة : 246 تحقيق الدكتور السيد مصطفى عازي.

وقال الشاعر أحمد بن طلحة الشقري في محفل: «تقيمونَ القيامة بحبيب والبحتري والمتنّبي، وفي عصركم من يهتدي إلى ما لم يهتدوا إليه»[131] وحاول أن يقنع مستمعيه بسرد الجيد من أشعاره ومعانيه، ويقول ابن خاقان في نونية ابن زيدون المشهورة: «ونزعت منزعاً قصر عنه حبيب وابن الجهم»[131م] بيد أن أقصى ما كان يطمع فيه معظم أولئك الشعراء هو تشبيه شعرهم أو شعر أصدقائهم بشعر حبيب وطبقته، وذلك كقول ابن سعيد العَمّاري مَثلاً في مدح ابن عمّه:

إذا رقَمَ القِرطاسَ قُلتَ ابنُ مُقلةٍ
وإن نظم الأشعارَ قلتَ حبيبُ[132]

ونشير في آخر هذه الفقرات ـ التي استعرضنا فيها مظاهر من عناية المغاربة بأبي تمام وتأثرهم به ـ إلى رأي زميلنا الكبير الدكتور إحسان عباس الذي يقول: «ولكن أبا تمام كان أعمقهم أثراً في الشعر الأندلسي من حيث المبنى الشعري والشكل، ومن تأمل الشعر الأندلسي في هذا العصر (يعني ما أسماه عصر سيادة قرطبة) حق التأمل وجد مبدأ حب الغرابة أو الاستطراف هو الدافع القوي فيه ثم يجيء المبنى بعد ذلك شديد الاعتماد على المطابقة ورسم المتقابلات المتضادة وبلوغ درجة الإحالة في تصيد المعنى ومتفرعاته وظلاله والإغراب بالاستعارة وإن لم يكن هذا شائعاً كثيراً واستعارة النبت والماء في صور بعيدة عن حياة الطبيعة، وهذه الأخيرة من أشيع الصور عند أبي تمّام، ومنها في الشعر الأندلسي قول محمد بن أحمد بن قادم:

قفْ بـرَبْع البِلى وربـعِ الهُـموم
واسْفَحِ الدّمعَ فيهِ سَفْـحَ الغُيومِ

(131) اختصار القدح المعَلّى: 114 ونفح الطيب 3 :307 والإحاطة 1 :236.

(131م) قلائد العقيان: 81.

(132) نفح الطيـب 2 :275.

غيّرتْ آيَهُ صروفُ الليالي
ومَحاها الغَمامُ مَحْو الرَّقيمِ
ساءَ ما اعْتاضَ بالسّحائب من
نبتْ الْمعالي بمَنْبتِ الْقَيصومِ
فَالأسَى حينَ يعْدم الشّيءُ محمـ
ـولٌ علَى قدر جَوْهرِ المَعْلومِ

فقوله نبت المعالي استعارة تمّامية والبيت الأخير أحجية ذهنية كالأشياء التي يعرضها أبو تمام من هذا القبيل، وصورة واحدة هي «تعمم صلع هامات الربى» قد أصبحت في هذا الشعر الأندلسي تدور دوراناً غير قليل»[132م].

7 ـ ونختم هذا الفصل بالإشارة إلى التأثير الكبير الذي كان لحماسة أبي تمّام، فقد عني الأندلسيون والمغاربة بروايتها وحفظها، وما أكثر ذكرها في تراجم الأعلام، وقد يكون غريباً بالنسبة إلى وقتنا أنها كانت من المقررات الابتدائية عندهم، قال ابن عبد الملك المراكشي في ترجمة بعضهم: «وكتب بخطه الأنيق كثيراً من كتب المبتدئين كالجمل وأشعار الستة والحماسة المازنية (يعني حماسة أبي تمام) وفصيح ثعلب ونحوها»[133] كما أنهم عنوا بشرحها وتأليف «حماسات» على طريقتها.

وممن شرحها من الأندلسيين الأعلم الشنتمري وابن سيدة، وعاصم بن أيوب البطليوسي، وأبو الفتوح ثابت الجرجاني وأبو عامر محمد بن ينّق الشاطبي وغيرهم[134]، وقام الأديب النحوي أبو إسحاق إبراهيم بن ملكون بتأليف كتاب سماه: إيضاح المنهج، «جمع فيه بين

(132م) تاريخ الأدب الأندلسي 1 :125 ط. ث.
(133) الذيل والتكملة 5 .232.
(134) انظر في هذه الشروح: فهرسة ابن خير والذيل والتكملة.

كتابي ابن جنّي على الحماسة: التنبيه والمبهج»[135] وتوجد منه نسخة مخطوطة محفوظة في الاسكوريال رقم 312.

وقد صنّفوا حماساتٍ ضاهوا بها حماسة أبي تمّام، ولعلّ أشهرها حماسة الأعلم الشنتمري التي ضمنها حماسة أبي تمام والحماسة البصرية وحماسة الجرجاني وغيرها ورتّب أشعارها وأبوابها وشرحها شرحاً مفيداً، ونظراً لأن هذه الحماسة ما تزال مخطوطة فسنقتبس من مقدمتها ما يلي:

«ثم رأيت الآن أن أختم ما اعتملت فيه قديماً وحديثاً من ذلك بجمع كتابٍ في أشعار الحماسة يقتضي تهذيبها وتنقيحها، وتقييد ألفاظها وتصحيحها، وتبيين معانيها وتقريب غامضها، وتفسير غريبها وغامض إعرابها حتى يكون هذا الكتاب مربياً على جميع التأليفات فيها ومغنياً عن استعمال التصنيفات المحيطة بها، وسميته كتاب تجلي غرر المعاني، عن مثل صور الغواني، والتحلّي بالقلائد، من جوهر الفوائد، ليكون اسمه مطابقاً لمعناه، ورسمه موافقاً لغرضه ومغزاه، ورتبته على حروف المعجم ليقرب بذلك تناولُه، ويسهل على الطالب مرامه، على حسب ما صنعه بعض أهل العصر.

وضمنته كل ما تضمنته الحماسات من الشعر، كالحماسة القديمة المنسوبة إلى أبي تمام التي هي أصل لغيرها، وحماسة أبي الفتوح ثابت ابن محمد الجرجاني[136]، وحماسة أبي أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد بن طيفور القرمسيني[137] البصري مما رواه عن شيوخه كأبي رياش

---

(135) التكملة: 157 - 158.

(136) ترجمته في جذوة المقتبس: 173 وبغية الملتمس رقم 692 والصلة: 135 والذخيرة 1/4: 124 والذيل والتكملة 8 :422 والإحاطة 1 :454 ومعجم الأدباء 7 :145 وبغية الوعاة 1: والتبيان: 32 وفهرسة ابن خير: 404.

أحمد بن أبي هاشم بن الرديني بن شبيل القيسي الربعي[138]، وأبي سعيد الضـريـر[139]، وأبي العميثل[140] وأبـي الحسـن علي بـن سليمـان الأخفش[141] وأبي عبدالله اليزيدي[142]، وأبي حفص عمر بن عبد العزيز الهمداني[143] عن أبي محمد الديمرتي[144] وما نقل من خط الترمذي[145]، ومن خط الأقرع وراق آل طاهر[146] ومن خط أبي عبدالله ابن مقلة[47]، ومن خط أبي سعيـد السكـري[148]، وحـروف وجدهـا بخط أبي مـوسى الحامض[149] وغيرهم ومـا ثبت في كتاب أبيـات المعاني في الحمـاسة للنمري[150] وفي شرح ابن جنّي لها أيضاً[151] وغيرها.

وأبواب جميعها التي تضمنها هذا الكتاب ثلاثة عشر باباً: فالأول باب في الشجاعة، والثاني باب في المراثي والثالث باب في الأدب والرابع باب في النسيب، والخامس باب في المديح، والسادس باب في الأضياف، والسابع باب في الهجاء، والثامن باب في الصفات والتاسع باب في السير والنعاس والعاشر باب في الملح والطّرَف والمفاحشات، والحادي عشر باب

---

(137) ترجمته في تاريخ بغداد 11 :57 وبغية الوعاة 2 :95 ونزهة الألباء: 247.
(138) ترجمته في إنباه الرواة 1 :25 ومعجم الأدباء 2 :124.
(139) ترجمته في إنباه الرواة 1 :41 ومعجم الأدباء 3 :15.
(140) ترجمته ومصادرها في وفيات الأعيان 3 :89.
(141) ترجمته ومصادرها في وفيات الأعيان 3 :301 - 303.
(142) ترجمته في طبقات الزبيدي: 78.
(143) لم نقف على ترجمته.
(144) ترجمته في معجم الأدباء 16 :319 وهدية العارفين 1 :827.
(45) انظر الفهرست لابن النديم: 66، 88.
(146) لم نقف على ترجمته.
(147) ترجمة ابن مقلة الخطاط في وفيات الأعيان 5 :113 - 118.
(148) ترجمته في بغية الوعاة 1 :502.
(149) ترجمته ومصادرها في إنباه الرواة 3 :21، 141 وطبقات الزبيدي: 170.
(150) ترجمته في إنباه الرواة 1 :25.
(151) لابن جني شرحان على الحماسة هما التنبيه والمبهج.

في مذمة النساء والثاني عشر باب في القصر والثالث عشر باب في الكبر.

وهذا الباب الثالث عشر زائد على ما تضمّنت حماسة أبي تمام القديمة وحماسة أبي الفتوح الجرجاني وغيره، وهو ثابت في حماسة عبد السلام فأتيت به ليأتي هذا الكتاب على جميع ما تضمنت الحماسات المختلفة من الأبواب».

وقد نسخت حماسة الأعلم هذه حماسة أبي تمام عند ظهورها في الأندلس، قال أبو إسحاق إبراهيم بن ملكون الحضرمي في إيضاح المنهج: «ولمّا كانت حماسة أبي تمّام ـ الموضوع كتابا أبي الفتح هذان (يشير إلى التنبيه والمبهج) على ترتيبها ـ مجفوة القدر في عصرنا ومطرحة الاستعمال عند أبناء دهرنا حين أخنت هذه الحماسة الأعلمية عليها باستمالة النفوس إليها..»[152] ويؤيد هذا الكلام ما نجده مِن روايتها في برامج العلماء من أهل القرنين السادس والسابع وما بعدهما كما أنها انتقلت إلى المشرق، وقد ورد ذكرها في خزانة الأدب للبغدادي[153]، ووقف عليها ابن خلّكان، قال في ترجمة الأعلم: «وغالب ظني أنه شرح الحماسة، فقد كان عندي شرح الحماسة للشنتمري في خمسة مجلّدات وقد غاب عنّي الآن من كان مصنّفه وأظنه هو والله أعلم وقد أجاد فيه»[154].

والحماسة الثانية بعد حماسة الأعلم هي حماسة الشاعر المغربي أبي العباس الجِراوي، وقد نوّه بها ابن الأبار وابن خلّكان وغيرهما، قال ابن الأبار في التكملة: «وألّف للسلطان كتاباً في معنى الحماسة لحبيب سماه صفوة الأدب ونخبة كلام العرب أخذه الناس عنه، وكان شيخنا أبو الحسن سهل بن مالك يثني على هذا التأليف وحدثنا به عنه هو وأبو الربيع بن سالم

(152) مخطوط الاسكوريال.

(153) خزانة الأدب.

(154) وفيات الأعيان 7: 81 - 82.

وأبو عبدالله محمد بن عبد الجبار الرعيني وغيرهم»[155] وقال ابن خلكان: «وجمع كتاباً يحتوي على فنون الشعر على وضع الحماسة لأبي تمّام الطائي وسماه: صفوة الأدب وديوان العرب، وهو كثير الوجود بأيدي الناس، وهو عند أهل المغرب كالحماسة عند أهل المشرق»[156] وقد ذكر هذه الحماسة أيضاً حاجي خليفة، والاسم المختصر الذي عرفت به هو الحماسة المغربية وتوجد منها نسخة مختَصَرة محفوظة في خزانة طوغلو باشا تحت رقم 4079.

وألّف الأديب الإشبيلي دفين مراكش أبو القاسم أحمد بن محمد البلوي حماسة أكبر من حماسة الجراوي وسماها: «روض الأديب والمنزه العجيب»[157].

وفي القرن السابع الهجري ألف الأديب الحافظ أبو الحجاج البياسي حماسة أصبحت تعرف بالحماسة البياسية نسبة إلى مؤلفها المنسوب إلى بياسة في الأندلس وتتميز هذه الحماسة على الحماسات السابقة بكونها تشتمل على أشعارٍ أندلسية ومغربية، وقد تحدث عن هذه الحماسة البياسية ابن خلكان فقال: «ورأيت له كتاب الحماسة في مجلّدين، وقد قرئت هذه النسخة عليه وعليها خطّه كتبه في أواخر شهر ربيع الآخر سنة خمسين وستمائة، وقال في آخر الكتاب: وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس، حرسها الله تعالى في شوال سنة ست وأربعين وستمائة ونقلت من أوله بعد الحمدلة ما مثاله: أما بعد فإنّي قد كنت في أوان حداثتي، وزمان شبيبتي، ذا ولوع بالأدب، ومحبة في كلام العرب، ولم أزل متتبّعاً لمعانيه ومفتّشاً عن قواعده ومبانيه، إلى أن حصلت لي جملة منه لا يسع الطالب المجتهد جهلها، ولا يصلح بالناظر في هذا العلم إلا أن

---

(155) التكملة: 128 - 129.

(156) وفيات الأعيان 7 :12، 137.

(157) الذيل والتكملة 1. :456.

يكون عنده مثلها، وحملتني المحبّة في ذلك العلم والولوع به على أن جمعت مما اخترته من أشعار العرب جاهليها ومخضرميها وإسلاميها ومولّدها، ومن أشعار المحدثين من أهل المشرق والأندلس وغيرهم، ما تحسن به المحاضرة، وتحمل عليه المناظرة، ثم إنني رأيت أن بقاءها دون أن تدخل تحت قانون يجمعها وديوان يؤلفها، مؤذن بذهابها ومؤدٍّ إلى فسادها، فرأيت أن أضمّ وأجمع مستحسنها، تحت أبواب تقيّدُ نافرها وتضمُّ نادِرَها ونظرت في ذلك فلم أجد أقرب تبويب، ولا أحسن ترتيب ممّا بوّبه ورتّبه أبو تمّام حبيب بن أوس رحمه الله تعالى في كتابه المعروف بالحماسة وحسن الاقتداء به، والتوخّي لمذهبه، لتقدّمه في هذه الصناعة، وانفراده منها بأوفر حظّ وأنفس بضاعة، فاتبعتُ في ذلك مذهبه ونزعت منزعه، وقرنت الشعر بما يُجَانِسُه، ووصلته بما يناسبه، ونقّحت ذلك واخترته على قدر استطاعتي، وبلوغ جهدي وطاقتي»[158].

هذه فقرات من مقدمة الحماسة البياسية أوردتها لدلالتها على نهجه في ترتيبها نهج أبي تمام من جهة ولنصه فيها على اختيار أشعار الأندلسيين، وقد نقل ابن خلكان شيئاً من بعض أبوابها، وتوجد قطعة صالحة من هذه الحماسة مخطوطة في بعض الخزائن الخاصة بالمغرب وعندي صورة عنها، وكنت اخترت منها الأشعار الأندلسية على حدة من أجل نشرها فلم يتيسّر ذلك إلى الآن، وفيما يلي أسماء الشعراء الأندلسيين والمغاربة المختار لهم في هذه الحماسة:

- سليمان المستعين الأموي.
- ابن هانيء.
- ابن دراج.
- الرمادي.

(158) وفيات الأعيان 7: 238 - 244.

- إدريس بن اليمان.
- عبد الكريم النهشلي.
- محمد بن حبوس.
- ابن زيدون.
- ابن رشيق.
- ابن شرف (أبو عبدالله).
- ابن الحدّاد.
- ابن حمديس.
- أبو بكر بن الملح.
- أبو الوليد النحلي.
- أبـو العـرب الصقلّي.
- أبو الحسن بن سِيدة.
- أبو الحسن الحصري.
- محمد بن خلصة الضرير.
- ابن سارة.
- ابن عبدون.
- أبو الحجاج المنصفي.
- أبو الحسن علي بن خروف.
- أبو الحسن علي بن الفصل الأوريولي.
- أبو الحسن علي بن حريق.
- أبو الحسن علي بن حزمون.
- ابن عمّار.
- ابن عباد.
- ابن اللبانة.
- ابن وهبون.
- حسان بن المصّيصي.

- أبو عبدالله الخشني.
- أبو الوليد يونس القسطلّي.
- الجراوي (أبو العباس أحمد).

ومن الحماسات الأندلسية أيضاً حماسة أبي حفص عمر بن منذر الصدفي الأندلسي، قال ابن عبد الملك المراكشي: «كان أديباً حافظاً، وصنّف في منحى حماسة حبيب مصنّفاً حسناً أفاد به»[159].

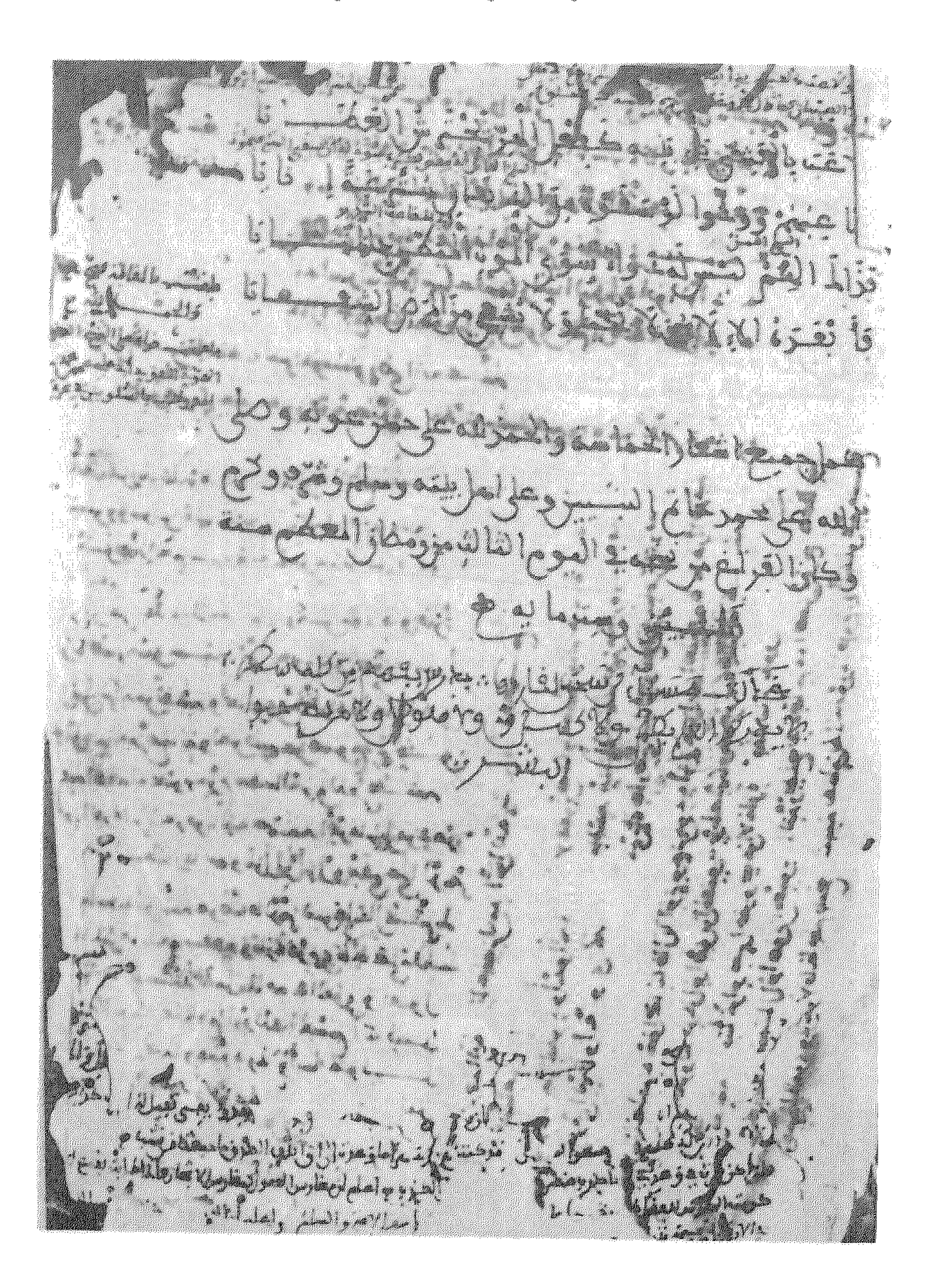
من هذه الإشارات والأخبار التي لَمْ نقصد فيها إلى الاستقصاء يتجلّى التأثير الذي كان لأبي تمام في الحياة الأدبية بالأندلس والمغرب، وذلك بواسطة شعره أولاً وحماسته ثانياً.

---

(159) الذيل والتكملة 5: 471.

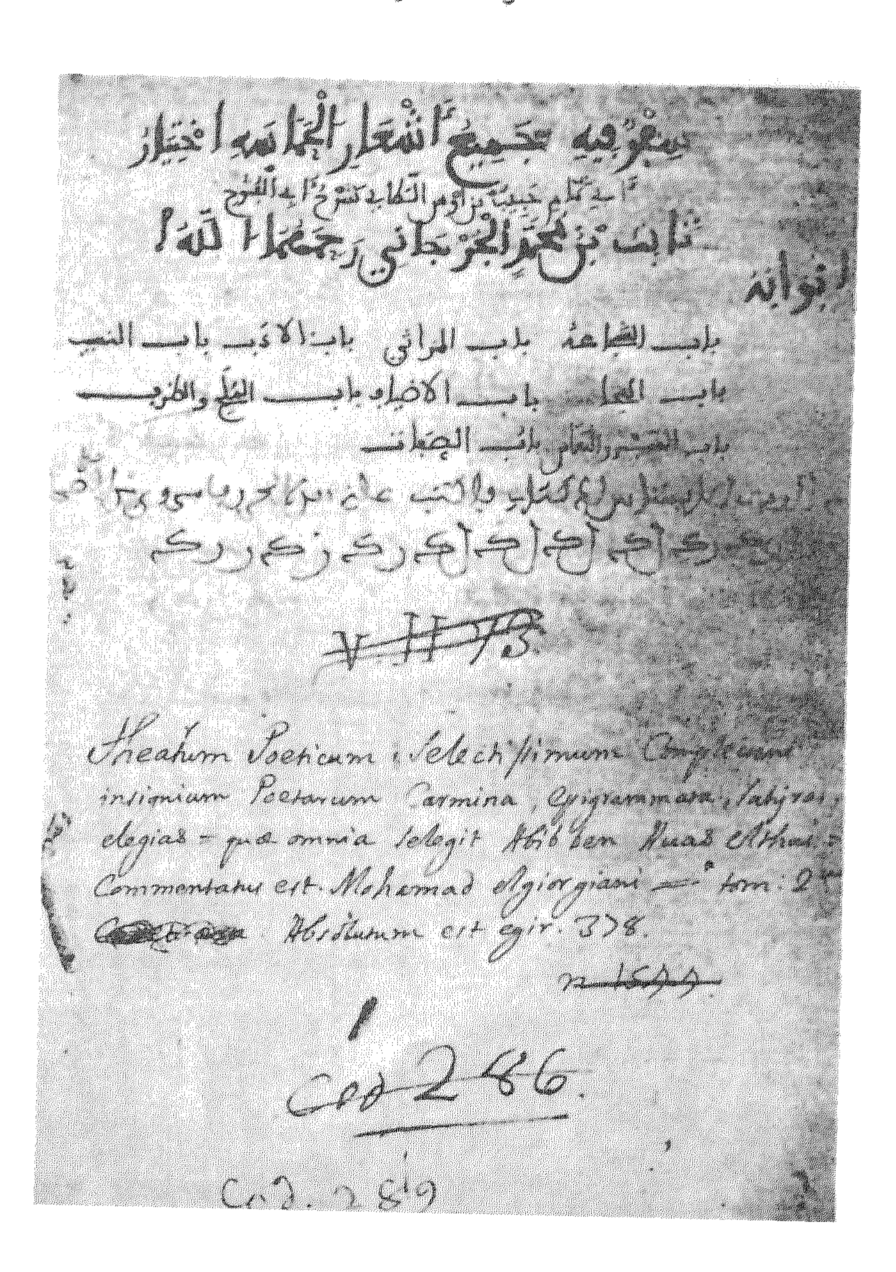
الورقة الأخيرة من ديوان أبي تمام برواية القالي (مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط).

آخر ترتيب الحماسة للأعلم
مخطوطة الخزانة الحسنية بالرباط.


كمل جميع اشعار الحماسة والحمد لله على حسن عونه وصلى
الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اهل بيته وسلم
وكان الفراغ من نسخه في اليوم الثالث من رمضان المعظم سنة

أول شرح الحماسة للجرجاني.

مخطوطة الأسكوريال.



يحتوي على جميع أشعار الحماسة اختيار

أبي تمام حبيب بن أوس الطائي

ثابت بن محمد الجرجاني رحمهما الله

أبوابه

باب الحماسة باب المراثي باب الأدب باب النسيب

باب الهجاء باب الأضياف باب المُلَح والطُّرَف

باب الصفات

Theatrum Poeticum Selectissimum Complectens insignium Poetarum Carmina, Epigrammata, Satyras, elegias – quae omnia selegit Abi ben Auas Althai = Commentatus est Mohamad elgiorgiani = tom. 2 Absolutum est egir. 378.

Cod. 246.

Cod. 289

أول شرح الحماسة للجرجاني.

مخطوطة الأسكوريال.

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما

قال الأستاذ أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني

باب الحماسة

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

إذاً لقام بنصري معشر خشن عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

آخر شرح الحماسة للجرجاني.

مخطوطة الأسكوريال.

الفصل الثاني

أبو الطّيّب في أدب الأندلسيّين والمغاربة



إذا كانت الدراسات المتنبّئية قد بلغت مبلغاً كبيراً من التوسّع والتنوّع[1] فإن بعض الجوانب المتصلة بالشاعر الكبير ما تزال في حاجة إلى الإبانة والإحاطة، ومنها إبراز عناية المغاربة بشعره وإظهار موقعه في أدبهم.

وصحيحٌ أن بعض الدارسين تناولوا هذا الموضوع أوْ أطرافاً منه منذ وقت مبكر، ومنهم المستعربان الأستاذ بلاشير والأستاذ غرسية غومث ثم الأستاذ علال الفاسي، وتناوله في وقت متأخر الأستاذ ابن تاويت التطواني والأستاذ محسن جمال الدين[1م].

وسنتناوله الآن بما يضيف إليه جديداً ويزيده غنى، وذلك حسب التصميم الذي سرنا عليه في الفصل السابق تقريباً.

أ ـ الأسانيد:

من سمات الثقافة العربية الإسلامية القديمة على العموم والمغربية

---

(1) انظر على سبيل المثال: رائد الدراسة عن المتنبّي تأليف كوركيس وميخائيل عواد، والمتنبي في آثار الدّارسين تأليف عبدالله الجبوري.

(1م) انظر ديوان المتنبي في العالم العربي. ترجمة أحمد أحمد بدوي من ص 41 إلى ص 54 ومع شعراء الأندلس والمتنبي. تعريب الطاهر مكي ومجلة المغرب الجديد 1936 (عدد خاص بالمتنبي) ومجلة المورد 1977 (العدد الخاص بالمتنبي) ومجلة دعوة الحق 1968 (عدد 6 - 7).

على الخصوص عناية أهلها بالرواية واهتبالهم بالأسانيد، ولم تكن الرواية عندهم من متعلّقات الحديث وغيره من العلوم الدينية فحسب وإنما أخذوا بها في سائر العلوم النقلية تقريباً.

وإن الدارس للتراث المغربي ليعجب من كثرة برامج العلماء ومشيخاتهم التي حرصوا فيها على توثيق الكتب بأسانيد متصلة بمؤلفيها؛ وهذه البرامج هي باختصار عبارة عن جرد شامل، ورصد كامل لانتقال المؤلفات من المشرق إلى المغرب[2].

وقد رجعنا إلى بعض هذه البرامج لمعرفة سيرورة شعر المتنبي وانتشاره في البيئات الأدبية المغربية فوجدنا أن إفريقية وقاعدتها القيروان من أقدم هذه البيئات اتصالاً بشعر المتنّبي، ويدلّنا على ذلك أيضاً قصيدة في ديوان الشاعر محمد بن هانيء الذي أدرك زمن المتنبي، والقصيدة تتحدث عن نسخة من شعر أبي الطيب وصلت إلى القيروان في حياته، فاستعارها الشاعر من صاحبها الذي لقي المتنبي، ولكنه كان حريصاً على نسخته فألحّ في استرجاعها من الشاعر الذي اغتاظ وقال قصيدة يتهكم فيها بصاحبه وينال من المتنبي نفسه، ومنها قوله:

تَنبّأ المُتَنبّي فيكُمُ عُصُراً
وَلَوْ رأى رَأيكُمْ في شعْرِه كَفَرا
مَهْلاً فلا المتنبّي بالنّبي ولا
أعُدُّ أمثالَه في شعرِه السُّوَرا
تهتُمْ علينا بمرآهُ وعلّكُمُ
لم تدركوا منه عيناً لا ولا أثرا

(2) راجع بحث استاذنا المرحوم عبد العزيز الأهواني حول كتب برامج العلماء في مجلة معهد المخطوطات.

وهي قصيدة تقع في 21 بيتاً[3].

وثمة خبر في «الصبح المنبي» عن تلاقي ابن هانِىء والمتنّبي في القيروان ولكنه خبر من نسيج الخيال[4].

ومهما يكن الأمر فلعلّ النسخة المذكورة وغيرها كانت منشأ عناية القيروانيين المبكّرة بالمتنّبي، ومن أوائلهم عبد الكريم النهشلي الذي استشهد بشعره في الممتع، والحصري الذي اختار منه في زهر الآداب والقزاز الذي خصّه بتأليفين، وابن رشيق الذي تحدث عنه كثيراً في العمدة، وابن شرف الذي قيم شعره في مقامته النقدية؛ وقد نقل الوزير أبو القاسم المغربي أن المغاربة كانوا يسمونه المتنبّه، وهذا يلتقي مع التعليل الذي نجده في الممتع للنهشلي: «قيل له المتنبي لفطنته» وأشار إلى هذا الرأي ابن رشيق في العمدة[5].

ولا ننسى الإشارة إلى المتيم الإفريقي أبي الحسن محمد بن أحمد المغربي الذي كان «راوية المتنبي» وألف «الانتصار المنبي عن فضائل المتنّبي» رد فيه على من زعم أن شعر المتنبي مسروق من أبي تمّام والبحتري[5م] فهو وإن عاش في المشرق فإن مطلعه من المغرب.

أما الأندلسيون فلدينا أخبارٌ تشير إلى الْتِقاء بعضهم به في مصر

---

(3) انظر تحليل الأستاذ غرسيه غومث لهذه القصيدة في مقالته عن المتنبي وابن هانىء (ترجمة د. الطاهر مكي).

(4) الصبح المنبي وذكر ابن شهراشوب «أن المتنبي لما توجه إلى مصر سمع منشداً يقول:

تَقَدَّمْ خُطىً وتأخَّرْ خُطَىً ... فإنَّ الشَّبابَ مَشَى القَهْقَرَى

فقال المتنبي: سد ابن هانىء علينا طريق المغرب وانصرف» معالم العلماء: 148؛ وانظر أيضاً: ابن هانىء لليعلاوي: 17، 296.

(5) وفيات الأعيان والممتع: 283 والعمدة 1: 75 ونصرة الثائر: 180 قال الصفدي: «وهذا تحريف حسن من المغاربة، وما يليق أن يطلق عليه المتنبي».

(5م) رائد الدراسة عن المتنبي: 310 - 311. والمصادر المحال عليها.

وسماعه منهم شيئاً من شعر أهل الأندلس، ومن هذه الأخبار ما ذكره ابن خاقان في المطمح من أن أبا الوليد ابن عيال الأندلسي لما انصرف من الحج اجتمع مع أبي الطيب في مسجد عمرو بن العاص بمصر ففاوضه قليلاً ثم قال له: أنشدني لمليح الأندلس يعني ابن عبد ربه، فأنشده:

يـا لؤلؤاً يسبي العقـول أنيقـا
ورشـاً بتعـذيبِ القُلوب رَقيقـا
مـا إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثلِهِ
درّاً يعـودُ من الحيـاءِ عَقيقـا
وإذا نـظرتَ إلى محـاسنِ وجههِ
أبصرتَ وجهكَ في سَناه غَريقا
يـا مَنْ تقـطّع خَصـرُه مِنْ رِقّـةٍ
مـا بـالُ قَلْبِـكَ لا يكـونُ رَقيقـا

فلما أكمل إنشادَها استعادَها ثم صفق بيديه وقال: يا ابن عبد ربه، لقد تأتيك العراق حبواً[6]؛ ومنها خبر لقاء ابن المستكفي المتنبي بمصر أيضاً وروايته عنه شيئاً من شعره[7]؛ ونقرأ في الذخيرة لابن بَسّام هذا الخبر: «وحكي أن أبا الطيب المتنبي على قلّة رضاه عن شعر أحد فإنه على ما ذكر عنه أنشد لجملة من شعراء الأندلس حتى أنشد قول ابن هذيل:

لَمّا وضعتُ على قلْبي يَدي بِيدي
وَصِحْتُ في الليلةِ الظّلماءِ واكَبدي

(6) مطمح الأنفس: 52 ونفح الطيب 3 :564، 7 .51 وابن عيال في الرواية ورد في بعض النسخ ابن غتال، وفي بعضها: ابن عباد والاهتداء إلى شخصيته عسير في الجملة، والخبر أيضاً في شرح مقصورة حازم 1 :183.

(7) نفح الطيب 2 :222.

ضجّتْ كواكِبُ لَيْلي في مَطَالِعِها
وذابت الصَّخرةُ الصّمّاءُ مِنْ جَلَدِي

فقال: هذا أشعر أهل المغرب»[8].

ومنها خبر رابع يتحدّث عن تعليق بذيء للمتنبي على قول الرمادي:

في أي جارحةٍ أصونُ مُعذّبي
سلمَتْ من التعذيب والتنكيلِ

وكان الرمادي لما سمع قول المتنبّي:

كَفى بجسمي نحولاً أنني رجلٌ
لولا مخاطبتي إيّاكَ لم ترني

قال فيه كلمه نابية فعامله المتنبي بالمثل وجزاه من جنس العمل[9]، ونشير بالمناسبة إلى قولة شيوخ الأدب بالأندلس في حياة الرمادي والمتنبّي: «فتح الشعر بكندة، وختم بكندة» يعنون امرأ القيس والمتنبّي والرمادي[10].

ومهما يكن نصيب هذه الأخبار من الصحة فمن المؤكّد أن شعر المتنبّي وصل إلى الأندلس في حياته، فقد استشهد به المستنصر الأموي[11]، ووجد صداه عند شاعر قريب من زمن المتنبي هو أحمد بن فرج الجياني[12]؛ وقد نسبت بعض المصادر شرحاً لشعر المتنبي إلى الأديب اللّغوي أبي عبدالله محمد بن أبان القرطبي المتوفى سنة 354 هـ وهي السنة التي توفي فيها المتنبي[13].

(8) الذخيرة 1/2: 514 - 515, 1|: 347.

(9) المصدر نفسه: وفي طرة بالديوان الذي رتبه الفشتالي قصة منسوبة إلى من اسمه أبو عبدالله الإشبيلي خادم المتنبي، ولكن يبدو أنها موضوعة. ترتيب الديوان. 264 مخطوط.

(10) جذوة المقتبس: 347.

(11) المقتبس: 193 تحقيق عبد الرحمن يحيى.

(12) الذخيرة ق 2م 1: 143. والمطرب· 5 - 6.

(13) إيضاح المكنون 1 :527 وهدية العارفين 2 :44.

وهكذا عرفت الأندلس شعر المتنبّي في وقت مبكر وذلك بوسائط متعددة؛ فقد نقله إليها أول مرّة زكرياء بن بكر المعروف بابن الأشج[14] (310 - 393 هـ) وكان قد رحل من الأندلس إلى المشرق فلقي أبا الطيب بمصر وأخذ عنه شعره روايةً، ونجد سند هذه الرواية بين أحد عشر سنداً أثبتها ابن خيـر في فهرسته؛ وثمة أندلسي آخر شافه المتنبي في مصر أيضاً وأدخل شعره إلى الأندلس وهو أبو عبدالله محمد بن قادم القرطبي[15].

وروايته موجودة في أسانيد ابن خير المذكورة، ويبدو أن رواية ابن قادم كانت مدوّنة في نسخة ظلّت متداولةً في المغرب حتى عصر المنصور السعدي وكانت من أصول الديوان المختلفة التي اعتمد عليها القشتالي في ترتيب ديوان أبي الطيب، جاء في هذا الترتيب (ص 283): «وممّا ليس في كتاب ابن قادم ولا رواها أكثر الرواة قصيدته في سيف الدولة:

أصـــدوداً هـــجـــرتـــنـــا أم دلالا
حينَ أظهــرتِ جفـوةً واعتــلالا»

وقد ورد ذكرها في الترتيب المذكور أكثر من مَرّة.

غيـر أن الروايـة المشهورة لشعـر المتنبي في الأندلس هي روايـة الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف[16]، وهو لم يلق الشاعر وإنما أخذ شعره عن راويتين له في مصر هما أبو الطائي وإبراهيم المغربي[16م].

ثم عرفت البيئات العلمية في الأندلس بعد هذا روايات أخرى في

(14) له ترجمة في تاريخ ابن الفرضي 1 :179 وبغية الملتمس رقم 744.

(15) فهرست ابن خير: 403.

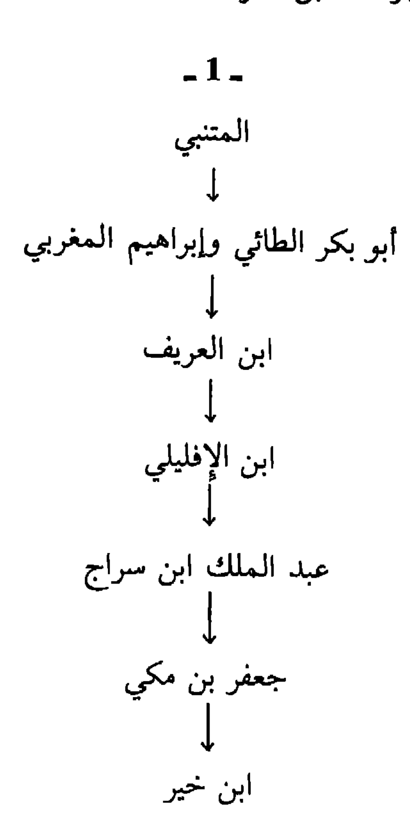
(16) ترجمة ابن العريف في جذوة المقتبس: 182 وتاريخ العلماء لابن الفرضي 1 :134 - 135 وبغية الوعاة 1 :542 والذخيرة لابن بسام.

(16م) أبو بكر الطائي هو الذي خاطبه المتنبي ببيتين داليين عندما نام وهو ينشده (الديوان 2 :81 ط. البرقوقي) ولم نقف على ترجمته ولا على ترجمة إبراهيم المغربي.

شعر المتنبي لعلها أن تكون أكمل من سابقاتها، ومنها الرّوايات التي أدخلها أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني الذي وفد على الأندلس سنة (406هـ)[17]، وأبو الحسن علي بن إبراهيم التبريزي الذي دخل سنة 421 هـ[18]، وأبو عبدالله محمد بن البر الصقلّي الذي دخل سنة 460 هـ[19].

ونورد فيما يلي نماذج من بعض أسانيد شعر المتنبي في القرن السادس من خلال فهرست ابن خير:

- 1 -



(17) ترجمة أبي الفتوح الجرجاني في جذوة المقتبس: 173 وبغية الملتمس رقم 692 والصلة: 135 والذخيرة 1/4: 124 والذيل والتكملة 8 .422 والإحاطة 1 :454 ومعجم الأدباء 7 :145 وبغية الوعاة 1؛ (؟؟) والتبيان: 32 وفهرسة ابن خير: 404.

(18) ترجمته في الصلة 2 :406 وفهرسة ابن خير: 404.

(19) التكملة 2 :671 - 675.

ـ 2 ـ

المتنبي

↓

أبو بكر الطائي وإبراهيم المغربي

↓

ابن العريف

↓

ابن الإفليلي

↓

الأعلم الشنتمري

↓

ابن فندله

↓

ابن خير

ـ 3 ـ

المتنّبي

↓

أبو بكر الطائي وإبراهيم المغربي

↓

ابن العريف

↓

ابن الإفليلي

↓

ابن بقنة

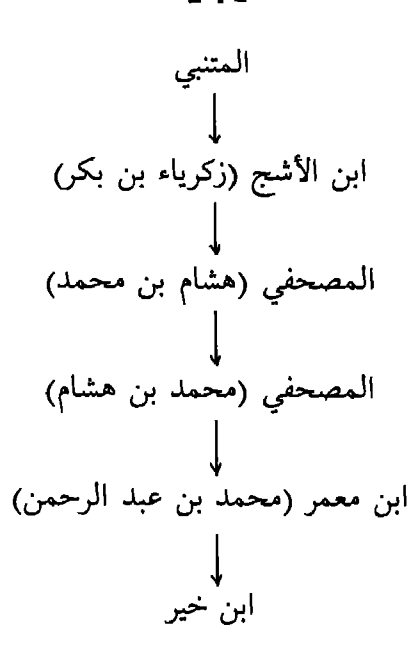
↓

ابن أبي الخصال

↓

ابن خير

- 4 -



- 5 -

المتنبّي

↓

ابن قادم (محمد بن أحمد)

↓

المصحفي (الأب)

↓

المصحفي (الابن)

↓

ابن معمر

↓

ابن خير

ـ 6 ـ

المتنبّي

↓

أبو بكر الطائي

↓

ابن العريف

↓

المصحفي (الأب)

↓

المصحفي (الابن)

↓

ابن معمر

↓

ابن خير

ـ 7 ـ

المتنبي

↓

البياري

↓

الجرحاني

↓

المصحفي (أبو بكر محمّد)

ـ 8 ـ

المتنبّي

↓

الرَّبَعي (علي بن عيسى)

↓

الجرجاني (ثابت بن محمد)

↓

المصحفي (أبو بكر محمد)

ـ 9 ـ

المتنبّي

↓

التاني (علي بن أحمد)

↓

الجرجاني (ثابت بن محمد)

↓

المصحفي (أبو بكر)

ـ 10 ـ

المتنبّي

↓

عبد السلام بن الحسين البصري

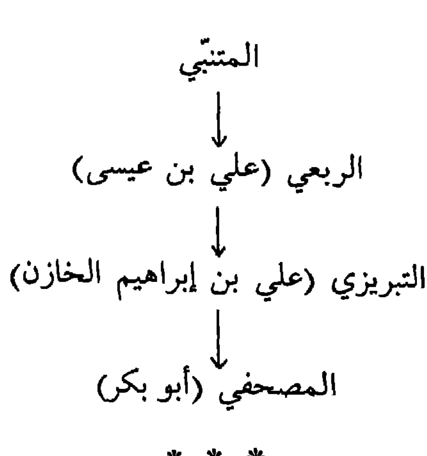
↓

الجرجاني (ثابت بن محمد)

↓

المصحفي (أبو بكر محمد)

- 11 -



* * *

تلكم أسانيد فهرسة واحدة هي فهرسة ابن خير، والواقع أنّه لا يكاد يخلو أي برنامج أندلسي مهم من التعرض لأسانيد الأندلسيين في شعر المتنبّي.

ومن برامج القرن السابع التي تحفل بهذه الأسانيد برنامج أبي جعفر أحمد بن يوسف اللبلي الذي يروي شعر المتنبّي بأسانيد أندلسية وشامية ومصرية تبلغ 7 أسانيد[20].

وبرنامج ابن أبي الربيع الإشبيلي ثم السبتي الذي يحمل شعر المتنبّي عن الشلوبين عن ابن مضاء عن ابن أبي الخصال عن ابن بقّنة عن ابن الإفليلي عن ابن العريف عن أبي بكر الطائي وأبي إسحاق إبراهيم بن عبدالله المغربي عن المتنبّي[21].

وكان أصل أبي عبدالله ابن أبي الخصال المذكور في سند ابن خير وَفي هذا السند من شعر المتنبّي ممّا يتنافس فيه أهل العلم، وقد آل إلى

---

(20) رحلة ابن رشيد 2 :249 - 250 تحقيق الشيخ ابن الخوجة.

(21) برنامج ابن أبي الربيع مجلة معهد المخطوطات العربية (نوفمبر 1955) ص 271.

الأديب الحسيب أبي بكر محمد ابن محرز البلنسي مستوطن بجاية، ثم أهداه إلى الحاكم العالم سعيد بن حكم القرشي أمير جزيرة منرقة[22] الذي كانت عنده نظائر للأصل المذكور.

وكان غلاف هذا الأصل قد تلاشى بكثرة التداول والاستعمال فعني الأمير المذكور به وكساه حلة ما فوقها حلة، وهذا ما يشير إليه في جملة شعر كتب به من منرقة إلى أبي بكر ابن محرز في بجاية:

فَلِلَّهِ شِعْرُ أبي الطيّب الذ
ي إنْ يطِبْ فبمهديهِ طابْ
أفادَ خصالَ الخِصالي وهْـ
ـيَ أكْثرُ مِنْ قَطْرِ هامي السّحابْ
فلَمْ يرَ إلا انسياقاً إلى
نظائرَ عِنْدي له وانْسِيابْ
وَلا غَرْوَ إنْ بُزّ حُسْنَ اللّبو
سِ فالفضْلُ ليسَ بلبْسِ الثيابْ
وليسَ الكَهامُ الظُّبَى ما
ضي الذّنابِ بحالٍ بحالي الْقِرابْ
ألّا إنّما الفَضلُ تحتَ الثّيابِ
ألا إنّما الفضْلُ تحتَ الإهابْ
سأكسبُهُ هَيْئةً يقتضي
بها هيئة ما اقتضاها كتابْ[22]

ومن برامج القرن التاسع في الأندلس برنامج أبي عبدالله محمّد بن عبد الملك المنتوري، وله سندان في شعر المتنبي ذكرهما كما يلي:

(22) مخطوط الاسكوريال رقم 520.

«كِتاب شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الكندي المتنبّي الكوفي. قرأت بعضه على الأستاذ أبي عبدالله محمد بن محمد بن منظور وأجازني جميعه، وحدثني به عن الأستاذ أبي الحسن علي بن سليمان القرطبي عن أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص عن الخطيب أبي الحسن علي بن محمد بن يبقى عن الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السِّلفي عن أبي زكرياء التبريزي عنه.

وحدثني به القاضي أبو بكر أحمد بن محمد بن جزي إذناً عن المحدّث نور الدين أبي الحسن علي بن عمر الوالي كتابة عن الشيخ أبي القاسم عبد الرحمن بن مكي بن الحاسب عن جدّه للأم الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي عن أبي زكرياء التبريزي.

قلت: وبهذا الإسناد ساويت الأستاذ أبا عبدالله»[23]. وهذه الأسانيد الأندلسية التي أوردناها إنّما هي على سبيل المثال، ولا نبعد إذا قلنا إنه كان لكلّ أديب مشهور رواية في شعر المتنبي، وفي هذا ما يبين عناية الأندلسيين بتناقل هذا الشعر وتدارسه منذ ظهوره حتى آخر عهود الفردوس المفقود.

وقد انتشر شعر أبي الطيب في صقلية بواسطة علي بن حمزة اللغوي راوية المتنبي في مصر، وكان قد انتقل إلى بلرم حيث توفي سنة 375 هـ[24].

وانتشرَ كذلك من طريق محمد بن البر الذي روى شعر المتنبّي في مصر أيضاً سنة 413 هـ عن ابن رشدين عن المتنبّي؛ ورواه عن ابن البر جماعة من الصقلّيين منهم عبد الله بن محمد الصيرفي سنة (459هـ) وابن القطاع

---

(23) مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط.

(24) له ترجمة في إرشاد الأريب 13 :208 - 209 وبغية الوعاة 2 :165 وانظر: العرب في صقلية للدكتور إحسان عباس: 93 - 95.

الذي سنذكره مع شراح المتنّبي فيما بعد[25].

وكان لابن شرف وابن رشيق وغيرهما من أدباء القيروان الذين هاجروا إلى صقلّية أثرٌ كذلك في نشر شعر المتنّبي بهذه الجزيرة[26].

وأما في المغرب الأقصى فلا نعرف متى درس فيه شعر المتنبي، وذلك لضياع أخبار المراكز الثقافية الأولى، ولكننا نقدّر أن شعر المتنبي عرف في المغرب بواسطة الأندلس.

وقد ذكرنا في الفصل السابق أن أقدم سند لمغربي وقفنا عليه في شعر أبي تمّام هو سند القاضي عياض في برنامجه المسمى بالغنية، ويبدو أنّ له سنداً في شعر المتنبي بواسطة شارحه ابن السيد البطليوسي وغيره من الأندلسيين الذين أجازوه[27].

ولا بدّ أن أبا موسى الجزولي كان له سند في شعر المتنّبي إذ إنّه اختصر أقدم شرح لهذا الشعر وهو الفسر لابن جني، وقد يكون ذكر سنده أو أشارَ إليه في مقدمة شرحه.

كما أن ابن خير الذي ذكرنا أسانيده فيما سبق هو فاسي المولد والنشأة استوطن إشبيلية وروى عن علماء الأندلس.

ويمكن القول على العموم بأن أسانيد الأندلسيين في شعر المتنبي التي عرفت خلال عهود المرابطين والموحدين والمرينيين عرفت في المغرب أيضاً نظراً لما كان بين العدوتين من روابط الوحدة.

وسنرى فيما بعد كيف أنّ خزائن المنصور السعدي العلمية كانت تحتوي على نسخ متعدّدة من ديوان المتنّبي كلها عتيقة ومنسوبة ومروية ومجازة[28].

---

(25) تكملة ابن الأبار 2: 672 (وانظر كذلك رقم 367 في الملحق).

(26) ديوان المتنبي في العالم العربي: 44.

(27) راجع الغنية.

(28) انظر مقدمة ترتيب ديوان المتنبي للفشتالي في الفصل الخامس.

ب ـ الشروح :

لم يحظ ديوان من دواوين الشعر القديم بمثل ما حظي به ديوان المتنبّي من حيث الاهتمام بشرحه والعناية بتفسيره، وقد تجاوزت شروحه الأربعين شرحاً، يقول ياقوت: «ولم يسمع بديوان شعر في الجاهلية ولا في الإسلام شرح هذه الشروح الكثيرة سوى هذا الديوان»[29].

وقد كان للأدباء المغاربة ـ بالمعنى الواسع ـ سهم كبير وحظ وفير من هذه الشروح سواء من حيث الكم أو من حيث الكيف.

وإذا تابعنا مذيل كشف الظنون فإنّ أقدم شرح أندلسي لشعر المتنبّي هو الذي نسبه إلى محمد بن أبان القرطبي، وهو أمر لم يردْ له ذكر في المصادر القديمة[30].

ولعلّ أبا القاسم إبراهيم بن محمد بن زكرياء القرشي الزهري القرطبي المعروف بابن الإفليلي (410 - 476هـ) هو أشهر شارح أندلسي لشعر المتنّبي وما يزال شرحه مخطوطاً، وتوجد منه نسخ في خزائن المغرب وغيره[31]؛ وقد عرف هذا الشرح قديماً في المغرب والمشرق وأثنى عليه العلماء، وأفاد منه شراح المتنبي من المشارقة كالعكبري الذي ذكره في مصادره ونقل عنه كثيراً[32]؛ واهتم به الأندلسيون في عصر صاحبه وبعد عصره، فألف ابن حزم كتاباً «في التعقيب على ابن الإفليلي في شرحه لديوان المتنّبي»[33] ورد أبو محمد عبدالله بن أحمد النباهي[34] تلميذ ابن

---

(29) إرشاد الأريب لياقوت ووفيات الأعيان 1 :121 تحقيق د. إحسان عباس.

(30) إيضاح المكنون 1 :527 وهدية العارفين 2 :44.

(31) انظر تعريفاً بهذا الشرح ومخطوطاته في كتاب تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: 94 - 116.

(32) شرح العكبري 1: 2 و241 - 242 ط. القاهرة 1308 هـ وانظر ما قيل في شرح ابن الإفليلي: رائد الدراسة عن المتنبي: 54 - 55.

(33) نفح الطيب.

(34) الصلة 1 :274 والمرقبة العليا: 20 وقد وهم بعضهم فظن أن المقصود بالنباهي هو أبو الحسن النباهي معاصر ابن الخطيب. انظر: رائد الدراسة عن المتنّبي: 73.

الإفليلي على أبي محمد ابن حزم، ولا وجود لهذين الكتابين اليوم.

لا توجد بين أيدينا ديباجة شرح ابن الإفليلي، ولعله تحدّث فيها عن طريقته أو منهجه في الشرح، وقد درس الدكتور الداية هذا المنهج في ضوء نسختي الخزانة العامة بالرباط والمتحف البريطاني وهما نسختان ناقصتان إذ أنهما لا تحتويان إلا على جملة من السيفيات، وتوجد من شرح الإفليلي نسختان تامّتان بدون ديباجة وهما تشتملان على الشعر الذي قاله أبو الطيب من أول السيفيات إلى آخر حياته، وهذا هو القسم الذي تمكن ابن الإفليلي من شرحه قبل وفاته ثم أكمل القسم الآخر وهو ما يعرف بشعر الصبا تلميذه الأعلم كما سيأتي، والقصيدة الأولى في نسختي الخزانة الحسنية هي:

وَفاؤُكُما كالرّبع أشجاهُ طاسِمُهْ
بأن تسعدا والدمعُ أشفاهُ ساجِمُهْ

وهي أولى السيفيات، أما آخر قصيدة في الشّرْح فهي التي قالها المتنبّي في وداع عضد الدولة:

فِدىً لكَ مَنْ يُقصِّرُ عَنْ نَداكا
فَلا ملكٌ إذَنْ إلاّ فَداكا

وهي آخر ما قال كما تنص المصادر ونسخ الديوان.

إن طريقة الشرح في هذا القسم الذي لم يقف عليه الدكتور الداية لا تختلف عن القسم الّذي حلله في رسالته الجامعية، فابن الإفليلي يقدّم أولاً شرح الألفاظ التي تحتاج إلى الشرح ثم ينتقل إلى شرح المعاني ويعرض في خلال الشرح إلى جزئيات نحوية أو بلاغية، كما يستشهد عند شرح الألفاظ أو المعاني أحياناً ببعض الشواهد من الشعر القديم أو من الشعر المولد، ومن أمثلة ذلك استشهاده بشعر الأخطل عند شرحه بيت المتنبي:

نَفَى وقْعَ أطرافِ الرِّماحِ بسَيْفِهِ
وَلَمْ يَخْشَ وقْعَ النّجْمِ والدّبَرانِ

قال متحدثاً عن النجم والدبران: «وهما من منازل القمر، وليس في جميع المنازل منزلتان تتقارب تقاربَهما، وتسمي العرب ما بينهما ضيقة، ويتشاءمون بمواجهتها.. ولذلك يقول الأخطل وهو يهجو سعيد بن بيان التغلبي وكان تزوج بمرة بنت أبي معان التغلبي، وكان الأخطل يشبّب بها فقال:

وكيفَ يُداويني الطّبيبُ مِن الجَوَى
وبَـرّةُ عِنْـدَ الأَعْـورِ بْنِ بَـيـانِ
فهلاّ زَجرت الطّير إذْ جاءَ خاطِباً
بضَيْقـة بينَ النّجمِ والـدبـران»

وقال في شرح قوله:

من الجـآذر في زي الأعـاريبِ
حُمْر الْحُلَى والْمَطايـا والْجلاَبِيبِ

«وحمر الجلابيب من أحسن الملابس وأنقى المنـاظر وقدْ دَلّ على ذلك بشّار بقوله:

خُـذي مَـلابِسَ زيـنـةٍ
ومُـصَـبّـغـاتٍ فَـهْـي أشْـهَـرْ
وإذَا خـرجـتِ تـقـنّـعـي
بـالحسـن إن الحسن أحـمـر»

وابن الإفليلي معجب بالمتنبي وبشعره ولهذا لا نجده يتعقب غلوه بالانتقاد كبعض الشراح فعندما شرح قول المتنبي:

لَـو الْفَلَكَ الـدوّارَ أبغض سَعْيَـه
لـعـوّقَـه شـيءٌ عـن الـدّورَانِ

اكتفى بقوله: «وهذا الكذب من الشعراء ومثله قد فهم أهل اللغة

القصد منه وعلم المراد به، ذلك أن الشاعر إذا أراد أن يوجب لوصفه بلوغ غاية ما يمكن نسب إليه في تلك الجهة ما لا يمكن فعلم السامع عند ذلك أن الشاعر لم يقصد إلى إحالة لفظه والإزراء على نفسه ولكنه قصد إلى استيفاء الغاية وبلوغ أبعد أسباب النهاية وسهلت له الثقة بمعرفة قصده ما يتقلّده من المحال في ظاهر لفظه»[34م].

ويتصل بهذا الشرح اتصالاً وثيقاً بل يلتصق به التصاقاً شرح الأعلم الشنتمري، وهو خاص بشرحِ قصائد الصبا من شعر أبي الطيب المتنبي، وهكذا سماه الأعلم في مقدمة شرحه على حماسته[35]، وسماه كذلك البديعي في الصبح المنبي[36]، وقد ذكر ابن خلّكان في وفيات الأعيان أن الأعلم «ساعد شيخه ابن الإفليلي على شرح ديوان المتنبّي»[37] وعلق الدكتور رضوان الداية على هذا قائلاً: «ولا ندري معنى هذه المساعدة ولا مقدارها...» ثم قال: «ولعلّ ما بينهما في أمر الديوان مثل ما يكون بين الأستاذ وتلميذه النجيب من مباسطة ومباشرة، وقد يكون الأعلم دون شرح أستاذه»[38] والحق أن العبارة المذكورة تتضح لمن وقف على شرح الأعلم، ومن حسن الحظ أننا وقفنا على قسم كبير من هذا الشرح، وهو مصنّف مع ما يسمى بالخروم في خزانة القرويين، وقد ظل مجهولاً لكون هذه الخروم لم تكتشف إلا بعد صدور الفهرس القديم للخزانة الذي يعتمد عليه بروكلمان وغيره؛ وتدلنا مقدمة هذا الشرح على جملة أمور:

منها أن ابن الإفليلي توفي قبل أن يكمل شرح الديوان حيث إنه لم يشرح منه إلا نحو النصف من جملة شعر المتنبي، وبقي عليه قسم من شعره وهو الشعر الذي قاله الشاعر في صباه فنهض تلميذه بشرحه ليكون

(34م) مخطوط الخزانة الحسنية.

(35) مخطوط الخزانة العامة رقم 101 د.

(36) الصبح المنبي 1: 423, 426.

(37) وفيات الأعيان 7: 81؛ وانظر كذلك إنباه الرواة 4: 60 ومعجم الأدباء 7: 307.

(38) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: 118.

كما يقول في المقدمة: «هذا الشرح موصولاً بشرحه المذكور، ومضافاً إلى تأليفه المشهور، فيكمل بذلك جميع الشعر مشروحاً» ويذهب الأعلم إلى أن الغاية من تكملته شرح أستاذه بشرحه هي أن «يستغني بهما عن شرح أبي الفتح ابن جني وغيره» ثم يبيّن رأيه في شرح ابن جني الذي يعتبر أقدم شرح لشعر المتنبي قائلاً: «تصَفّحته وأشرفتُ عليه فألفيته متشاغلاً فيه بتبيين اللغة والتصريف والإعراب عن تحقيق المعاني وتبيين الأغراض، ورأيتُ خطأه في تأويل المعاني أكثر من إصابته فيها وإعراضه عن تبيين المشكلات منها أكبر من إقباله عليها، وليس هذا قدحاً في علمه، ولا تسارُعاً إلى ظلمه وهضمه، ولكن معاني الشعر كثيراً ما زلّ العلماء في تأويلها، وضلّوا عن منهاج سبيلها، وذكروا عجز كثير من العلماء عَنْها والتقصير منهم فيها ولذلك قال أبو عمرو بن العلاء: العلماء بالشعر أقلُّ من الكبريت الأحمر، وقال الأصمعي: فرسان الشعر أقلّ من فرسان الحرب»[39] ونحن لا نعد هذا الكلام من قبيل التعالم الفارغ أو الدعوى العريضة لأن الأعلم بشروحه المتعددة والمتنوعة للنصوص الشعرية الجاهلية والإسلامية يأتي في الصف الأول بين الشراح الأقدمين على الإطلاق، كما أنه لم يكن الوحيد الذي انتقد شرح ابن جنّي فقد كتبت ردود متعدّدةٌ عليه[40]، وقد نفهم من كلامه إحساساً بمعنى الكتاب الأندلسي واتجاهاً إلى الاستغناء به عن غيره، ويعرض الأعلم في فقرة من مقدمته إلى طريقته في الشرح فيقول: «وقد شرحت هذه الجملة المذكورة من شعره شرحاً يقتضي تفسير غريبها ومعانيها ويحتوي على تقريب أغراضها ومراميها، ويسهل الصعود إلى معارجها ومراقيها، وضمنته التنبيه على محاسن أبي الطيب في شعره ومساويه مما استحسن له أو قدح فيه، وإن عن من الإعراب شيء يحتاج إلى ذكره مما يتحقق به معنى أو

---

(39) مخطوط خزانة القرويين.

(40) انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس: 284 - 287 ورائد الدراسة عن المتنبي: 58, 186.

يتبين به لفظ أو تقع معه فائدة ذكرته»[41]، وفي آخر المقدمة يطيل الأعلم الثناء والدعاء للمعتضد العبادي صاحب إشبيلية ولولي عهده المعتمد الذي ألف الكتاب برسمه كما جرت عادة الأعلم في إهداء مؤلفاته[42].

وتدلنا القراءة السريعة للقطعة الموجودة من شرح الأعلم على أنه سار فيه على منهجه المذكور وهو منهج مبني على التركيز والإيجاز والقصد والاعتدال إذ تندر فيه الروايات والأقوال وترد فيه بين الحين والحين بعض الشواهد من الشعر القديم والمحدث، وقد أشار مرات إلى ابن جني[43] وذكر الوحيد مرة[44] وأتى له بكلمة في انتقاد المتنبي، وثمة فقرة في هذه المقدمة تشير إلى وقوف الكتاب الأندلسي على قدميه، وتذكر الشكوى ممن يقف الإحسان على ما هو مشرقي أو ينسب الفضل إلى القديم فحسب، وهي قوله: «وأرجو أن يكون هذا الشرح كافياً لمن أنصف، شافياً [لمن أولى] الإحسان لصاحبه واعترف، ونكب عن طريق البغي والحسد، وأعرض عن الاعتلال بالعصر والبلد، ونعوذ بالله من العجب بما نحسن ونعلم، كما نعوذ به من الادعاء لما لا نعقلُ ولا نفهم، وهو حسبنا ونعم الوكيل»[45] وستكبر هذه الشكوى عند ابن بسام في مقدمة الذخيرة والحميري في مقدمة البديع في وصف الربيع وعند غيرهما فيما بعد.

ولقد أعددنا الموجود من هذا الشرح وننوي إصداره قريباً بحول الله، وفيما يلي نموذج منه:

«وقال أيضاً في صِباه:

---

(41) المصدر أعلاه.

(42) نجد هذا في مقدمة شرح الأشعار الستة ومقدمة شرح شواهد كتاب سيبويه ومقدمة شرح ترتيب الحماسة.

(43) المصدر أعلاه.

(44) المصدر نفسه.

(45) المصدر نقسه.

أرق عَـلَى أرق ومـثـلي يـأْرَقُ
وجـوىً يـزيـدُ وعَبْـرةٌ تتـرَقْـرَقُ
جُهْد الصّبابة أن تكونَ كَما أرى
عـينٌ مُـسَـهّـدةٌ وقـلبٌ يـخـفِـقُ
مـا لاحَ بـرْقٌ أو تـرنّمَ طـائِـرٌ
إلّا انـثـنيـتُ ولـي فـؤادٌ شَـيّـقُ

الأرق: السّهر، والجوى: فساد الجوف، والعبرة الدمعة، وترقرقها ترددها في العين، والجهد بلوغ الغاية في كل شيء، والصّبابة رقة الشوق، ولاح البـرق إذا لمع، وانْثَنَيْتُ رجعت وصـرت. يقـول: أرقي متتـابـع، وجواي متزايد، ودمعي مترقرق، ومِثْلي مِمّنْ عشق عشقي، وفوجىء بمثل فراقي لإلْفي، يأرق ويسهر ويجوى ويستعبِر، ثم بيّن جهد صبابته وشدة حزنه بما وصف من تَسْهِيدِ عينيه وخفقان قلبه، وذكر أن البرقَ وترنّم الحمام يَبْعَثَانِهِ على الحزن ويهيجان ما سكن من لاعج الشوق، وذلك لتـذكره بالبرق وتبسّم الحبيب وَتَرنُّمِ الحمام فَقْدَ الإلف والأنيس.

جَرّبْتُ مِنْ نار الهَوى ما تنْطفي
نـارُ الغَضى وتـكلُّ عمّـا تُحْـرِقُ
وعـذَلْتُ أهْـلَ العشْق حتّى ذقْتُـهُ
فعجبتُ كيفَ يموتُ مَن لا يعْشَقُ
وعــذَرْتُهم وعـرفْت ذنبـيّ أنّنـي
عيّـرتهمْ فلقيتُ فيـه مـا لَقُـوا

نار الغضى أشدّ النار لَهباً، وهو شجرٌ يضرب المثل بجمره، فيقالُ: نار الهوى، أشدّ من نار الغضى، فلو جرّبت في إحراق شيء لطفئت نار الغضى وَكَلّتْ عمّا تحرق نار الهوى، وألزم همزة تنطفي التخفيفَ والبدلَ ضرورة، ثم قالَ: كنت أعذلُ أهل العشق عَلى ما يَبْدو منهم من الحزن

والضَّعْف حَتّى بُليتُ به وَجَرّبْتُهُ [فعرفت أنّ من يعشق يموت]، وعجبت من كل من يموت دون عشق، وعذرتهم فيما يظهرون من الحزن وعلمت أني مذنب في تَعْييري لهم به فلقيتُ فيه مثل ما لقوا عقوبة وجزاء وَمن أمثال العرب: مَنْ يَرَ يوماً يُرَ بِهِ والدهر لا يغتر به.

أَبنِي أَبينــا نحنُ أهْــلُ منــازِلٍ
أبــداً غــرابُ البيْنِ فيهــا ينْـعَقُ
نبكي على الدُّنيا ومـا مِنْ مَعْشَرٍ
جمعتْهُم الــدُّنيــا فلم يَتَفَــرَّقــوا

قوله: أبني أبينا كقولك يا إخوتنا، وأراد بغراب البين دَاعِي الموت ونقل لفظ الغَزَلِ إلى الوعظ، وهذا من عادته لحذقه وحسن تصرُّفه، ويقال نغق الغراب بالغين مُعْجمة، وقد يقال نعق بالعين. والمعنى أن كل منزل فلا بد من حلول الموت بأهله، وكل مجتمِع إلى افتراق، فَلِم نبكي على الدنيا وَلِمَ نحزن على ما فات منها:

أيْنَ الأكـاسـرةُ الجَبــابـرةُ الأُلَـى
كَنزوا الكُنوزَ فَمَـا بَقِينَ وما بَقُـوا
مِن كُلِّ مَنْ ضَاقَ الفضاءُ بِجَيْشِهِ
حَتّى ثَــوَى فَحَــوَاه لَحْــدٌ ضَيّقُ
خُــرْسٌ إِذَا نُودُوا كَـأَنْ لَمْ يَعْلَمُوا
أَنَّ الكـــلامَ لَهُمْ حَـــلالٌ مُـــطْلَقُ

الأكاسرةُ: مُلُوكُ الفـرس، وَاحِدُهم كسـرى، وهو جمـع على غير قياس، والجبابرة: جمع جبّار، ويقال أيضاً جبّير، والأُلَـى: في معنى الذين لا واحد له من لفظه، والفضاء: ما اتسع من الأرض، يقولُ: فيمن مضى من الملوك الجبابرة عِظَةٌ لمن بقي ومعنى ثَوَىٰ أقام ميتاً، وهو بالثاء ثَلاث

نقط، ويقال توى بالتاء إذا هلك، ثم قال خُرُسٌ إذا نودوا أي هم أموات قد خَرِسُوا عن الكلام كأنه محرم عليهم وهو حلال لهم مطلق لو استطاعوا.

فـالمـوتُ آتٍ والنّفــوسُ نفـائسٌ
والمسْتعِــزُّ بِمَـا لَــدَيْــهِ الأحْمَقُ
وَالمَــرْءُ يـأمُــلُ والحيـاةُ شَهِيَّــةٌ
وَالشَّيْبُ أَوْقَــرُ والشبيبــةُ أنْــزَقُ

النفائس: جمع نفيسة، والمستعزّ: المغتر، يقول: لا بد من الموت وحلوله بالنفوس وَإِنْ كَانَتْ نفيسةً شـريفةً فلا يعرجُ عَنْهَا لنفاستها، ومن اغترّ بما لديه من أعراض الدنيا وأعلاقها وصالح أحوالها فهو أحمق ضعيف التمييز والرأي، ثم وصف الأحوال في الدنيا وعظاً وتأديباً فقال: المرءُ يأمل أبداً ما لا يناله ويشتهي من الأشياء ما لا يدوم له ويطرأ عليه من الشّيب ما يكرهه وَإِنْ كَانَ أدْعى إلى الوقار من الحداثة والشبيبة، ويرحل عنه من الشباب ما يسوؤه رحيلـه وإن كان ذلك أدعى إلى النزق والخفّة.

ولقَـدْ بكيتُ علَى الشَّبابِ ولمّتي
مُـسْــودَّةٌ ولـمــاءِ وجْـهـي رَوْنَـقُ
حــذراً عليـهِ قَبْــلَ يـوم فــراقِـه
حَتّى لكِـدْتُ بماءِ جَفْني أَشْـرقُ

اللّمـة من الشعر مـا ألمّ بالمنكب، والـرونق الحسن والنضـارة، والشّرق: الغَصَص بالماء فإن كان بالرّيق فهو جرض وَإن كان بالطعام فهو غصص، أي بكيت على الشباب قبل فقده حذراً عليه وَإِشْفَاقاً من ذهابه فلم ينفعني ذلك.

أمّــا بنو أوس بنِ مَعنِ بنِ الرّضى
فــأعـزّ من تُحْــدَىٰ إليــه الأيْنُقُ

كبّـرتُ حولَ ديـارِهِمْ لمّـا بـدَتْ
منها الشُّموسُ وليسَ فيها الْمَشْرِقُ

الأينق: جمع ناقة، والأصل فيها أنْوُق فحذفت الواو استثقـالاً لها وعوضت الياء من ذهابها، ويجوز أن تُبْدَلَ الياءُ من الواو لأنها أخفّ منها وقلبت اللفظة لتسكن الياء. يقول: هم أعزّ من وُفِدَ إليه وأكرمُ من نُزِلَ عليه، وهم في الاستضاءة بآرائهم وحسن مناظرهم واسْتِبْشَارهم كالشموس فكأن ديارهم مشارق الشموس وَإنْ لم تكن في حيز المشرق يـريد أن ديارهم في ناحية المغرب.

وَعَجِبْتُ مِنْ أرضٍ سحابُ أكُفِّهـمْ
مِنْ فَـوقِها وصخـورُهـا لا تُـورِقُ

وتفـوحُ من طيب الثنـاءِ روائــحٌ
لَهُمُ بـكــلِّ مكــانــةٍ تُـسْتَـنْشَـقُ

مِـسكـيّــة النّـفحــاتِ إلاّ أنَّـهَــا
وَحْـشـيّــةٌ بـســواهُـمُ لا تَـعْبَـقُ

يقال: مكانٌ ومكانة، ومنزل ومنزلة، ودار ودارة، وإزار وإزارة ومغْنى ومغْناةٌ ومجرى وَمجراة وريح وريحة. يقول ذكرهم منتشر طيّب كما أن جودهم متّصل شامل، فعجباً من أرض تتوالى فيها أمطار جودهم، ويرى بها مع ذلك أثر فقر على بعض ساكنيها وضرب الصخور لذلك مثلاً وذَكر أنّ روائح ثنائهم كالمسك وأَنّ ثناءَها منهم لأنهم أهلها ومشهورون بها وَأَنَّهَا وحشية مضرّة بغيرهم لا تعبق أيْ لا تفوح ولا تطيب لأنهم ليسوا من أهلها.

أَمُريدَ مِثْـلِ محمَّدٍ في عَصْـرِنــا
لاَ تَبْلُنــا بـطِلاَب مــا لاَ يُـلْحَقُ

لَمْ يخْلُق الـرّحمنُ مثْـلَ محمّـدٍ
أحــداً وظَـنّـي أنّــهُ لا يــخـلَقُ

يقول: مَنْ طَلَب مثل هذا الممدوح في عصره فَقَدْ طلب ما لا يُدْرَك وَلا يُلحق ثمَّ غَلَا في وصفه فقطع على أنَّ الله تعالى لَمْ يخلق مثله فِيمَا مضى وَشكّ في أن يخلق مثله فيما بقي لأنه قد علم ما كان فما مضى من الزمان ولم يعلَمْ مَا يكون بعد، وَرَبْطه لما يُسْتقبَلُ بالظن إثباتٌ لدعواهُ بينما قطع عليه في... الماضي بزعمه:

يـا ذا الذي يهَبُ الكثيـرَ وعنـدَهُ
أنّـي عـليـه بـأُخْـذِه أتـصَـدّقُ
أَمْـطِرْ عليّ سَحَـابَ جُـودِكَ ثـرّةً
وانـظرْ إليّ بـرَحْمـةٍ لا أغْـرَقُ
كَـذَبَ ابْنُ فَـاعِلَةٍ يقـول بجَهْلِهِ
مـاتَ الكـرامُ وأنت حيّ تُـرْزَقُ

المتصدّق: المعطي، وقد يكون السائل، قال الشاعر:

لَـوْ أنّهُمْ رُزقـوا عَلَى أقـدارِهِمْ
ألفَيْتَ أكْثَـرَ مَنْ تَـرَى يَتَصَـدّقُ

والبيت مأخوذ من قول زهير:

تـراهُ إذا مـا جئـتَـهُ متـهـلّلاً
كـأنكَ تُعـطيه الّـذي أنتَ سـائلُه

ولم يرد أنه حريص على الأخذ، وإنما يريد أنّ سروره بما يهب كسروره، وسرور غيره بما يوهب له على ما عُهِدَ وتعورف، والثرّة والثرثارة الغزيرة، يقول إن لم تتلافَني برحمة منك وإشفاق عليّ غرقت في تيار جودك أي إن لم تُقصِر عن بعض ما تهبه لي من جزيل هباتك أفضى بي السرور بتواليها وكثرتها إلى الموت وهذا كقول أبي تمام:

لُهىً تَسْتثيرُ العقلَ لَـوْلا اتصالُهـا
بحُسْنِ دفـاع الله وَسْـوَس سـائِلُهْ

وأراد بابن فاعلة ابن زانية، فكنى عنها، يقول من زعم أن الكرام قد انقرضوا فقد كذب لأنك تنوب مناب جميعهم ما حييت».

وثمـة شـرح أندلسي ثالث وصل إلينا كذلك لحسن الحـظ ونعني به شرح مشكل أبيات المتنبّي لأبي الحسن علي بـن سِيدَة مؤلف المحكم والمخصص وغيرهما من المؤلفات، وقد توارد على تحقيقه ونشره عدد من المحققين في مصر وسورية والعراق[46].

وهـذا الشرح وإن كان شرحاً جزئياً إلاّ أنّه ذو قيمة خاصّة من حيث التفاته إلى ظاهرة في شعر المتنبي أسماها الأقدمون: مشكل أو مشكلات شعر المتنبي، وسماها آخرون أبيات المعاني في شعر المتنبي، ويمكن أن نطلق عليها ظاهرة الغموض في شعره، وقد شغل بها بعض شراحه مثل ابن جني في كتابه: الفتح الوهبي، على مشكلات المتنّبي، والأصفهاني في مؤلفه: الواضح في مشكل شعر المتنبي، وابن عبد الملك الشنتريني في الجزء الرابع من كتابه: جواهر الآداب، وقد نشـر هذا الجـزء بعنوان: سرقات المتنبي ومشكل معانيه ونسب خطأً إلى ابن بسام الشنتريني[47]، وسنتحدّث عنه فيما بعد.

ويتميز شـرح ابن سيدة بميزة واضحة وهي تعرضه للجوانب المنطقية والفلسفية في شعر المتنّبي ومعالجة مواضيع الحكمـة فيه، مـع مناقشـة القضايا اللغوية والنحوية والصرفية والعروضية، وله ملاحظات ومؤاخذات على الشاعر، وهو في جملته يمثل إسهـاماً أندلسيـاً كبيراً في خدمـة شعر

(46) حققه مصطفى السقا وحامد عبد المجيد في مصر ورضوان الداية من سورية والـشـيخ محمد آل ياسين في العراق. انظر رائد الدراسة عن المتنبي: 46.

(47) طبع الكتاب في تونس بتحقيق الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور سنة 1970.

المتنبّي وينبىء عن المستوى العالي الذي وصلت إليه الثقافة في الأندلس فابن سيدة في هذا الشّرْح يخالف أبا الفتح ابن جني وأبا علي الفارسي[48] في الرأي ولا يأخذ ببعض ما ذهبا إليه وينزع إلى الاجتهاد في التوجيه والاستقلال في الفهم، وفيما يلي أنموذج من شرحه يدلّ على ما أشرنا إليه:

«وضاقَتِ الأرضُ حَتّى كانَ هاربُهُمْ
إذا رأَى غَيْـر شَيْءٍ ظَنّـهُ رَجُـلاً

أما الرؤية فلا تقع على غير شيء، لأن غير شيء ليس بمحسوس إحساس الجوهر ولا إحساس العرض، لأن غير شيء خارج من الجوهر والعرض لأن كل واحدٍ من الجوهر والعرض شيء، وإنّما أرادَ هـذا الشاعر: إذا رأى غيرَ شيءٍ يحفَلُ به، فهـو في قوة قولك إذا رأى شيئاً لا يحفل به ظنّه رجلاً، كقول العرب: إنك ولا شيء سواء، ومحال أن يسوّى بين الموجود والمعدوم لأنهما في طريق التضادّ ولكنهم يريدون إنك وشيء لا يعبأ به سواء، ولكنهم قالوا: إنّكَ ولا شيء، واكتفوا به من قولهم: وشيء لا يعبأ به، لأنّ ما لا يعبأ به كالمعدوم، ولذلك ألزمنا سيبويه النصب في قوله: إنّما سرت حتى سأدخلها، إذا كنت محتقراً للسير، قال الفارسي: إنما ذلك لأنه لا شيء أقرب إلى طبيعة النفس من الاحتقار، والنفي عدم، فجعل الاحتقار كالعدم»[49].

وظهر في هذا العصر أيضاً شرح عبد الدائم بن مرزوق وهو أحد أعلام القيروان الذين ألجأتهم زحفة بني هلال إلى الأندلس، وقد أسمى شرحه لِشعر المتنبّي «المكتفي»، ويبدو أنه ألفه بالأندلس لأنّه أورد فيه أشعاراً لبعض الأندلسيين حسبما يستفاد من «التكملة» لابن الأبار، والشرح

(48) شرح مشكل شعر المتنبي (انظر الفهرس) تحقيق د. رضوان الداية.
(49) المصدر نفسه: 33.

مفقود اليوم، وقد نقل عنه ابن الأبار أبياتاً في التكملة ثم قال: «أوردها عبد الدائم بن مرزوق القيرواني في شرحه لشعر المتنبّي الذي أسماه بالمكتفي»[50].

ولعلّ تلميذه ابن السيد البطليوسي استفاد منه في شرحه لديوان أبي الطيب، وهو شرح مفقود كذلك، ولا معنى لتشكّك بلاشير في موضوع شرح ابن السيد[51]، فقد ذكر في عدد من المراجع، وكان ابن السيد يستظهر شعر المتنبّي، ولذلك نجده في شرح سقط الزند واللزوميات يلح إلحاحاً بالغاً على التنظير بين معاني المتنبي ومعاني المعرّي ويفاضل بينها[51م]، ولا بدّ أنه نهج فيه منهجه في شرح اللزوميات بالتعرض إلى المعطيات الفلسفية كما فعل ابن سيدة من قبله.

وممّا لا شك فيه أن القرن الخامس الهجري كان القرن الذي شغلت فيه البيئات الأدبية في الغرب الإسلامي بالمتنبي على نحو واسع، ولكن ليس معنى هذا أن الاهتمام به ضعف أو توقّف بعد عصر الطوائف في القرن الخامس، ونحن نستغرب كثيراً رأي الأستاذ بلاشير الذي يقول: «كان استيلاء المرابطين القادمين من المغرب الأقصى على الأندلس موقفاً بطبيعة الحال ـ كذا ـ الشهرة التي تمتّع بها ديوان أبي الطيب، فقد حملوا معهم تعصّباً ضدّ كل ما هو غير ديني، ولكن ذلك لم يستمر إلا بضع سنين فمنذ سقوط هذه الأسرة استرجع الديوان كلّ نفوذه لدى المثقّفين الأندلسيين»[52] وهذا رأي تشم منه رائحة التعصّب الذي نشره دوزي ومن تبعه من

(50) التكملة: 410 (ملحق).

(51) ديوان المتنبي في العالم العربي: 49 - 50؛ وراجع رائد الدراسة عن المتنبّي: 44 - 45.

(51م) انظر س: 1: 44، 45، 58، 64، 70، 77، 78، 82، 86، 91، 95، 99، 100، 102، 105، 142، 157، 158، 161، 169، 176، 186، 215، 219، 222، 232، 234، 269، 272، 319، 337، 343، 346، 356 ومواضع أخرى كثيرة من الجزء الثاني.

(52) ديوان المتنبي في العالم العربي: 50.

المستشرقين حول هذه الدولة المجاهدة، وهو رأي بعيد عن الصّواب، ولعلّ خير تفنيد له هو ما ورد في الحوليات التاريخية من أن يوسف بن تاشفين اكتفى بالجواب على خطاب الفونسو السادس ببيت واحدٍ من شعر المتنبّي وهو:

ولا كتبَ إلاّ المَشْرَفية والقَنا
ولا رُسُلُ إلا الخميسُ العرَمْرَمُ[53]

وإذا كان الأمرُ في حاجة إلى أدلّة وشواهد فإني أذكرُ - على سبيل المثال لا الحصر - أن قاضي المرابطين ابن العربي كان يحفظ ديوان المتنبّي ويكثر من التمثّل به[54]، وكان قاضيهم الكبير عياض يروي شعر المتنبي عن شارحه ابن السّيد البطليوسي في جملة ما رواه عنه[55].

وأبو بكر المرادي - وهو من رجال هذه الدولة - يستشهد في كتابه «الإشارة، في تدبير الإمارة» بشعر أبي الطيب ويقول في باب الإنفاق وصفة الجود: «وأحسن ما رأيت في الجود والإمساك من أقوال الحكماء والشعراء قول أبي الطيب المتنبّي:

فَلا ينحَلِلْ في الجودِ مالُك كلُّه
فينحَلُّ مجدٌ كان بالمالِ عَقدُهُ
وَدَبِّرْهُ تدبيرَ الّذي المجدُ كَفُّه
إذا حارِبَ الأعداءَ والمالُ زَنْدُهُ
فلا مجدَ في الدّنيا لمن قلّ مالُه
ولا مالَ في الدّنيا لمَنْ قلّ مجدُه[56]

---

(53) انظر أحكام صنعة الكلام: 164.

(54) نفح الطيب.

(55) الغنية (ترجمة ابن السيد).

(56) الإشارة، في تدبير الإمارة: 144 تحقيق د. سامي النشّار.

كما أنه ضمّن بعض أبيات المتنبي في بعض شعره، ذكر ابن بسّام أنه «كانت بينه وبين الشيخ أبي محمّد عبد العزيز التونسي مناقضة في مسائل من العلم، فسافر المرادي عن أغمات، وكتب عند رحلته إليه بهذه الأبيات:

قلْ لعبدِ العَزيزِ يكثر مِنْ بعدِ
يَ ما شاءَ منهُ قيلاً وقالا
وتشَجّعْ ما غبتُ عنكَ فإنّا
قَدْ ضربْنا لَكَ الأمثالا
«وإذا ما خَلا الجبانُ بأرْضٍ
طلَبَ الطعنَ وحدَهُ والنِّزالا»[57]

وثمة أمثلة أخرى لا أريد أن أتتبّعها بالاستقصاء.

أما شعراء المرابطين الذين تأثروا بالمتنبّي وعارضوه فمنهم الأعمى التطيلي وابن عبد الغفور وابن خفاجة وابن أبي الخصال وابن المرخي وغيرهم[58]، وفي عصر المرابطين ألّف أحد كتابهم وهو أبو القاسم ابن عبد الغفور الكلاعي كتاب الانتصار لأبي الطيب[59]. ووضع ابن عبد الملك الشنتريني معجماً لمشكل شعر المتنبي وسرقاته[60].

وألّف ابن بسام الذخيرة الحافلة بأصداء المتنبي[61]، كما ألف ابن خاقان كتابه القلائد وفيها ذكر لأبي الطيب[62]، ثم إن معظم أهل الأدب

(57) الذخيرة 1/4 :367.
(58) راجع ديوان الأعمى التطيلي وديوان ابن خفاجة والذخيرة لابن بسام.
(59) وردت نقولٌ منه في كتاب أحكام صنعة الكلام.
(60) نشر منسوباً إلى ابن بسّام، وهو باب من كتاب جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب لابن عبد الملك الشنتريني المعروف بابن السراج.
(61) راجع فهارس الذخيرة.
(62) وردت أبيات للمتنّبي في قلائد العقيان.

الذين عاشوا في عهد الطوائف أدركوا عصر المرابطين ولا يصح الفصل بين الحقبتين، ولذلك اعتبرهما الدكتور إحسان عباس في كتابه تاريخ الأدب الأندلسي عصراً واحداً؛ ومقولة الأستاذ بلاشير عن المتنبي في عصر المرابطين بالأندلس هي جزء من مقولة كبرى ردّدها بعض الدارسين، وهي كسوف الشعر وكساد الأدب في عهد المرابطين، وهي مقولة تبطلها النصوص الأدبية والشواهد التاريخية.

أما في عصر الموحدين فقد ظهرت بالأندلس شروحٌ متعددة:

منها شرح أبي الحسن علي بن عصفور الإشبيلي «حامل لواء العربية بالأندلس» كما يقول ابن شاكر في فوات الوفيات وقد عدّ من شروحه «شرح المتنبّي»، ويبدو أنه مفقود ولعلّه يندرج ضمن الشروح التعليمية التي تعنى بالجوانب النحوية والصرفية واللغوية إذ إن ابن عصفور «لم يكن عنده ما يؤخذ عَنه سوى العربية»[63].

ومنها شرح أبي عبدالله محمد بن أحمد الأستجي، وقد أسماه: «ظهور الإعجاز، بين الصدور والأعجاز» وهو شرح مفقود مع الأسف، وكان الأستجي قد درس شعر أبي الطيب في حلقة الشلوبين، وقرأه أيضاً «قراءة فهم لمعانيه، وإعراب لألفاظه، وتحقيقٍ للغته، وتنقير عن بديعه» على كبير مؤدّبي قرطبة في وقته أبي جعفر أحمد بن يحيى الحميري[64].

ويبدو أنه التزم في شرحه بطريقة أستاذه الحميري وحقق فيه الأغراض الأربعة المذكورة وهي تفهيم المعاني، وإعراب الألفاظ، وتحقيق المعاني وإبراز البديع.

ويدل عنوان هذا الشرح على إعجاب صاحبه بالمتنبّي ويخيل إليّ أنه اشتق عنوانه المسجوع من عنوان شرح المعري: معجز أحمد».

(63) فوات الوفيات 2 :185 وانظر نموذجاً لما ذكرناه في المقرّب.
(64) الإحاطة 2 :325.

ويبدو هذا الإعجاب في نثره، فهو يتمثل بأبياته ويتوكأ على أشطاره، قال في إجازته: «ولولا ثقتي بغمام فضلك الصيّب، لتمثلت لنفسي بقول أبي الطيّب:

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمقٍ
أراهُ غباري ثم قال له الْحَقِ

فإن رضيت أيها العلم، فما لجرحٍ إذا أرضاكم ألم»[65].

ويظهر أن الأستجي عنى في شرحه بالأغراض البديعية في شعر المتنبّي، ومن المعروف أن معظم المباحث البلاغية عند الأندلسيين كانت تتجه إلى هذه الأغراض[66].

ولعلّ أُطْرَفَ الشروح الأندلسية التي وقفنا على خبرها هو شرح أبي الحسن فضل ابن فضيلة المعافري الأوريولي الذي فسّر شعر المتنبّي تفسيراً صوفياً، وقد سمى هذا التفسير «شرح الأبيات الكندية، على الطريقة الصوفية»[67]. والعنوان في تركيبه شبيه بعنوان «المآخذ الكندية، من المعاني الطائية» لابن الدهّان، ولكن منحى هذا الأخير شيء آخر.

وشرح ابن فضيلة مفقود على ما يبدو، ولذلك فإنّنا لا نعرف الأبيات التي اختارها من شعر المتنبّي ولا طريقته في تفسيرها ولا بدّ أنه وجّه معانيها توجيهاً صوفياً وشرحها شرحاً إشارياً، ومثل هذا العمل ليس بمستغرب، فقد جرت عادة أهل التصوّف أن يؤوّلوا بعض الغزليات والخمريات ويصرفوها إلى الحب الإلّهي والخمرة الصوفية، وقد وجدناهم يستشهدون بشعر المتنبّي في مقامات ومناسبات صوفية كما في «التشوف»

---

(65) المصدر نفسه.

(56) مقدمة ابن خلدون: 1385 تحقيق د. وافي.

(67) الذيل والتكملة 5 :541 حاشية رقم 1.

للتادلي[68] و«روضة التعريف» لابن الخطيب[69].

كان ابن فضيلة يجمع بين التصوف والأدب، وكان «أوحد عصره» في الطريقة الصوفية وقد ألف شرحه هذا في غرناطة بني نصر التي أوى إليها مع أهل شرق الأندلس الذين طردوا من ديارهم، وكان منهم آل سيد بونه أصحاب هذه الطريقة الصوفية التي ولدت في ظل تلك الأوضاع المؤلمة الداعية إلى الزهد والاعتبار، وكان لهذه الطريقة تأثيرها الكبير في المجتمع الغرناطي[70]، وكأني بهذا الأديب المتصوف أرادَ أن «يوظّف» شعر المتنبّي ـ بما له من سلطان ـ في خِدْمة طريقته الصوفية ويحوّلَ معانيه الدنيوية إلى معان دينية.

يقول الأستاذ بلاشير في كتابه عن المتنبّي ما ترجَمَتُه: «لم تر الأزمان التي تلت سقوط الموحدين أي كتاب جديد عن ديوان أبي الطيب لا في المغرب ولا في الأندلس»[71].

فأمّا في الأندلس فقد رأينا هذا الشرح الصوفي الذي كتب في عهدِ بني الأحمر، وقد يكون ثمة غيره ممّا لم يبلغنا خبره.

وأمّا بالنسبة للمغرب فستتحدث عنه بعد قليل.

ولم تكن عناية البيئات الأدبية في صقلية وإفريقية والمغرب بتدارس ديوان المتنبي أقلّ حظّاً ممّا رأينا في الأندلس.

---

(68) التشوف: 346 ,353 تحقيق أحمد التوفيق.

(69) روضة التعريف (الفهرس) تحقيق محمد الكتّاني؛ وقد ذكر ابن شاكر أن ابن تيمية كان ينكر على المتنبي في مبالغته ويقول: في شعره شيء لا يصح أن يكون إلا لجناب الله تعالى؛ قال: وربما قلت في سجودي من شعره:

يا من ألوذ به فيما أؤمّله ... ومن ألوذ به ممّا أحاذرُه

لا يجبر الناس عظماً أنتَ كاسِرُه ... ولا يهيضون عظماً أنت جابره

راجعهما في الديوان 2: 122 ط. البرقوقي.

(70) راجع الإحاطة ورحلة ابن بطوطة وأطروحة الدكتور محمد مفتاح.

(71) ديوان المتنبّي في العالم العربي: 52.

وممّا بلغنا عينه أو أثره من ذلك شرح أبي القاسم على ابن القطاع الصقلّي، وقد بقيت منه قطعة حققها الدكتور محسن غياض ونشرها بعنوان: شرح المشكل من شعر المتنبّي[72]. ومن الشروح الصقلية شرح أبي علي الحسين بن عبدالله الصقلّي، وتوجد منه نسخة نفيسة بمكتبة ولي الدين بالآستانة، ويقوم بتحقيقها أحد الباحثين[73].

أما الشروح الإفريقية (التونسية) فمنها كتاب ما أخذ على المتنبي، وكتاب أبيات المعاني في شعر المتنبي للقزاز، وقد يستفاد من عنوان الكتاب الأول أنّه كان من خصوم الشاعر أو المتأثرين على الأقل بابن وكيع، وقد أشار القزاز في كتابه: ما يجوز للشاعر في الضرورة إلى بعض المآخذ على المتنبّي[74].

وهنالك تونسي آخر من أهل القرن الثامن الهجري «كتب على ديوان المتنبّي كتابة جيدة» حسب عبارة ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة، وهو أبو عبدالله محمد ابن القويع، وقد عرف شرحه في مصر حيث استقر وتوفي سنة 738 هـ[75].

وأما في المغرب الأقصى الذي عانى قديماً من إهمال المؤرخين فأقدم من نعرف أنه اشتغل بخدمة ديوان المتنبّي هو النحوي الكبير أو موسى الجزولي مؤلف الكراسة المشهورة.

ولعل ولعه بالإيجاز هو الذي حمله على اختصار الفسر لابن جني، وقد وصل هذا الاختصار إلى المشرق واطلع عليه ابن خلكان، قال في الوفيات: «ورأيت له مختصر الفسر لابن جني في شرح ديوان المتنبي»[76].

---

(72) مجلة المورد ـ العدد الخاص بالمتنبي.

(73) انظر في هذا الشرح: رائد الدراسة عن المتنبّي: 64.

(74) انظر المآخذ في الكتاب المذكور من ص 28 إلى ص 35 تحقيق المنجي الكعبي.

(75) نيل الابتهاج: 232 - 233 وبغية الوعاة 1 :228.

(76) وفيات الأعيان (ترجمة الجزولي) والرائد: 59.

ونقدّر أن الحياة الأدبية في المغرب عرفت مظاهر أخرى من الانشغال بديوان المتنبي في أيام الموحدين والمرينيين بدليل تأثيره الملموس في شعراء تلك الأيام غير أنّنا لَمْ نقف في المظانّ على شيءٍ من ذلك، وعلينا أن ننتظر زمن السعديين لنشهد حركة أدبية حول ديوان الشاعر الكبير، وسنتحدث عنها فيما بعد.

ج ـ لعل أكبر معركة نقدية في تاريخ الأدب العربي القديم هي التي قامت حول المتنبي بين أنصاره وخصومه، ويكفي أن أشير إلى أسماء الحاتمي وأبي العباس النامي والصاحب ابن عباد وابن جني وأبي العباس الأزدي وأبي القاسم الأصبهاني والوحيد البغدادي وابن وكيع التنيسي والقاضي الجرجاني والثعالبي والعميدي والمعري وابن فورجه وغيرهم من أهل النقد في المشرق[77].

وقد انتقلت هذه المعركة النقدية حول المتنبي إلى بلدان المغرب والأندلس، فكان القزاز من منتقدي المتنبي فيما يبدو، وكان بقية أدباء مدرسة القيروان ونقادها كعبد الكريم النهشلي وإبراهيم الحصري وابن رشيق وابن شرف وأبي الطاهر التجيبي من أنصار أبي الطيب على العموم، فالنهشلي وجه تلقيبه بالمتنبي توجيهاً يدل على إعجابه به، واختار له في كتابه الممتع جيد شعره[78]، ومثله في هذا الحصري[79]، وابن رشيق ـ في العمدة والقراضة ـ يذكر المتنبي كثيراً مستحسناً لشعره ومدافعاً عنه في غالب الأحيان، وقد قال فيه كلمته المشهورة: «ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس» وقال في منصف ابن وكيع: «وسمى كتابه المنصف مثلما سمي اللديغ سليماً، وما أبعد الإنصاف منه»[79م].

---

(77) انظر على سبيل المثال: تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس من ص 252 إلى 335.

(78) انظر الممتع تحقيق د. المنجى الكعبي.

(79) راجع زهر الآداب.

(79م) راجع العمدة.

وكذلك دافع أبو الطاهر التجيبي عن المتنبي في كتابه «الرائق» ووسم ابن وكيع بالتكلّف، ووصفه بالتعسف في تحامله على المتنبي[80].

وخصّص ابن شرف حيزاً مهما للمتنبّي في رسالة الانتقاد ومما قاله فيه: «وأما المتنبّي فقد شُغِلت به الألسن، وسهرت في أشعاره الأعين، وكثر الناسخ لشعره، والآخذ لذكره، والغائص في بحره، والمفتش في قعره، عن جمانه ودرّه، وقد طال فيه الخلف، وكثر عنه الكشف، وله شيعة تغلو في مدحه، وعليه خوارج تتعايا في جرحه، والذي أقول إنّ له حسنات وسيئات، وحسناته أكثر عدداً، وأقوى مدداً، وغرائبه طائرة، وأمثاله سائرة وعلمه فسيح، وميزه صحيح، يروم فيقدر، ويدري ما يوردُ ويُصْدر»[81] وقد انتقد في كتابه أبكار الأفكار ابن وكيع وقال في حق كتابه «المنصف» إنه «أجور من سدوم»[82].

وأما الأندلس فقد وصل إليها التراث الذي أسفرت عنه المعركة النقدية حول المتنبي في المشرق، سواء فيه ما ألّفه خصومه أو ما كتبه أنصاره، فمن ذلك «المنصف» لابن وكيع، وقد وقف ابن عبد الملك المراكشي على نسختين أندلسيتين منه بخط ورّاق من ذرّية عبد الرحمن الأوسط كان حيّاً سنة 425 هـ[83]، واقتبس منه الشريشي في شرح المقامات الفصل المتعلق بأحكام السرقات[84]، ووصفه ابن دحية وغيره بالجور وعدم الإنصاف[85]، ومن ذلك أيضاً مؤلفات الحاتمي خصم المتنبي اللدود، وقد أشار إلى بعضها ابن حزم في الجمهرة[86] وغيرها، وثمة نقول غير منسوبة

---

(80) راجع المختار، من شعر بشار، وهو الرائق.

(81) راجع الذخيرة.

(82) نصرة الثائر، للصفدي تحقيق د. سلطاني.

(83) الذيل والتكملة 6:96.

(84) شرح المقامات 2 :205 - 212 نشر د. خفاجي.

(85) المطرب: 69. تحقيق الأبياري.

(86) راجع الجمهرة والرسائل.

في ذخيرة ابن بسام تدل على استفادته من شرح الوحيد البغدادي وردوده على ابن جني، والوساطة للجرجاني[87]، وأشار الأعلم وابن سيدة إلى شرح ابن جني وشرح الوحيد أيضاً[88]، وكانت «الموازنة» للآمدي متداولة في الأندلس كذلك[89]؛ وكان من أثر هذا كله أن ظهر في الأندلس منتصرون لأبي الطيب ومنتقدون عليه.

وقد كان ملوك الطوائف الأدباء من المعجبين بشعر المتنّبي، فالمعتمد كان ينشد بانتشاء قوله:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي
وأنثني وبياض الصبح يغري بي[90]

وقد ردّد في أحد مجالسه باستحسان بالغ قول المتنبي:

إذا ظفرت منك العيونُ بنظرَةٍ
أثاب بها معيي المطي ورازمُهْ

فقال ابن وهبون ارتجالاً:

لئن جادَ شعْرُ ابن الحسينِ فإنّما
تجيدُ العَطايا واللُّها تفتح اللّها
تنبأ عُجْباً بالقريضِ ولو دَرَى
بأنّك تروي شعرَه لتألَّها[91]

والمظفر ابن الأفطس مؤلف الموسوعة الأدبية المعروفة بالمظفّرية كان

(87) الذخيرة: 480/2.
(88) شرح شعر الصبا للأعلمي (مخطوط القرويين) وشرح مشكل شعر المتنبي (الفهرس).
(89) يدل على ذلك النسخة القديمة المحفوظة في القرويين والنقول الموجودة في الذخيرة.
(90) نفح الطيب 4 :261.
(91) وفيات الأعيان 1 :124 والمطرب: 118 ونفح الطيب 3 :194، 235 ط. صادر.

«ينكر الشعر على قائله في زمانه ويفَيّل رأي من ارتسم في ديوانه، ويقول: من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي أو المعري فليسكت»[92].

وهكذا كان شأن المأمون ابن ذي النّون في التشيع للمتنبي، فقد ذكر ابن بسام في الذخيرة أن ابن شرف «قال يوماً للمأمون بن ذي النون أيام خدمته إياه، واستشفافه صُبابة عمره في ذراه، وقد أجروا ذكر أبي الطيب، فذهبوا في تأبينه كل مذهب: إن رأي المأمون ـ لا فارق العزة والعُلا ـ أن يشير إلى أي قصيدة شاء من شعر أبي الطيب حتى أعارضه بقصيدة تنسي اسمه، وتعفي رسمه، فتثاقل ابن ذي النون عن جوابه، علْماً بضيق جنابه، وإشفاقاً من فضيحته وانتشابه، وألح أبو عبدالله حتى أحرج ابن ذي النـون وأغراه، فقال له: دونك قوله: لعينيكِ ما يلقى

فخلا بها ابن شرف أياماً فوجدَ مركبها وعراً، ومريرتها شزراً ولكنه أبلى عذراً، وأرهق نفسه من أمرها عسراً، فما قام ولا قعد، ولا حل ولا عقد. وسئل ابن ذي النون بعد: أي شيء اقصده إلى تلك القصيدة؟ فقال: لأن أبا الطيب يقول فيها:

بلغتُ بسيفِ الدّولةِ النورِ رتبةً
أثرتُ بها ما بينَ غربٍ ومشْرِقِ
إذا شاءَ أنْ يلْهُو بِلحْيةِ أحمقٍ
أَراهُ غُباري ثُمّ قالَ له الحقِ»[93]

وهي حكاية تنسب أيضاً للخالديين مع سيف الدولة[94].

وقد تطور هذا الإعجاب إلى مواقف نقدية تمثلَت في بعض الأعمال الأدبية، ومنها كتاب «الانتصار لأبي الطيب» من تأليف أبي القـاسم ابن عبد

(92) الذخيرة ق 2: 641.

(93) الذخيرة 1/4: 23 - 24.

(94) راجع الصبح المنبي.

الغفور الكَلاعي، ورسالة «روضة الأديب، في التفضيل بين المتنبي وحبيب» والكتاب الأول مفقود وعنوانه يدل على موضوعه واتجاهه، وقد نقل عنه مؤلفه في كتابه إحكام صنعة الكلام[95]، وأشار إليه ابن الأبار وابن عبد الملك في الذيل والتكملة[96]؛ وأما روضة الأديب فقد أشرنـا إليها في الفصل الأول من هذه الدراسة، وسنتحدث عنها بشيء من التوسّع في الفصل القادم.

أما ابن بسام فقد ترجّحَ بين الإعجاب والانتقاد وساق أخباراً تشير إلى إعجاب الأدباء بشعره وعجز بعض الشعراء عن معارضته كَخبر ابن شرف وخبر ابن رشيق، وعلق على من أراد أن يتبع طـريقة أبي الـطيب في استعمال التصغير بقوله: «ولكن هيهات ما كل من أُجْرَى سبق، ولا كل من ارتجل نطق». كما نقل شيئاً من قدح أهل النقد فيه، وعاب عليه استعمال ألفاظ الفلاسفة وقال مشيراً إلى ذلك: «وإني لأعجب من أبي الطيب على سعة نفسه، وذكاء قبسه، فإنه أطـال قرعَ هـذا الباب، والتمـرّس بهذه الأسباب»[97].

وثمة كتاب نشر في تونس عنوانه: سرقات المتنبي وشكل معانيه، ونسب إلى ابن بسّام النحوي، وظنّ محققه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ظنّاً قوياً أنه لابن بسّام صاحب كتاب الذخيرة، والحقيقة أنه ليس من تأليف الشنتريني صاحب الذخيرة وإنّما هو لِشنتريـنـي آخر هـو محمد بن عبـد الملك السـرّاج[98]، وهو ليس كتاباً مستقلاً ولكنه جزءٌ من كتاب عنوانه:

---

(95) راجع أحكام صنعة الكلام.

(96) التكملة 2 :462 والذيل والتكملة 6 :394.

(97) الذخيرة 2 :480.

(98) ترجمته ومصادرها في الذيل والتكملة 6 :410.

«جواهر الآداب، وذخائر الشعراء والكتّاب» ويبدو أنه الكتابُ الّذي اختصر فيه ابن عبد الملك الشنتريني كتاب العمدة لابن رشيق ونبّه على أوهامه فيها مع زيادات مفيدة منها هذا الجزء في سرقات أبي الطيب، وهو يؤلّف الجزء الرابع من هذا الكتاب الذي يُوجد مخطوطاً بمكتبة الأسكوريال رقم 352.

والحقُّ أن الشيخ ابن عاشور إنّما أخذ بما هو مسطر ومكرّر في النسخة المشرقية من نسبة الكتاب إلى ابن بسام وأنه صاحب الذخيرة[99].

ولا نعرف منشأ الخطأ في نسبة هذا العمل إلى غير صاحبه، ونقدر أن يكون الناسخ نقل هذا الجزء من أصل الكتاب ولم يثبت اسم المؤلف إلّا بعد أن غاب عنه الأصل وبقي في حفظه وذاكرته شيء منه كالنحوي الشنتريني مثلاً، فنسبه إلى ابن بسّام لأنه أشهر شنتريني، وورود صفة النحوي قد تعزز هذا الافتراض، لأن الذي اشتهر بالنحو وتعليمه هو ابن عبد الملك السرّاج الشنتريني فقد «كان نحويّاً حاذقاً» وهو شيخ ابن برّي النحوي المصري المشهور وألّف في النحو وأقرأه بالأندلس ومصر واليمن[100]؛ ويضاف إلى هذا أن الرجلين البلديين كانا متعاصرين، وجمعتهما سكنى إشبيلية بعد خروجهما من شنترين إلّا أن صاحب الذخيرة ظل بالأندلس بينما كتب لابن عبد الملك أن يرحل إلى المشرق ويعرف فيه وتنتسخ مؤلّفاته به.

أما إفراد جزء السرقات بالانتساخ دون بقية الكتاب في النسخة المشرقية فلعلّه جاء من ولع الناسخ بجمع الأشباه والنظائر في مجموع واحد، والمجموع المشرقي الذي توجد فيه يشتمل على «رسالة للحاتمي في مناظرة بينه وبين المتنبي، ورسالة له في أخذ المتنبي معاني عدة أبيات

---

(99) انظر مقدمته: س.

(100) الذيل والتكمله.

من كلام الحكيم أرسطاطاليس»[101].

وقد أشار الدكتور إحسان عباس إلى ما ذهب إليه الشيخ ابن عاشور من اعتبار ابن بسام صاحب الذخيرة مؤلفاً للكتاب الذي نشره وقال: «ليس في الكتاب أية قرينة تدلّ على أنّه من تأليفه»[102] والواقع أنه حتى قبل الوقوف على «جواهر الآداب» فإن بعض القرائن تدلّ على أنه ليس من تأليف ابن بسّام، وأهمها في نظري اختلاف الكتابين في شواهد السرقات وأصولها، فقد ذكر ابن بسام في الذخيرة من أبيات المتنبّي المسروقة قوله:

للسّبْي ما نكَحوا والقتْلِ ما وَلَدوا
والنّهْبِ ما جمَعوا والنّارِ ما زَرَعوا

وقوله:

إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءَتْ ظنونُهُ
وصدّقَ ما يعْتادُه مِنْ تَوهّمِ

وقوله:

تبخلُ أيدينا بأرواحِنا
على زمنٍ هُنّ مِنْ كَسبِهِ
فهذِه الأَرْواحُ مِنْ جوّهِ
وهذه الأجْسامُ مِنْ تُرْبِه
يموتُ راعي الضأن من جَهْلِه
ميتةَ جالينوسَ في طبّهِ

(101) المصدر نفسه: س.

(102) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: 506 - 507 (حاشية رقم 4).

وهذه الشواهد كلّها موجودة في الذخيرة[103] ولا وجود لها في كتاب السرقات مع أن صاحبه قصد به أن يكون معجماً شاملاً لأبيات السرقات في شعر المتنبي.

ومن القرائن أيضاً ترتيب أبيات السرقات على حروف المعجم حسب الاصطلاح المشرقي، وهذا شيء غير معهود في الأندلس والمغرب، مما يشي بأن الكتاب ليس لابن بسّام وأنه ألف في المشرق، ومن الملاحظ أن نسخة الأسكوريال ـ وهي بخط مغربي ـ تتبع الترتيب المشرقي كذلك، وقد وقف الشيخ ابن عاشور عند أمر هذا الترتيب، وقال: «وهذا محلّ نظر، ويحتمل أنه تابع فيه ترتيب أبي الفتح ابن جنّي[103م]».

إن صنيع السرّاج الشنتريني هو كما قلت بمثابة معجم مرتب على الحروف قصد به حصر أبيات المعاني أو الأبيات المشكلة، مَعَ أبيات السرقات، وقد جمع فيه السرّاج جهود سابقيه في هذا المجال منذ ابن جني إلى وقته، وزاد عليها حتى بلغ عدد الأبيات المذكورة نحو خمسمائة وأربعين بيتاً.

وقد أشار في المقدمة إلى هذا الجزء من كتابه فقال «والجزء الرابع في سرقات أبي الطيب ومشكل معانيه، وأنما ألحقت هذا الجزء بالكتاب لما في معرفته من العون على التصرف والتنبّه لمشكلات المعاني، واقتصرت على شعر أبي الطيب لكثرة ذلك فيه ولأنه أشهر، واستعمال الناس له أكثر» وذكر هذه السرقات «على ترتيب القوافي ليسهل بذلك طلب ما احتيج إليه منه» كما يقول في أول الباب، وباختصار فإنّ عمل الشنتريني ضرب من ضروب التبويب والترتيب، والتتميم والتكميل لهذه المادة التي كانت متفرقة في المصادر المشرقية؛ وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن هذا العمل قد أفاد منه بعض الشراح الذين يعنون بتتبع المآخذ والسرقات، ومنهم العكبري الذي يتابعه في عددٍ من المواطن ولكنه لا يسمي الكتاب ولا صاحبه.

(103) الذخيرة ق 2: 409، 421، 481.

(103م) مقدمة سرقات المتنبي: ي.

إن إسهام الأندلسيين والمغاربة في الحركة النقدية حول المتنبي . يتسم دائماً بمراعاة الحساسية الدينية التي كانت شديدة في البيئات المغربية على العموم، وإذا كانَ الأندلسيون والمغاربة قد أعجبوا بشاعرية أبي الطيب فإنهم لم يتساهلوا معه فيما يمس الحساسية الدينية، ومن هذا القبيل أن الفقيه الأديب الحافظ ابن عبد البر استشهد بشعر المتنّبي في كتابه: «بهجة المجالس» ولكنه كان ينظر إليه بمنظار الدين ويزنه بميزان الشرع، فقد أورد قوله:

والظّلم من شيم النفوس فإن تجِدْ
ذا عفّةٍ فلعلّة لا يظلِمُ

وقوله:

وَمَنْ عرفَ الأيّامَ معْرفتي بها
وبالنّاسِ روَّى رُمْحَهُ غَيْرَ راحِمِ

وعلق عليهما بقوله: «وهذه الأخلاق أخلاق الفُسّاق ومن لم يتأدب بأدب القرآن ولا استن بسنن الإسلام في الأخذ بالعفو والصفح والرحمة والرأفة»[104].

ونجد مثل هذا عند ابن سيدة، فعندما أورد قول المتنبّي:

طلَبْنا رِضاهُ بترْك الّذي
رَضِينا لَهُ فترَكْنا السُّجودَا

علق عليه بقوله: «قبحاً لكلامِه، ونهْراً في هذا الموضع وأشباهه لِنظامه».

ومثل هذا أيضاً عند ابن عبد المنعم الحميري مؤلف الروض المعطار

(104) بهجة المجالس لابن عبد البر.

الذي يقول في معرض حديثه عن تهامة: «وأمّا قول المتنبّي لممدوحه من قصيدة:

وأَشْهَــرُ آيـاتِ التِّهــامي أَنّــهُ
أبوكَ وأَجْدى ما لَكُمْ مِنْ مناقِبِ

فعنى بالتهامي النبي ﷺ، وهذه العبارة تقتضي جهله أو قلّة أدبه، فضّ الله فاه»[105] ونعوت ابن عبد البر الفقيه المحدث ودعاء ابن عبد المنعم الجغرافي تعكس تلك الحساسية الدينية عند المغاربة الـذين لم يكونوا يتساهلون فيما يتصل بالدين أو الأخلاق وقد انتقـد الأديب الشاعر الناقد ابن رشيق غلوّ المتنبّي وقال في التعليق على بيت المتنبي:

كَأنّي دَحَوْتُ الأَرْضَ مِنْ خبْرتي بِها
كأنّي بَنَى الاسكندرُ السّدَّ مِن عَزْمي

«فشبّه نفسه بالخالق، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً»[105].

ومن أجل هذا كان الأعلم الشنتمري يكفّ عن تدريس شعر المتنبي إذا دخل شهر رمضان وينهى طلبته عن قراءته خلال الشهر المعظّم بينما كان يستمرّ في إقراء شعر أبي تمّام وغيـره[106].

وقد لاحظ صديقنا الكبير الدكتور إحسان عباس تفاوتاً في الذوق الأندلسي تجاه المتنبي في القرن السابع الهجري وقال: «فبينا يتأخّر المتنبّي عن شعراء القرون الثلاثة الأخيرة في قدرته على الإبداع التصويري لدى ابن سعيد وربما لَدى المدرسة الإشبيلية كلها نجده أكبر شاعر في نظر حازم ابن المنطقة الشرقية»[107].

---

(105) الروض المعطار: 142 تحقيق د. إحسان عباس.

(105م) العمدة 2 :63.

(106) انظر روضة الأديب في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(107) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: 537.

ويبدو لي أن هذه الملحوظة قابلة للمراجعة فإنّ رسالة «روضة الأديب» لابن لبال الشريشي التي عثرنا عليها تبيّن مدى إعجاب المدرسة الإشبيلية بالمتنبّي وتفضيلها إياه على غيره.

د ـ إن إعجاب الأندلسيين والمغاربة بالمتنبي وحذو معظم شعرائهم حذوه في القصائد كان يثير أحياناً ردود فعل لدى بعض الشعراء؛ وقد رأينا ما قاله ابن وهبون للمعتمد، وما حاوله ابن شرف في مجلس ابن ذي النون، وما قاله أحمد بن طلحة الشقري، ومن هؤلاء الشعراء أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي الذي يقول في مدح إحدى قصائده:

لَوْ جادَ فكر ابنِ الحُسينِ بمثلِها
صحّتْ نبوته لدى الشّعراء[108]

ويقول الشاعر الجراوي متحدّثاً عن نفسه:

لَوْ كَانَ يوماً في بني حَمْدان لَمْ
تبهَجْ بأحمدِها بنو حَمْدانَ[109]

ونجد مثل هذا عند الشقندي الذي أورد أبياتاً من رائية ابن درّاج المشهورة وقال: «وأنا أقسم بما حازته هذه الأبيات، من غرائب الآيات، لو سمع هذا المدح سيد بني حمدان لسَلاَ به عن مدح شاعره الذي سادَ كُلّ شاعر، ورأى أن هذه الطريقة أولى بمدح الملوك من كلّ ما تفنّن فيه كل ناظمٍ وناثر»[110].

ونلحظ هذا المنزع في قول الكاتب الشاعر ابن المرخي الذي جاوب ابن بسام بقصيدة على وزن قصيدة المتنبي:

---

(108) زاد المسافر.

(109) المصدر نفسه.

(110) نفح الطيب (رسالة الشقندي).

قــرأتُ الـكتــابَ أعــزّ الـكُتُـبْ

وقال في آخرها:

قــوافٍ تــعــطّلُ فـي وزنــهــا:
«قــرأتُ الكتــاب أعــزّ الكُتُبْ»
وإنْ تـكُ أَحْمَـد هــذَا الـزمَــانِ
فَــأيْـنَ عليٌّ لَـنــا أَوْ حَـلَبْ(111)

وفي قول ابن القزّاز:

فَخَـر الـزّمـانُ بِنـا لأنّــكَ حـاتِمٌ
في جُــوده وَلأنّنـي الْمُـتَنـبّي(112)

وفي قول أبي عامر ابن مسلمة:

يــا حــاتــمَ الــكُــرَمــاءِ
وأَحْــمَــد الــشُّــعــراءِ(113)

وفي قول أبي بكر ابن عبادة مخاطباً ابن بسّام:

أَوْ تــذمّ الــزمــانَ وهْــوَ بعيــدٌ
فـأبو الـطيّبِ الْبعيدُ الْمَـرامي(114)

وقد بالغ بعضهم فذهبوا إلى أنهم أشعر من أبي الطيب وأبي تمام مثل ابن طلحة الشقري، وقد مرّ قوله. ومثل ابن خفاجة الذي يَصِفُ شعر أحد أصدقائه بقوله:

بــرَعْتَ فَــرُعْتَ فَمَنْ ذا حبيـبٌ
لَـهُ الـويـلُ أمْ من أبـو الــطيّب

(111) الذخيرة 2 :541.
(112) المصدر نفسه.
(113) المصدر نفسه.
(114) المصدر نفسه.

ولـــو جــارَيَــاكَ إلـــى غــايَــةٍ
لفُــزْتَ وكــانــا من الخُيّــب[115]

هـ ـ من التقاليد الأدبية عند شعراء الأندلس والمغرب محاكاة النماذج الشعرية السائدة ومعارضة القصائد المشهورة، وغالباً ما تكون معارضاتهم «نتجة الإعجاب بالآثار السابقة»[116] ولكنهم قد يطمحون أحياناً إلى طلب المضاهاة أو نشدان التفوق، ومن هنا ذهب بعض النقاد إلى أن رائية ابن دراج التي مطلعها:

أجود من رائية أبي نواس[117]:

وأن نونية ابن زيدون المشهورة:

أَضْحى التنائي بديلاً من تدانينـا
ونـاب عن طيب لُقيانـا تجـافينـا

أحسن من نونية البحتري[118] التي يقول في أولها:

يكـادُ عـاذِلُنـا في الحبِّ يُغْـرينـا
فمـا لَجـاجُـكَ في لَـوْمِ المُحبِّينا

لقد رأينا في الفصل السابق شيئاً من معارضات الأندلسيين والمغاربة لأبي تمّام، ونعرض الآن لبعض معارضاتهم في شعر المتنبي، وهي أكثر من غيرها لأن المتنبي كان عندهم المثل الأعلى والنموذج المحتذى أو «الطائر المحكي» كما يقول في شعر له وسوف نقتصر على الإشارة إلى

---

(115) ديوان ابن خفاجة.

(116) الموازنة بين الشعراء.

(117) رسالة الشقندي ومفاضلة ابن فضل الله العمري بين القصيدتين والموازنة بين الشعراء.

(118) شرح الرسالة الهزلية لابن نباتة.

المعارضات التي توجهت إليها النية وتوفرت فيها شروط الموافقة في البحر والقافية والموضوع.

ولعلّ أقدم من عارض المتنبي هو متنبىء المغرب ابن هانىء، وقد عرفنا مما سبق وقوفه على ديوان زميله، وتبدو معارضته له في بعض قصائده، ومنها قصيدته:

ألا كـلُّ آت قـريبُ الـمَـدَى
وكـلُّ حيـاةٍ إلـى مُنْتَهَـى[119]

فهي تنحو في شكلها منحى مقصورة المتنبي:

ألا كـلُّ مـاشيـةِ الـخَيْـزَلَى
فِـدا كُـلِّ مـاشيـةِ الْهَيْـدَبَى

وقد توارد مَعَهُ في عدد من قوافيها، وهذا أمر لا بدّ أن يقع في المعارضات، وإذا كان ابن هانىء لم يفصح عن ذهابه إلى المعارضة فإن قصيدة الأعمى التطيلي التي أولها:

إلى اللّهِ أشكـو الّذي نحنُ فيـه
أسـىً لا يُنَـهْـنِـهُ مـنْـهُ الأسَـى

تشي بالمعارضة المقصودة، وذلك أنّه ضمنها أشهر بيت في قصيدة المتنبي وهو:

وَمـاذَا بِمِصْـرَ مِـن المُضْحكـاتِ
ولكنّـه ضَحِـكٌ كـالْبُكـا[120]

ولكنه استبدل مِصر بحمص ويقصد بها إشبيلية.

---

(119) ديوان ابن هانىء.

(120) ديوان الأعمى التطيلي.

وفي ديوان ابن هانىء قصائد على وزان:

«ليالِيَ بعدَ الظّاعنينَ شُكولُ» و«أعلى الممالِك ما يُبْنى على الأَسَلِ» و«إذا كانَ مدحٌ فالنسيبُ المقدّم»[121].

ويأتي بعده ابن دراج القسطلّي الذي «كان بصقع الأندلس كالمتنبّي بصقع الشام» فقد عارض قصيدة المتنبي التي أولها:

بـادٍ هواكَ صَبَـرْت أمْ لَمْ تصْبِـرا
وبُكاكَ إنْ لَمْ يجْرِ دمـعُكَ أوْ جَرَى

بقصيدةٍ مطلعها:

بشراكَ من طولِ الترحّلِ والسُّرى
صبـحٌ بروح السَّفْـر لاحَ فَأسْفَـرا

وقد احتذى في بعض أبياتها حذو أبي الطيب وذهب مذهبه كما يقول ابن بسّام[122]، والمعارضة واضحة في القسم الذي يقول فيه:

وليعـلَمِ الأمــلاكُ أني بـعــدَهُمْ
ألفيتُ كلَّ الصيدِ في جَوْفِ الْفَرا

ففي هذا القسم ذكر لأيام العرب وأعلامها ومفاخرها، ولكأنَّ ابن درّاج يَرُدُّ على المتنبي في قوله:

مَنْ مُبْلغُ الأعـراب أنّي بعْـدَهـا
جـاورْتُ رسْـطالِيسَ والاسْكَنْــدرا
ومِللتُ نحْـرَ عشارِهـا فـأضـافَني
من ينْحَرُ البدرَ النُّضارَ لمَنْ قَرَى

---

(121) انظر ديوان ابن هانىء.

(122) الذخيرة.

وأشهر من رائية ابن درّاج رائية ابن عمّار:

أدر الزّجاجَةَ فالنّسيمُ قد انبرى[123]

وقد ذاعت معارضة ابن عمّار هـذه وأصبحت هي نفسها نمـوذجاً للمعارضة.

وعارض ابن سهل رائية المتنبي أيضاً بقصيدتين إحداهما في مدح سعيد بن حكم صاحب منـرقة والأخـرى في مـدح ابن خـلاص والي سبتة[124].

وكان ابن زيدون ريان من شعر المتنبي يستشهد به في نثره[125]، ويقتبس منه في شعره، وقد عارض قصيدته التي مطلعها:

بـم التـعلّلُ لا أهـلٌ وَلَا وَطَـنُ
وَلَا نـديمٌ ولا كـأسٌ ولا سَكَنُ

وذلك في قصيدته التي أولها:

هـلْ تذكـرونَ غريبـاً عادَه شَجَنُ
مِنْ ذكرِكُمْ وجَفا أجفـانَهُ الْـوَسَنُ

وضمّن في آخرها مطلع المتنبي على طريقة الوشّاحين فقال:

إنْ كـانَ عادكمُ عيـدٌ فـربّ فَتىً
بالشّوقِ قَدْ عادَهُ منْ ذِكْركُمْ حَزَنُ
وأفْـردَتْـهُ الليـالي مـن أحبّـتِـهِ
فبـاتَ يُنْشدُهـا مِمّـا جَنى الـزّمَنُ

---

(123) نفح الطيب.

(124) ديوان ابن سهل.

(125) راجع رسالتيه الجدية والهزلية.

«بم التـعلّلُ لا أهــلٌ ولا وطَـنٌ
ولا نَدِيمٌ ولا كأسٌ ولا سَكَنُ»[126]

أما معاصره ابن عبدون فلعلّه أقرب شعراء طبقته إلى أسلوب المتنبي في الجزالة وإرسال المثل والحكمة، وقد أورد ابن بسام في الذخيرة نماذج من نظره إلى معاني المتنبي وأخذه منه، كَما أنَّهُ عمد إلى معارضَةِ بعض قصائده فمن ذلك معارضته لقصيدة:

من الجــآذرُ في زي الأَعــاريب
حُمْر الحلَى والمَطايـا والجَلابيبِ

وذلك بقصيدته التي مطلعها:

ساروا ومِسْكُ الدّياجي غَيْر منهوب
وطُرّةُ الشرْقِ غُفْلٌ دون تهْذيبِ[127]

وفيها يقول:

هَيْهاتَ لا أبْتَغي منكُمْ هوىً بِهوىً
حَسْبي أكونُ مُحِبّاً غَيْرَ محْبــوبِ
فَمَـا أراحُ لـذكْـرى غيْـرِ عــاليـةٍ
ولا ألَــذّ بِـحُـبٍّ دونَ تـعْـذيـبِ
وَلا أُصالحُ أيّــامـي عَـلَى دخَـنٍ
ليسَ النِّفـاقُ إلى خُلْقي بمَنْسوب
يا دَهْرُ إن توسع الأحرارَ مَظْلَمَـةً
فـاستَثْنِني إنّ غَيْلي غَيْرُ مقْـروبِ

(126) ديوان ابن زيدون.

(127) الذخيرة.

وَلا تَخـلْ أنّني ألقـاكَ مُنْفـرِداً
إنّ القَنـاعـة جَيشٌ غيـرُ مغْلوب

فهذه القوافي ناظرة إلى هذه القوافي من قصيدة المتنبّي:

أنتَ الحبيبُ ولكـنّي أعـوذُ بِـه
من أكـون مُحِبّاً غيْـرَ مَحْبوب
إذا غَـزَتْـهُ أعـاديـه بمَسْـألـةٍ
فَقـدْ غـزتْـهُ بجيشٍ غَيْـر مَغْلوب
ومِنْ هَوى الصّدِق في قَوْلي وعادتِه
رغبْتُ عنْ شَعَرٍ في الرأسِ مَكْذوب[128]

وعارض القصيدة التي مطلعها:

كَفى بكَ داءً أن ترى الموتَ شافياً
وحسْبُ المنـايـا أنْ يكنَّ أمـانيـا

ببقصيدته التي يقولُ فيها:

مَضوا يظـلمـونَ الليلَ لا يلبسـونَهُ
وإن كانَ مِسْكي الجلابيبِ ضافِيا[129]

وعارض البائية التي مطلعها:

بغيـركَ راعيـاً عبـث الـذِّئـابُ
وغيـرك صـارمـاً ثلَمَ الضّـراب

بقصيدة أولها:

(128) المصدر نفسه.
(129) المصدر نفسه.

عَـزيـمٌ لا يُسـدُّ عليـه بـابُ
وقـلْبٌ لا يُفـلُّ لَـه ذُبـابُ[130]

وعارض عبدالله بـن خليفة القرطبي قصيدة المتنبّي:

دروع لملك الروم هذي الرسائل

بقصيدة في وزنها ورويّها في مدح علي بن مجاهد وقد انتقده ابن بسّام لأنه اهتدم فيها معاني المتنبّي[131].

ونحا أبو محمد ابن عبد الغفور في معارضة المتنبّي منحىً يعترض فيه على ألفاظه ومعانيه ويعـرّض بقلّة لباقته في المدح، قال يمدح ابن تاشفين:

سِــرْ حَــلّ حيث تـحلُّه الـنــوار
وغَــمــامــةٌ لَا ديــمــةٌ مِــدْرارُ
تَنْفي الْهَجيـرَ بظلّهـا وتُنيمُ بـالـرّ
شّ الْقَتــام وَكَـيْفَ شئـتَ تــدارُ
وقضَى الإلَـهُ بـأنْ تعـودَ مـظفّـراً
وقضَتْ بسَيْفِـكَ نحبَهـا الكفّــارُ

فقد اقتبس مطلع شعر للمتنبّي في مدح سيف الدولة وتصرّف في بعض لفظه ثم عقّب على ذلك بقوله:

«هذا ما تمناه الولي، لا ما تمنّاه الجعفي، فإنّه قال: حيث اتجهت، وديمه، ما تكاد تنفذ معها عزيمه، وإذا سُفِحت على ذي سفر، فما أحراها بأن تعوق عن الظفر، ونعَتها بمدرار، وكان ذلك أبلغ في الإضرار»[132].

---

(130) المصدر نفسه.
(131) المصدر نفسه.

ويشبه ابنَ عبد الغفور في هذا الانتقاد معاصرُه ابن خفاجة، فقد اعترف بأن قوله من قصيدة:

فلويتُ أعْنــاقَ المَـطِي مُعَــرِّجـاً
ونــزلْـتُ أعتـنِقُ الأراكَ مُـسَلِّمــا

ينظر إلى قول أبي الطيّب:

نـزلْنا عن الأكـوارِ نَمْشي كـرامـةً
لِمَنْ بـانَ عنـهُ أنْ نُلِمَّ بِـهِ رَكْبـا

ووازن بين بيته وبيت أبي الطيب وانتقد عليه كلمة «لمن» في فقرة طويلة ثمّ قال: «وربّما حملَ علينا حامل فقال إنّ هذا الرجل يتعاطى رتبة في الشعر فوق رتبة المتنبي، وليس الأمر كذلك لأنه لم يعترضه في جملة شعره، وإنما اعترضه في لفظة، وهذا ليس بمستنكر ولا مستكره»[133] وقد سبق ابن سيدة في شرح مشكل المتنبي إلى مثل هذا وتكررت عنده مثل هذه العبارة: ولو قال كذا لكان أحسن[134]. وابن سيدة مسبوق في هذا الصنيع بابن وكيع الذي نجد عنده مثل هذه الاقتراحات[134م].

ومن شعراء الموحدين الذين عارضوا أبا الطيب ابن المنخّل الشلبي، فقد عارض البائية التي مطلعها:

فَدَيْناكَ مِنْ ربْعٍ وإن زدْتَنا كَـرْبا
فإنّكَ كُنتَ الشّرْقَ للشّمسِ والْغَرْبـا

ببائية يمدح فيها عبد المؤمن، ومطلعها:

---

(132) انظر القلائد والخريدة والمغرب.

(133) ديوان ابن خفاجة.

(134) شرح مشكل شعر المتنبي.

(134م) المنصف لابن وكيع.

فَتَحْتُم بلادَ الشّرْقِ فاعْتَمدوا الْغَرْبا
فإنَّ نَسيم النّصْرِ بالْفَتْحِ قَدْ هَبّا

ويقول في آخرها مضَمّناً مطلع المتنبّي:

وَإنْ يَقْضِ نَحْباً منهُمُ ذو بسالَةٍ
فمن نفْس جبّارٍ لكُمْ يقْتَضي النّحْبا
ويسْتَنْشِدُ البطريقُ في عَرَصاتِكُمْ:
«فديْناكَ مِنْ ربْعٍ وإن زدْتنا كَرْبا»[135]

وفي ديوان ابن سهل قصيدتان في معارضة «بادٍ هواك صَبَرْت أم لَمْ تَصْبرا»، وثالثة في معارضة «ألا لا أرى الأحْداثَ مدحاً وَلا ذمّاً» ونشير إلى أن ابن سهل درس شعر المتنبي مع زميله ابن سعيد العَمّاري في حلقة الشلوبين بإشبيلية[136].

وفي العصر الغرناطي كان أبو الطيب الرندي يترسّم في مدائحه طريقة كنيه، فقد اختار له في باب المدح من كتابه الوافي القصيدة التي مطلعها:

أجابَ دَمْعي وما الدّاعي سِوَى طَلَلٍ
دعا فلبّاهُ قبلَ الخيلِ والإبلِ

وساق بعدها قصيدةً ذكر أنه قالها في عروض قصيدة أبي الطيب، ومطلعها:

مَنِ الظّباءُ تروعُ الأسْدَ بالمُقلِ
وما رمَتْها بغَيْر الغُنْج والكَحَلِ[137]

(135) المن بالإمامة.

(136) انظر ديوان ابن سهل، واختصار القدح المعلّى

(137) الوافي لصالح بن شريف الرندي (مخطوط).

وخمّس الأديب أبو عامر بن الأصيلي القصيدة التي أولها:

أُطاعنُ خيلاً مِـنْ فوارسِها الدَّهرُ
وحيداً وما قولي كَذا ومَعي الصَّبْرُ

وهذا نموذج من تخميسه:

وربّ أميـرٍ مُفْـرطٍ في اخْتيــالِـهِ
قبضتُ يميني نخـوةً عنْ شِمـالِـهِ
ونـزّهت نَفْسي رِفْعـةً عَنْ نَـوالِـهِ
«ومَنْ يُنفق السّاعاتِ في جَمْع مالِهِ
مخافةَ فَقْرٍ فالّذي فَعَلَ الفقر»[138]

وكانوا يضمّنون شعرهم أحياناً شطراً أو بيتاً من شعْر المتنبّي اعتماداً على شهرته وسيرورته، وقد رأينا أمثلة من ذلك ومنه أيضاً قول عبدالله بن حماد المراكشي:

يـا منْ إليه في الحـوادث يسنـدُ
وعليـهِ ألـويــةُ المحـامــد تُعقـدُ
إنّي أتيتُ بشَــطْر بـيتٍ ســائــرٍ
«الْيَوْمَ موعِدُكُمُ فأَيْنَ الْمَوْعِدُ»[139]

وبنى ابن خفاجة على بيت المتنّبي قطعة له بدأها بقوله:

صممتُ سمْعاً فما أُصْغي إلى العَذَلِ
وهمْتُ قلباً فما أَصْحو عَن الْغَزلِ

(138) الذخيرة.

(139) الخريدة.

وختمها ببيت المتنبّي:

خُذْ ما تَراهُ ودَعْ شيئاً سمِعْتَ بهِ
في طَلْعَة الشّمسِ ما يُغنيكَ عَنْ زُحَلِ [140]

وصنع هذا الصنيع أبو بكر ابن العربي في قطعة له بدأها بقوله:

إليك إلَهَ الخلق قاموا تعبّدا
وذلّوا خُضوعاً يَرْفَعُون لَكَ اليدا

وختمها بقول المتنبّي:

أزِلْ حسَدَ الْحُسّاد عنّي بكفّهِمْ
فأنتَ الّذي صَيّرتَهُم لِيَ حُسّدا [141]

وضمّن ابن الخطيب مطلعاً للمتنبّي في آخر شعر له يقولُ فيه:

لا أعدمَ اللّهُ دارَ الملْكِ مِنْكَ سَناً
يُجْلَى بِهِ الْحالِكان: الظّلْمُ والظُّلَمُ
وأنشدتكَ اللّيالي وهْيَ صادِقةٌ:
«المجدُ عُوفِي إذْ عوفيتَ والكَرَمُ

وضمّن ابن الحكيم الوزير بيتاً مشهوراً للمتنبي وأحسن التضمين، وذلك في قوله (الإحاطة: 2 :463).

ولمّا رأينا من ربوع حبيبنا
بيثربَ أعلاماً اثرن لنا الحبا
وبالترب منها إذ كحلنا جفوننا
شفينا فلا باساً نخاف ولا كربا

(140) ديوان ابن خفاجة.
(141) بغية الملتمس: 87.

وحين تبــدّى للعيــون جمــالُـهــا
ومن بُعْـدِهـا عنـا أديلت لنـا قـربـا
«نـزلنـا عن الأكـوار نمشي كـرامــةً
لِمَنْ حـلّ فيهـا أن نلم بــه ركبـا»

واقتبس الشريف العقيلي الغرناطي صدر مطلع للمتنبي إذ يقول في ميميته الطويلة على لسان ملكه مخاطباً صاحب فاس وأزهار الرياض):

إيـهٍ حَنـانَيْـكَ يـابْنَ الأكـرَمين على
«ضَيْفٍ ألَمّ بفــاسٍ غيــر مُحْتَشِـم

وقد كان ابن الخطيب مولعاً بتضمين شعر المتنبي في نثره، أو التلميـح إليه مما يدلّ على استظهاره واستحضاره له كقوله في «خطرة الطيف»: وسرْنا ودُرُّ آلْحَصى بساط لأرجل ركابنا، ودنانير أبي الطيب تنثر فوق أثوابنا» وكرر هذا التلميح في موضع آخر، وهو يشير إلى قوله:

وَألْقَى الـشّــرْقُ مِنْـهــا في ثـيــابي
دَنــانــيــراً تــفِــرُّ مــن الــبَــنَــانِ

وقوله في أبي إسحاق الساحلي الأندلسي نزيل مالي: «فحلّ بها محل الخمر في القار، والنور في سواد الأبصار، وتقيد بالإحسان، وإن كان غريب الوجه واليد واللسان» وهو يشير إلى قول المتنبي: «ومن وجَد الإحسانَ قيداً تقيّدا» وإلى قوله:

وَلَـكِـنّ الْـفَـتَـى الْـعَـرَبِـيّ فـيــهــا
غَــريبُ الْــوَجْــه والـيَــدِ واللّســانِ

وهكذا أصبح شعر المتنبي مورداً عذباً ومجنى رطباً لشعراء الأندلس والمغرب ينهلون من صفوه، ويقطفون من ثمره، وغدا ـ وهو الذي طالما أسرف خصومه في اتهامه بالسرقات ـ مرجعاً خصباً لهؤلاء الشعراء المتملّئين من شعره والذين لم يكونوا يستطيعونَ ـ بوعي أو بدون وعيٍ ـ الخلاصَ من

إسار محفوظه، ومن هنا عُني الشرّاح والنقّاد الأندلسيون بتتبع تواردهم على معينه، ونظرهم إلى ألفاظه أو معانيه؛ ومن هؤلاء ابن بسام في الذخيرة[142] والشريشي في شرح المقامات[143] والشريف السبتي في شرح المقصورة[144] والرُّندي في الوافي[145] وغيرهم، وهذا باب كبير لا أريد أن أفتحه تجنّباً للإثقال أو الإملال، وقد كـان المترسّلون أيضـاً يستشهدون بشعـره، أو يعمدون إلى حلّه ونثره، والأمثلة في الذخيرة وغيرها كثيرة، وما هذا كله إلا لأنّ القوم كانوا يستظهرون ديوان المتنبي ويتمثّلونه، ويجدون فيه ما يسعفهم في التعبير عن أغراضهم ومواقفهم، وقائمة الذين كانوا يحفظون الديوان طويلة، وفيهم الطبيب كابن زهر[145م] والفيْلسوف كابن رشد[146] والفقيه كـابن العربي[147]، والمؤرخ كـابن خلدون[148]، والأديب كالبيـاسي[149] وغيرهم؛ وللدّلالة على مدى حفظ الديون في الأوساط الأدبية بالأندلس والمغرب نورد حكاياتٍ لا تخلُو من طرافة في هذا المجال.

جاء في المعجب لعبد الـواحد المـراكشي عقب ذكر أبي جعفـر الحميري: «وأبو جعفر هذا، آخر من انتهى إليه علم الآداب بالأندلس، لزمته نحواً من سنتين، فما رأيت أروى لشعر قديم ولا حديث، ولا أذكر بحكايـة تتعلق بأدب أو مثل سائر أو بيت نادر أو سجعة مستحسنة منه رضي الله عنه وجازاه عنا خيراً. أدرك جلة من مشايخ الأندلس فأخذ عنهم علم الحديث والقرآن والآداب، وأعانه على ذلك طول عمره وصدق محبتـه وإفراط شغفه بالعلم.

---

(142) راجع فهارس الذخيرة.
(143) انظر شرح المقامات.
(144) انظر رفع الحجب المستورة.
(145) انظر الوافي.
(145م) انظر ترجمته في الذيل والتكملة.
(146) انظر ترجمته في الذيل والتكملة.
(147) انظر نفح الطيب.
(148) انظر التعريف بابن خلدون.
(149) انظر ترجمته في وفيات الأعيان.

قال ولده عصام ـ وقد رأيت عنده نسخة من شعر أبي الطيب، قرئت عليّ أو أكثرها فألفيتها شديدة الصحة، فقلت له: لقد كتبتها من أصلٍ صحيح وتحرزت في نقلها فقال لي ما يمكن أن يكون في الدنيا أصل أصح من الأصل الذي كتبت منه! فقلت له: أين وجدته؟ قال: هو موجود الآن بين أيدينا وعندنا! وكنا في المسجد (بإشبيلية) في زاوية، فقلت له: أين هو؟ فقال لي: عن يمينك! فعلمت أنه يريد الشيخ، فقلت: ما على يميني إلا الأستاذ! فقال لي: هو أصلي، وبإملائه كتبت، كان يملي على من حفظه! فجعلت أتعجب، فسمع الأستاذ حديثنا. فالتفت إلينا وقال: فيم أنتما؟ فأخبره ولده الخبر فلما رأى تعجبي قال: بعيداً أن تفلحوا! يعجب أحدكم من حفظ ديوان المتنبي والله لقد أدركت أقواماً لا يعدون من حفظ كتاب سيبويه حافظاً ولا يرونه مجتهداً»[150].

وختم الشقندي رسالته المعروفة في فضل الأندلس بالحكاية التالية: «وأنا أحكي لكَ حكايةً جرت لي في مجلس الفقيه الرئيس أبي بكر ابن زهر، وذلك أني كنت يوماً بين يديه، فدخل علينا رجل عجمي من فضلاء خراسان، وكان ابن زهر يكرمه، فقلت له: ما تقول في علماء الأندلس وكتابهم وشعرائهم؟ فقال: كبّرتُ، فلم أفهم مقصده، واستبردت ما أتى به، وفهم مني أبو بكر ابن زهر أني نظرته نظر المستبرد المنكر، فقال لي: أقرأت شعر المتنبي؟ قلت نعم، وحفظت جميعه، قال: فعلى نفسك إذن فلتنكر، وخاطرَك بقلة الفهم فلتتهم، فذكرني بقول المتنبي:

كَبّـرْتُ حَوْلَ ديـارِهِمْ لَمّـا بـدتْ
مِنْها الشُّموسُ ولَيْس فيهَا المَشْرِقُ

---

(150) المعجب للمراكشي وترجمة الحميري ومصادرها في الديل والتكملة وترجمة ولده عصام ومصادرها في الذيل والتكملة

فاعتذرت للخراساني، وقلت له: قد والله كبرت في عيني بقدر ما صغرت نفسي عندي، حين لم أفهـم نبل مقصدك فالحمد لله الذي أطلع من المغرب هذه الشموس، وجعلها بين جميع أهله بمنزلة الرؤوس»[151].

وجاء في الصبح المنبي ما يلي:

«وحكى صاحب الحدائق أن الفتح ابن خاقان ذكر ابن الصائغ في قلائد العقيان فقال فيه: «رمد عين الدين، وكمد نفوس المهتدين، لا يتطهر من جنابة، ولا يظهر مخايل إنابة».

فبلغ ذلك ابن الصائغ فمر يوماً على الفتح ابن خاقان وهو جالس في جماعة فسلم على القوم وضرب على كتف الفتح وقال له: إنها شهادة يا فتح، ومضى فلم يدر أحدٌ ما قال إلا الفتح فتغير لونه، فقيل له ما قال لك، فقال إني وصفته كما تعلمون في قلائد العقيان فما بلغت بذلك عشر ما بلغ هو مني بهذه الكلمة، فإنه أشار بها إلى قول المتنبّي:

وإذا أَتتـكَ مـذمّتي مِنْ نــاقصٍ
فهْي الشّهـادةُ لي بـأنّي كـامِـلُ»

وجاء فيه أيضاً: «حدّث بعض المغاربة قال: كنا عند ملك المغرب فـورد عليه مكتوب من بعض ثغوره يتضمّن أن أعداء المسلمين خرجوا من البحر، وفتكوا بعساكر ذلك الثغر، حتى لم يبق منهم من يحمل السلاح، وصارت القتلى كالآكـام على البطاح، وكان ببادية ذلك الثغر أمير تهابه الحتوف، وتفرق من ملاقاته الألوف، وسار إليه أعداء الدين، بجمع لا يبلغ عشر من قتلوا، فتلقّاهم بـالبيض المشرفيـة والسمر الخـطية، فـانهزمت أرواحهم إلى النار، وثبتت أجسامهم كالأحجار، وعمد إلى سفنهم فأغرقها وإلى أشلائهم فأحرقها، فلمّا تمّت قراءة الكتاب قال رحم الله أبا الطيب، ومراده قوله:

---

(151) نفح الطيب 3: 222، 4: 208

فلَيْس تـأكُـل إلا الميتـة السّبُـعُ»

ونلمس هذا الاستظهار في تمثل ملوك الغرب الإسلامي ورؤسـائه بشعر المتنبّي في المخاطبـات والمواقف، فقـد تمثل الحكم المستنصـر الأموي عندما أعجب بحركات الزناتيين على خيولهـم بقوله:

فكـأنّمـا وُلِـدتْ قِيـامـاً تَحْتَهُمْ
وكَأنّهُمْ وُلِدوا عَلَى صَهَـواتِها[152]

وكتب أبو القاسم الزبيدي إلى الوزير ابن حزم كتاباً تمثل في آخره بقول المتنبي:

ومن نكَد الدّنيا على الحُرِّ أنْ يَرَى
عـدُوّاً لـه مـا مِنْ صَـداقتِـه بُـدُّ

فوقع الوزير ابن حزم على ظهره ولم يزد:

ومن نكَدِ الدُّنيا على الحرّ أن يَرَى
صَديقاً لَه ما منْ عَـداوتِهِ بُـدّ[153]

ولمـا بلغ الكاتب ابن البنّـاء الإشبيلي موت عدوٍّ لَهُ تمثـل بمطلع المتنبي:

قالوا لَنا ماتَ إسحاقٌ فقلتُ لَهُمْ
هذا الدّواءُ الذي يَشفْي منَ الْحمُقِ[153م]

(152) المقتبس: 193 تحقيق عبد الرحمن الحجي.

(153) جذوة المقتبس: 98 - 99.

وكان حمّو بن ملّيل يقتصر في مكاتبة خصمه تميم بن المعز بن باديس على شعر المتنبّي، فقد كتب إليه مرّة متمثلاً بقول أبي الطيب:

إِذا كـانَ أعـجـبَـكُـمْ عـامُـكُـمْ
فَعـودوا إلَى حِمْص في الْقـابِـلِ
فـإنَّ الحسـامَ المُصيـبَ الّـذي
قُتِلْتم بِـهِ في يـدِ الْقـاتِـلِ[154]

وكتب إليه في مناسبة أخْرى متمثلاً بقوله:

كَمْ قَدْ دُفنتُ وكَمْ أقبرتُ عِنْدَكُمُ
ثُمّ انتَفَضْتُ فَـزالَ الْقَبْـرُ والْكفَنُ
مـا كلُّ مـا يتمنّى الْمَرءُ يـدركُـهُ
تَجْري الرّياحُ بما لا تَشْتَهي السّفُن[155]

واكتفى يوسف بن تاشفين في مجاوبة الأدفونش بهذا البيت:

وَلا كُتب إلاّ الْمَشْـرفِيّـة والقَنـا
وَلا رُسُلٌ إلاّ الْخميسُ العرَمرَم[156]

وكان المهدي ابن تومرت يتمثّلُ بقول المتنبّي:

إذا غـامـرتَ في شَـرَفٍ مَـروم
فَـلا تَقْنَـعْ بمـا دونَ النّجـومِ
فـطعْمُ الموتِ في أمـرٍ حَقيـرٍ
كـطَعْم الْمَـوْتِ في أمـرٍ عَـظيم

---

(154) رحلة التجاني: 72.

(155) المصدر نفسه.

(156) إحكام صنعة الكلام للكلاعي.

وبقوله أيضاً:

وَمَنْ عـرفَ الأيـامَ مَعْـرفتي بهـا
وبـالنّاس رَوّى رُمْحَـه غَيْرَ راحمِ
فليسَ بمـرحـومٍ إذا ظفِـروا بِـهِ
وَلا في الرّدى الْجاري عليهِم بآثمِ

وبقوله أيضاً:

ومـا أنـا مـنْهُـم بـالعيشِ فيهمْ
ولكن مَعْـدنُ الذّهبِ الـرّغـامُ(157)

ومن أطرف ما وقع لهم في التمثل بشعر أبي الطيب هذه الحكاية التي ذكرها ابن خلدون وغيره مـن المؤرّخين المغاربة وهي أن العادل الموحدي لمّا وصل قصـر المجاز عـائداً من الأنـدلس بسبب اضطراب الأحوال لقيه أبو محمد عبدالله بن أبي حفص فسأله العادل عن الحال فأنشد متمثلاً:

حـالٌ مَتى عَلم ابْنُ مَنْصورٍ بِهـا
جـاءَ الـزمـانُ إليّ منْهـا تـائبـا

فاستحسن العادل تمثل المذكور بهذا البيت لموافقته للحال إذ العادل هو ابن منصور فولاه إفريقية مكافأة له بسبب هذا البيت، وكان ذلك مبدأ الدولة الحفصية(158).

يتجلى ممّا عرضناه في هذا الفصل مبلغ العنـاية بشاعـر العربيـة الأكبر في الغرب الإسلامي وهي عناية ظلّت مستمرة إلى وقتنا.

وفي العصور الأخيرة التي تدعى بعصور الانحـطاط أصبـح المغرب

---

(157) وفيات الأعيان 5 :54.

(158) العبر لابن خلدون وتاريخ الدولتين للزركشي: 21.

الأقصى المركز الأول لقراءة ديوان المتنبي وحفظه ودراسته، ولا سيما بعد ضياع الأندلس وقيام الترك في تونس والجزائر، فقد كان السلطان السعدي محمد الشيخ «يحفظ ديوان المتنّبي، عن ظهر قلب» ويروي النّاصري في الاستقصا سبب حفظه له فيقول:

«لما غدرت به قبيلة المنابهة وأنجاه الله من غدرتهم كتب إلى شيخه عبدالله ابن عمر المدغري يشكو له الحال فأجابه: أين أنت من قول أبي الطيب:

غاضَ الْوفـاءُ فَما تلْقـاهُ في عدَة
وأعْوزَ الصّدْقُ في الأَخْبار وَالْقسَمِ

فعكف السلطان المذكور على ديوان المتنّبي حتى حفظه ولم يعزب عنه بيت واحد»[159].

ويحدثنا عبد العزيز الملزوزي عن شغف السلطان المذكـور بشعر المتنبي فيقول: «وكان أشدهم به ولوعاً، وأحناهم عليه ضلوعاً، أشبههم كلاماً برقته، وألهجهم لساناً بحكمته وأنضاهم يوم الروع لسيف جزالته، وأجرأهم في الإقدام في حومة الهِياج والكفاح على دلالته، وأحسنهم إيراداً لأمثاله، وأرشقهم بسهام الرأي المصيب ونباله، وأنفـذهم في الملحدين لوعيده، وأعطفهم على المؤمنين من رعايا الله وعبيده ملك الملوك، وفخر المالك والمملوك، مولانا الإمام الخليفة أمير المؤمنين، وناصر الدين، أبو عبدالله محمد الشيخ المهدي قدس الله نفسه، وطيب بـأنفاس المغفـرة والرحمة رمسه، كان كثيراً ما يتعاطاه على شغف، ويعرب بذوقه السليم عن حكم أنيقة القرط والشنف، ويجلّي بفـوارس الإدراك غرره، ويستخـرج بفهمه الثاقب من بحور معانيه الزاخـرة درره، حتى اشتمل عليـه حفظاً ودراية، ورفع للشهرة بمعرفته الراية، وما زال رضي الله عنه يوصي بحفظه

(159) انظر الاستقصا.

ودرايته إلى أعقابه الكرام وبنيه، ويشير بذلك على كتّابه وأدباءِ وقته وذويه»[160].

وبلغت العناية بديوان المتنبي في المغرب ذورتها في عهد المنصور الذهبي، فقد ورث الشغف بديوان المتنبي عن أبيه محمد المهدي، يقول كاتبه عبد العزيز الفشالي: «فإنه اليوم أيّده الله كالخليفة أبيه كلف بصناعته ومغرم، وولوعه المنيف قد طاف بمعاطاته وَأَحْرَم، وما زال على المدى مطلعاً لشموس حكمه ونوادره في كريم ناديه، ومجيلاً لقداح المحاورة فيه مع جهابذة هذا الشأن وأهل واديه، حتى فاز من سهام المعرفة بمعانيه وأساليبه ومبانيه بالقدح المعلّى، وصار في حفظه وحفظ الأدب على الجملة ودرايته آيةً تتلى»[161].

وتمثل شغف هذا السلطان العظيم بالشاعر الكبير في شيئين:

أحدهما: أنه جمع في خزائنه العلمية الحافلة عدداً كبيراً «من نسخ هذا الديون العتيقة المنسوبة المروية».

وثانيهما: أنه «أشار بتحرير نسخة منها تشتمل على نظمه المروي المجاز، وشعره الذي ليس في صحة روايته احتمالٌ ولا مجاز، وأمر أيده الله ونصره، وأسعدَ آصالَه وبُكَرَه، بترتيبه على حروف المعجم على طريقة المغاربة واصطلاحِهم، والجري في وضعها على بيانهم وإيضاحهم، ليرتفع بهذا التحرير العجيب عن شعره المروي الشك والارتياب، ويسهل بهذا الترتيب اهتداء المطالع إلى محل الحاجة من الكتاب»[162].

---

(160) ترتيب ديوان المتنبي للفشتالي (مخطوط).

(161) المصدر نفسه.

(162) المصدر نفسه.

وكان الباعث على إشارة المنصور أنه «نظر إلى هذا الديوان نظر مشفقٍ على بضاعته، وغيور على صناعته، فرأى أيده الله عدم ترتيبه، وإغفالَ تبويبه، وخلوّ جمعه من ضابط، وعُـرُوّ موصوله من صلة ورابط، نقصاً في إحسانه، وحصراً في لسانه وعاهة في شخصه وإنسانه، إذ يعسر بذلك على مطالعه الاهتداء إلى قصده، والعثور بديهة على ما يشاء من هزله وجده»[163].

إن عمل المنصور السعدي في الأمر بترتيب شعر أبي الطيب على نحو جديد شبيه بما ذكرنا سالِفاً من تكليف الناصر الأموي أدباء وقته بجمع شعر أبي تمام وترتيبه.

وقد كلف السلطان السعدي بهذا العمل كـاتبـه المجيـد وشاعـره الخنذيذ عبد العزيـز الفشتالي وأمـره بمقابلة النسـخ التي تشتمل عليهـا خزائنه، «والإتّيان في ذلك بالجمع المتناهي، وجبر ما أغفله السّاهي».

وقد تفرغ الفشتالي لهذا العمل وعكف على شعر المتنبّي يرتبه ويقدم له ويعارضه بالأصول التي وضعت بين يديه، وفيها أصول عتيقة ونسخ متداولة، وفيها روايات أندلسية قدم بها العهد وظلت محفوظة إلى ذلك الوقت، فقد أشار الفشتالي إلى رواية ابن العريف القرطبي هكذا: «وقال في كافور ولم يرو ابن العريف هذه الأبيات» وذكر مرّات رواية ابن قادم القرطبي، منها مرة في ص 46: «وقال وليست في كتاب ابن قـادم ولا هي في النسخ المتداولة» ومرة ثانية في ص 241: «وقال وليست في كتاب ابن قادم ولا ثبتت في أصل الديوان» ويشير الفشتالي إلى أصول أخـرى بدون تعيين كما في ص 228: «وقال وليست مما ثبت في أصل الديوان» وكما في ص 260: «وقال مما لم يثبت له في الأصول المنتسخ منها».

---

(163) المصدر نفسه.

يبدو من هذا أننا أمام نسخة موثّقة أو نقدية كما يقال اليوم، وقد نعتبرها أول نسخة نقدية لشعر المتنبّي في بداية التاريخ الحديث.

ويشير الفشتالي في مقدمة ترتيب الديوان إلى أن بعض الفضلاء «كان قد فوق إلى هذا الغرض نِباله، وأشرع إليه نصاله، وجرى في ترتيبه على حسب ما في وسعه ومقدوره، ونظم في قلادة جمعه ما التقطه من فرائده وشذوره، فقل أن كان [مستوفياً] في ترتيبه لشعره المشهور، ومستقصياً في جمعه لنظمه الذي صحّحه أئمة المنظوم والمنثور، إذ كان اقتصر على ما صحّت عنده روايته، ووقف في الاجتهاد حيث وقفت في مجال الدراية رايته»[164].

ولا نعرف من هو هذا الفاضل الذي يشير إليه ولعلّه أحد فضلاء زمنه ووطنه، ويبدو من عبارة له أن عمل هذا الفاضل رفع إلى السلطان ولكنه لم يقنعه «فآثر أيده الله الإتيان في ذلك بالجمع المتناهي، وجبر ما أغفله الساهي»[165].

ومهما يكن الأمر فقد أنجز الفشتالي عمله حسبما أشار عليه المنصور، وقد وصلت إلينا نسختان من هذا الترتيب: إحداهما في الخزانة العامة بالرباط (رقم 609 ج) والثانية في الخزانة العامة بتطوان (رقم 524) ولكنها نسبت إلى أبي جمعة الماغوسي معاصر الفشتالي وأحد كتاب المنصور، وتتصدّر ديباجتها هذه العبارة: «هذا إنشاء الأديب الشهير أبي جمعة المراكشي المعروف بالمغوسي رحمه الله».

لقد ذكر هذا الكتاب ونسبه إلى الفشتالي ابن القاضي في درة

(164) المصدر نفسه.

(165) المصدر نفسه.

الحجال إذ يقول: «ألّف مقدمة لترتيب ديوان المتنّبي على حروف المعجم الذي أمر بترتيبه على ذلك المنهج المخدوم مولانا أبو العباس المنصور، وقد ذكرت صدور التأليف المذكور في المنتقى المقصور»[166] وكذلك المقري الذي يقول في روضة الآس:

«ومنها أيضاً: «ترتيب ديوان أبي الطيب» أحمد بن الحسين الكندي الشهير بالمتنبي، رتبه على حروف المعجم، وجعل له خطبة، أمره بذلك أمير المؤمنين نصره الله»[166م].

يمتاز عمل الفشتالي بما يلي:

- ترتيب شعر المتنبي على حروف المعجم حسب الترتيب المغربي.

- تحقيق المتن بالاعتماد على نسخ أصلية كثيرة أصبح بعضها مفقوداً.

- التمهيد للقصائد بما يشرح المناسبات التي قيلت فيها.

- إغناء النسخة بطرر - وهي الحواشي في اصطلاح المغاربة - ومعظم هذه الطرر تتعلق بالسرقات، وقد اشتملت هذه الطرر على أبيات السرقات الواردة في المنصف لابن جني وغيره، ويمكن القول بأنها أوسع ما وضع في سرقات المتنبي على الإطلاق، وإذا كانت هذه الطرر للفشتالي فإنّها تدل على غنى مكتبة المنصور التي ورثها ولده زيدان ثمّ غرّ بها القدر إلى الاسكوريال حيث ما تزال بقيتها إلى اليوم.

وينقل الفشتالي عن مصادر مفقودة بل لا ذكر لبعضها في تراجم أصحابها، فقد نقل رواية في سبب مقتل المتنبّي عن رسالة لأبي هلال العسكري

---

(166) المصدر نفسه.

اسمها «التكملة المختارة في تتبع الوساطة» ولم نجد لهذا الكتاب ذكراً فيما وقفنا عليه من مصادر، وهو يمثل حلقة مفقودة من حلقات المعركة النقدية حول المتنبي، ولا بد أن أبا هلال العسكري رد في رسالته المذكورة على القاضي الجرجاني، والعسكري كما يؤخذ من كتاب الصناعتين كان من خصوم المتنبي، فهو يقول فيه: «ولا أعرف أحداً كان يتتبع العيوب فيأتيها غير مكترث إلا المتنبّي، فإنه ضمّن شعره جميع عيوب الكلام ما أعدمه شيئاً منها» ويقول في ابتداءات المتنبي إنها «ابتداءات لا خلاق لها»[167].

وتتميز نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 609 ج بتوقيفات على بعض الأبيات يبدو أنها بخط المنصور الذهبي، وهذا مستفاد من مقارنة خطوط التوقيفات بخطوط المنصور الموجودة وكذلك من التعليق الذي كتبه الأديب السيد محمد غريط ونصّه: «الحمد لله، يقول الواضع اسمه عقب تاريخه سامحه الله بمنّه: إني سمعت سيدي الوالد رحمه الله يقول غير ما مرة: إن المنصور السعدي كان مولعاً بديوان المتنبّي وكانت له نسخ منه، وكان يوقّف على ما أعجبه من أبياته ويجعل مكان الرمل سحيق الذهب تنبيهاً على كثرته لديه، وأن نسخة من تلك النسخ عند السادة الشرفيين، ولا شك أنها هذه لما فيها من التوقيفات المذهبة. وقيد في 25 ربيع النبوي عام 1347 هـ».

ولهذه التوقيفات فائدة في الدلالة على ذوق السلطان المذكور ومقياس اختياره ـ وكان كما هو معروف أديباً ناقداً ـ وقد وجدناه يوقف في الغالب على أبيات حِكَمية أو غزلية كما يوقّف على أبيات في وصف الخيل والمعارك، وقد يوقف على بعض المطالع التي تعجبه أو على بعض الأبيات التي انتقدت على المتنبي كهذا البيت:

(167) كتاب الصناعتين.

فقلْقَلْتُ بالهمّ الذي قَلْقلَ الحشا
قـلاقِـلَ عيسٍ كلّهنّ قـلاقِـلُ

ومعظم الأبيات التي وقف عليها هي من أبيات المتنبّي السـائرة، وربما كان المنصور ينشدها ويردّدها في المواقف المناسبة، وربما وجد في بعضها ما يعبّر عن واقع حاله كهذا البيت الذي وقّف عليه:

وما كنتُ ممّن أدرَكَ المُلْكَ بالمُنَى
ولكن بـأيّـامٍ أشَبْن نـواصِيـا

وسنثبت هذه التوقيفات مع مقدمة هذه النسخة السعدية وزيـاداتها وبعض طررها في فصل آتٍ.

وإذا كان الفشتالي قام بترتيب الديوان وتخريج نسخة مغربية له فإن محمد بن علي الهـوزالي الملقب بالنابغة وضع شرحاً على الديوان توجد منه نسخة في إحدى الخزائن الخاصة، ولم نتمكن من الإطلاع على هذا الشرح، ولا بدّ أنه أهداه إلى المنصور.

ونتساءل عن دواعي بعث ديوان المتنبي وإحياء قراءته ودراسته؟

وقد يكون أول هذه البواعث إعجاب المنصور وسلفه بالشاعر الكبير، وتطلعه إلى تكوين طبقة من الشعراء في مستواه لتسجيل مفاخره وتخليد مآثره، وهذا ما حصل بالفعل، فقد ظهر عدد من فحول الشعراء، ومنهم الهوزالي الذي كان ينزع منزع المتنبي وعبد العزيز الفشتالي وغيرهما.

ومن الملاحظ في تاريخ الأدب الأندلسي والمغرب أن العناية بشعر المتنبي تقوى مع ظهور كبار الملوك الذين تحتاج وقائعهم إلى من يخلّدها بشعر يكون في مستوى شعر المتنبي في وقائع سيف الدولة، فمن ذلك ظهور ابن هانىء متنبي المغرب مع المعز الفاطمي، وفي عهد المنصور بن

أبي عامر نبغ ابن دراج «وكان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام»[168] وأخيراً نجد في عهد المنصور السعدي هذه العناية بشعر المتنبي التي أنجبت الشعراء المذكورين وغيرهم.

وكان الطابع العربي لهذه الدولة المغربية الشريفة من أسباب إحياء شعر المتنبي والآداب العربية على حين غدت التركية لغة الدواوين في معظم العالم الإسلامي.

كما أن المنصور الذهبي في هذا العصر الذي تقهقرت فيه الثقافة العربية والإسلامية رأى أن يحيي مجموعة من أصول هذه الثقافة، فكما كلّف كاتب دولته بوضع نسخة جديدة من ديوان المتنبي كلّف أيضاً علماء الحديث في عصره بعمل نسخة مقابلة ومعارضة بالأصول من صحيح البخاري «وقد ضمّن قائده أبو الحسن الشيظمي تاريخ الفراغ من هذه النسخة في آخر الأبيات التالية:

لِلَّهِ منها درّة قد بَدَتْ
في غايةِ الإِحْكام والاحْتِفالْ
نسْخَة مَنْ فاقَ الْوَرَى هِمّةً
وخَصّه اللَّهُ بإرْث الْمَعالْ
وَأَكْسبَ المأثورَ فَخْراً بِه
وألْبَسَ الرُّواة بُرْدَ الْجَمالْ
الملكُ المَنْصورُ مُحْيي الهُدَى
ابْنُ رسولِ الله وافي الْكَمالْ
جادَتْ بها الأيّامُ في طالعٍ
أفادَ عيْن الدِّين أوفى اكتحالْ

(168) يتيمة الدهر

متى تشأ تاريخ إتحافه
بالمُلْك قل آل النبي خير آلْ[169]

وندب علماء حضرته إلى تخريج تفسير ابن عرفة الذي كان يؤثره، وأشار بوضع شروح ومؤلفات سمى بعضها الفشتالي في مناهل الصفا وابن القاضي في المنتقى المقصور حتى لقد اشتملت «الخزانة الكريمة العلية الإمامية الشريفة اليوم على عددٍ جم من تصانيف أهل العصر في كل فن حتى في الطب والهندسة»[170] وكان يرسل العطايا الجزيلة للمؤلفين المشارقة الذين كانوا يهدون إليه مؤلفاتهم[172]، واشتغل هو نفسُه بالتأليف، فألف كتاباً في السياسة، وجزءاً في الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ، وتقييداً في علم المعمّى من فنون الشعر ومعرفة طرقه وأسمائه وألقابه، وجمع أشعار العلويين من أمهات الأدب والدواوين الشعرية، وبالجملة فقد كان المنصور مغرماً بالشعر «لا تكاد داووينه تفارق راحته، ولا يرى في غير واديه أنسه وراحته»[172] ولهذا كله لا نعجب إذا رأينا منه هذا الاهتمام بشعر المتنبي «والانفراد بمعرفة ديوان أبي الطيب واستحضار حكمه وأمثاله» كما يقول الفشتالي في المناهل، وفي ديباجة النسخة المنصورية أيضاً شرح لأسباب اهتمامه بالدّيوان.

وقد استمرت العناية برواية شعر المتنبي وحفظه في العهد العلوي حيث كان عبد القادر الفاسي والحسن اليوسي وابن سليمان الروداني وأحمد بن خالد الناصري وغيرهم من حفاظ ديوان المتنبّي[173]؛ وما يزال علماء الغرب الإسلامي إلى اليوم ينشدون شعر المتنبي في المناسبات

---

(169) المنتقى المقصور (مخطوط).

(170) مناهل الصّفا. نشر د. كريم.

(171) ريحانة الألبا: 113.

(172) راجع مناهل الصفا. 294 - 303.

(173) ديوان المتنبي في العالم العربي: 54.

والمجالس العلمية، ومن ذلك ما أنشده أخيراً العالم السنغالي الشيخ عبد العزيز جوب في آخر درسه الديني الذي ألقاه في حضرة صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله (رمضان 1405) وكان جلالته محفوفاً بولي العهد سيدي محمد وصنوه مولاي رشيد ومن ضمهم ذلك المجلس العلمي، وبعد أن أنهى الشيخ درسه ختمه بالدعاء وإنشاد هذين البيتين وهما للمتنبي:

أمــا تَـرى مــا أراهُ أيُّهـا المَلِكُ
كـأنّنا في سَمـاءٍ مـا لَهـا حُبُـكُ
الفـرقدُ ابنُـك والْمصْباحُ صـاحِبُهُ
وأنْتَ بدر الدُّجى والمجلسُ الفَلَكُ

ونشير في ختام هذا الفصل إلى أن أدباء المغرب احتفلوا بذكرى المتـنبّـي عندما احتفلت بها الأوساط الأدبية في العالم العربي سنة 1935 وقد سجلت صحف ذلك الوقت ومجلاته ما كتبوه في تلك المناسبة[174].

وإذا كانت العودة إلى المتنبي في العالم العربي لم تتم إلا في مطلع النهضة الحديثة فإن مكانته في المغرب ظلت محفوظة ـ كما رأينا ـ طوال مختلف العصور.

---

(174) نذكر منها على سبيل المثال العدد الخاص من مجلة «المغرب الجديد» العدد المزدوج 9 - - 10 فبراير ـ مارس 1936.

الصفحة الأخيرة من الجزء الثالث.

من جواهر الآداب لابن لسراج الشنتريني

الصفحة الأولى من الجزء الرابع من كتاب.

ابن السراج الشنتريني

نسخة من شرح الوحيد لديوان المتنبي منتسخة في سبتة (مخطوط الأسكوريال).

الفصل الثالث

مؤلف روضة الأديب في التفضيل بين المتنبي وحبيب



مؤلف الرسالة هو أبو الحسن علي بن أحمد بن علي المعروف بابن لبّال الشريشي، ورفع ابن عبد الملك المراكشي نسبهُ إلى عبد مناف فقال: «علي بن أحمد بن علي بـن فتـح بن لبال بن إسحاق بن أمية بن عبدالله بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف»[1].

ولم يشر ابن عبد الملك إلى مصدره في هذه السلسلة على خلاف عادته، ولعلّه اعتمد فيها على ابن لبال نفسه الذي كان ـ كما يقول ـ «حافظاً للتاريخ والنسب»[2].

ويقول أبو الخطاب ابن دحية الذي عرف ابن لبال وسَمِع منه بمنزله في شريش: «أبو الحسن علي بن أحمـد بن علي بن فتح وهـو لبّال بن أمية بن إسحاق القرشي الأموي»[3] وإذا لم يكن في هذا النص المطبوع خلل فإن كلمة لبال بما تحمله من مسحة عجمية إنما هي لقب لفتح أحد أجداد المترجم، وهذا يخالف ما رأيناه عند ابن عبد الملك من عده جدّاً آخر بعد فتح.

(1) الذيل والتكملة 5: 169.

(2) المصدر نفسه.

(3) المطرب: 97 تحقيق الأبياري.

أما الآخرون الذين ترجموا لابن لبال فهم يقفون في تعداد نسبه عن جده علي، ولكن الجميع يتفق على نسبته الأموية.

وإذا صح النسب الذي ساقه ابن عبد الملك بكون ابن لبال من عقب عبد الرحمن الداخل ومن ذرية ولده عبدالله البلنسي، وقد ذكر ابن حزم في الجمهرة أنه بقي في وقته «من ولد عبدالله البلنسي رجل يعرف بابن الخدين»[4].

ولد ابن لبّال بمدينة شريش سنة ثمان وخمسمائة ويستفاد من قائمة شيوخه أن جلّ دراسته كانت بإشبيلية، فقد قرأ القرآن بالقراءات السبع وسمع صحيح البخاري على ابي الحسن شريح شيخ القراء والمحدثين بإشبيلية والأندلس في زمنه[5]، وروى الموطأ عن أبي بكر محمد بن طاهر وأبي بكر ابن العربي بإشبيلية أيضاً[6]، ودرس بها النحو واللغة والأدب على أبي الحسن علي بن مسلم[7] وأبي الفضل ابن الأعلم[8] وأبي بكر محمد ابن فندلة[8م]، وقد نص في رسالته على قراءته على هؤلاء بإشبيلية، وسمع ببلده شريش مقامات الحريري على أبي القاسم عيسى ابن جهور الذي أخذها ببغداد عن الحريري[9] نفسه. ومن شيوخه أيضاً أبو الطاهر التميمي السرقسطي مؤلف «المسلسل» و«المقامات اللزومية»[10] وأبو الحجاج يوسف

(4) الجمهرة: 95 تحقيق عبد السلام هارون.

(5) ترجمته في الصلة: 229 والغنية: 273 وبغية الملتمس رقم 849 وغاية النهاية 1: 324 ووفيات الأعيان 7.

(6) ترجمتهما في الصلة: 557 - 558 وغيرها.

(7) ترجمته في الذيل والتكملة 5: 180، 392 والتكملة رقم 1848.

(8) ترجمة أبي الفضل حفيد الأعلم في المطمح: 64 - 67 والصلة: 552 وبغية الملتمس رقم 609 وبغية الوعاة 1. 161 ونفح الطيب.

(8م) ترجمته في الصلة: 552 وبغية الملتمس رقم 210.

(9) ترجمته في الصلة: 416 وصلة الصلة رقم 79 وبغية الملتمس رقم 1140.

(10) ترجمته في الصلة: 556 والمعجم لابن الأبار: 140 وبغية الوعاة 1: 279.

القضاعي الأندي[11] وأبو مروان ابن مسرة[12] وأبو الحسن خليل بن إسماعيل[13]، وأبو العباس بن أبي مروان[14] وغيرهم.

قد تهيأتْ لابن لبّال بهذه الدراسة الجادة ثقافة عامة عريضة، وتكونت لديه مشاركة واسعة في علوم متنوعة، «وكان معتنياً بالقراءات مجَوّداً لها، وافر الحظ من الآداب، حافظاً للتاريخ والنسب، متقدماً في علم العربية، عاقداً للشروط ضابطاً لها»[15].

ولما انتهى زمن الطلب والدراسة بإشبيلية عاد ابن لبّال إلى بلده شريش واستقرّ به منتصباً للتدريس متطوّعاً به ومشتغلاً بالتوثيق متعيشاً منه، ومهتماً بالتدوين والتأليف ونقدر أن عودته إلى شريش كانَتْ في آخر العقد الرابع من القرن السادس أي حوالي 540 هـ وهذا التاريخ يمثل نهاية عهد المرابطين في الأندلس وبداية عهد الموحدين، وقد كانت مدينة شريش أسبق مدن الأندلس إلى الدخول في الطاعة والمبادرة إلى مبايعة عبد المؤمن فأصبح لها بذلك وضع خاص طوال عهد الموحدين، قال ابن أبي زرع: «فكان أول مدينة فتحوها من الأندلس مدينة شريش، فتحوها صلحاً، كان بها قائدها أبو الغمر من بني غانية في ثلاثة آلاف فارس من المرابطين، فخرَج بمن معه فتلقى الموحدين وبايعهم لعبد المؤمن ودخل في طاعته، فكان الموحدون يسمونهم السابقين الأولين، وحُرّرت أملاكهم فلم تزلْ محررة إلى انقضاء أيامهم، فليس في أملاكهم رباعة وجميع بلاد الأندلس مربّعة، وكان ملوك الموحّدين - إذا قدم عليهم وفود الأندلس للسلام في كلّ سنة - أول من ينادون من أهل البلاد أهل شريش، فيقال لهم: أين

(11) ترجمته في بغية الملتمس رقم 1446 والتكملة رقم 2076 وصلة الصلة رقم 400.
(12) ترجمته في الصلة: 348.
(13) ترجمته في التكملة: 310.
(14) ترجمته في التكملة: 58.
(15) الذيل والتكملة 5: 169

السابقون أهل شريش يدخلون للسلام فإذا سَلّموا وقضيت حاجاتهم انصرفوا، فحينئذ يدخل غيرهم، وكان فتح شريش في أول يوم من شهر ذي الحجّة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة»[16].

كان ابن لبّال في هذا التاريخ قد جاوز الثلاثين وبلغ مبلغ الرجال، وفي هذا الجو الاجتماعي الممتاز الذي أصبحت تتمتع به شريش أقبل بعزم وحزم على ما كان بصدده من التدريس ونشر العلم، واتسمت حياته منذ شبابه بسمات الفضل والخير والورع والزهد، وسرعان ما أصبح بفضل خصاله الحميدة وشيمه النبيلة «عين ذلك المصر، وفارسه في الفقه والنظم والنثر» كما يقول ابن دحية[17].

وهذا ما جعل أهل بلده يجمعون على ترشيحه لخطة القضاء عندهم، وهنا يحسن بنا أن نسوق كلام ابن الزبير قال: «وولي قضاء بلده شريش مكرهاً، وكان سبب ذلك أن والي إشبيلية كتب إلى أهل شريش أن يجتمعوا على رجل منهم يولّى القضاء بها فجمعهم والي البلد وأجمعوا عليه ولم يختلف عليه أحد منهم فحلف أن لا يكون قاضياً ورجا أن يبروا يمينه فلم يفعلوا، وكُتب عقدٌ باتفاقهم عليه ووجّه إلى إشبيلية فوصلهم كتاب ولايته، فهم بالمشي إلى إشبيلية ليستعفي فمنعوه واتفقوا على المشي معه في طلبه، وذُكر لصاحب إشبيلية أنه ضعيف الحال فرتّب له مرتّباً يأخذه من المخزن مشاهرة فاشترى منه عبداً فأعتقه كفارة ليمينه وقال في ذلك:

كنتُ مُذْ كنتُ كارهاً
أن ألي خطّةَ القضا

لَمْ أرِدْها وَإنّما
ساقَها نحويَ الْقَضا

---

(16) الأنيس المطرب: 188 ط. دار المنصور ـ الرباط.

(17) المطرب: 97.

وقال حين زال عن القضاء:

حُمِلتُ عَلى الْقضاءِ فَلَمْ أُرِدْهُ
وكـانَ علَيّ أثقـلَ مِنْ ثَبيـر
فلمّا أنْ عُزِلْتُ جَعلتُ أَشْـدو
لقد أنقذت من شـرٍّ كَبير»[18]

ويشير ابن عبد الملك إلى سيرته خلال الفترة التي تقلّدَ فيها القضاء فيقول: «وكان من أفاضل قُضاة زمنه صدعاً للحق في قضائه، وقياماً بالعدل في أحكامه، لا تأخذه في الله لومة لائم»[19]. وَيَقُولُ ابن دحية: «ولي القضاء به (يعني بلده) فحمدت في ذات الله مآثره وآثاره، وسارت في العدل أخباره»[20].

ولما تخلّى عن القضاء تفرغ لما كان يؤثره من الإقراء والتدريس، وقد وصف ابن عبد الملك حاله في تعليمه ومعيشته فقال: «وكان محرّضاً على طَلَبه، برّاً بطلَبته، معظّماً لشأنه وأهله، لين الجانب لهم ناصحاً في تعليمه، متواضعاً في أحواله، متبذّلاً في لبسته، أكثر لباسه جبّة صوف لا شِعار لها، يتولّى خدمته لنفسه، وشراء ما يحتاج إليه، وحمل خبزه إلى الفرن وسوقه منه تخاملاً وقهر نفس»[21].

أما تلاميذه فمعظمهم من أبناء بلده شريش ومن أنجبهم أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي شارح المقامات المشهور[22]، وكان شيخه ابن لبّال يثبت نسبه في بني أمية، وفي هذا ما يدل على اعتزاز الشيخ

(18) صلة الصلة: 109.
(19) الذيل والتكملة 5: 170.
(20) المطرب: 97.
(21) الذيل والتكملة 5: 170.
(22) ترجمته ومصادرها في الذيل والتكملة 1: 268.

بتلميذه، وقد تابع هذا التلميذ شيخه في شرح المقامات، وضمن هذا الشرح جملة من أشعار شيخه، ومن أنجبهم أيضاً الأديب الشاعر أبو عمر محمد ابن غياث الشريشي[23] وهو من سراة الأعلام، وحسنات الأيام، رق نسيم نسيبه، وراق ما اخترع من عجيب النظم وغريبه[24] وأبو بكر محمد ابن الغزّال الشريشي[25] وأبو الحسن علي ابن الفخار الشريشي[26]، وأخذ عنه من غير أهل شريش النحوي المشهور أبو علي الشلوبين الإشبيلي[27] وآخرون.

يُنْعتُ ابن لبال بالقاضي الزاهد، هكذا وصفه الرعيني أكثر من مرّة[28]، وقال ابن الزبير: «وكان. . . زاهداً وَرعاً فاضلاً من أفضل أهل زمانه وأورعهم». ثم قال: «وأخباره في ورعه كثيرة»[29]. وظل على حاله هذه إلى أن توفي سنة 582 هـ. وهو ابن أربع وسبعين سنة. قال ابن عبد الملك: «وكان الحفل في جنازته عظيماً والثناء عليه جميلاً، ولم يزل قبره مزوراً مرجو البركة رضي الله عنه»[30].

أما آثاره الأدبية فهي:

1 ـ شرح مفيد على مقامات الحريري. ويبدو أنه مفقود، ولعلّ شرح تلميذه أحمد بن عبد المؤمن الشريشي غطّى عليه فكتبت له الشهرة والبقاء وأحسب أنه استعان به، ولكنه لم يذكره من جملة شروح المقامات في

(23) ترجمته ومصادرها في الذيل والتكملة 6 :295.
(24) المغرب 1 :305.
(25) ترجمته في الذيل والتكملة 6 :499.
(26) ترجمته في الذيل والتكملة 5 :185.
(27) ترجمته ومصادرها في الذيل والتكملة 5 :460.
(28) برنامج الرعيني: 90، 122.
(29) صلة الصلة: 109.
(30) الذيل والتكملة 5 :171؛ هذا ويحسن التنبيه إلى أن ترجمة أبي الحسن ابن لبال كما وردت في نفح الطيب 4 :231 نقلاً عن المطمح لا علاقة لها بصاحبنا.

مقدمة شرحه ولم يصرّح بالنقل عنه إلا مرة واحدة في آخر المقامة الكرجية عند شرح بيتي ابن سكره في كافات الشتاء فقد أورد ثلاثة أبيات للشاعر الأندلسي ابن مسعود زاد فيها كافاً ثامنة وقال: «نقلت أبيات ابن مسعود من شرح شيخنا ابن لبال، قال (أي ابن لبال): ولما جمعنا في أيام الشتاء ما جمعنا من الكافات قلت في ضدّها الحرّبيتين جمعت فيها من الراءات ثمانية وهي:

عِنـدي فـدَيتــكَ راءاتٌ ثمـانيــةٌ
أُلْقى بهـا الحـرَّ وافى وإن بـردا
رق وروحٌ وريحـــانٌ وريق رشـــاً
ورفـرف وريـاض نـاعم وردا»[31]

ويستفاد من هذا النص أن شرح ابن لبّال على المقامات حافلٌ بالمختارات الأدبية ولا سيما الأندلسية، وأنّهُ يشتمل على نماذج من شعر مؤلّفه، كما تدلنا نقول منه وردت في كتاب الدوحة المشتبكة على أنه عامر بالفوائد الفقهية والتاريخية، وأخيراً فإن قيام ابن لبّال بوضع شرح للمقامات ينهضُ دليلاً على ثقافته الأدبية واللغوية الواسعة.

2 ـ مقدمة في العروض. وقف عليها ابن عبد الملك فيما يـظهر ووصفها بأنّهـا نافعة[32].

3 ـ روضة الأديب، في التفضيل بين المتنبي وحبيب. وقد انفرد ابن عبد الملك بذكرها هي والمقدمة المذكورة قبلها، وهذه الروضة هي التي نقدم لها بهذه المقدّمة، وهي عبارة عن مقالة وصفها ابن عبد الملك بأنّها «مقالة نبيلة» وسنعرض لوصفها وذكر محتواها وقيمتها فيما بعد.

4 ـ شعره ونثره: قال ابن عبد الملك: «وكان يقرض مقطعاتٍ من

(31) شرح الشريشي على المقامات 3 :42.
(32) الذيل والتكملة 5 :170.

الشعر يجيد فيها، وبينه وبين جماعة من أدباء عصره مخاطبات أدبية نظماً ونثراً تدلُّ على متانةِ أدبه»[33].

أمّا مخاطباته الأدبية ورسائله الإخوانية فلم يصل إلينا شيء منها فيما وقفنا عليه، وأمّا شعره فقد بقيت منه بعض القصائد والمقطعات في أغراضٍ متنوّعة.

إن هذا الشاعر الحسيب والفقيه الورع الزاهد الذي أصبح قبره في شريش مزاراً يتبرك به[34] كانت تهزه أريحية الأدب فينقاد لدواعي القول البريء وينظم في أغراض الكلام المباح فله غزليات حلوة وخمريات عذبة، ولعلّه قالها من باب الأريحية أو على سبيل الرياضة كما يعبر المعري، وله شعرٌ في وصف الطبيعة، ومتنزّهات بلده شريش، كوصف التنزّه في النهر بالزوارق، ووصف متنزّه «الجانة» ووصف زمن العصير، وله مقطعات في الألغاز، ووصف الأدوات الحضارية كالدواة والمقص وغير ذلك.

أما شعره في الحنين إلى الديار المقدسة والشوق إلى زيارة قبر المصطفى فهو ينسجم مع تدينه وورعه وزهده.

ولعلّ من المفيد أن نثبت ما وقفنا عليه من شعره وسنسوقه مرتّباً على الحروف:

حرف التاء

قال يصف التين القوطي:

كأنَّ جَنَى القوطِي في رَوْنق الضُّحى
وقَدْ حملتْهُ راحةُ الوَرَقاتِ

---

(33) المصدر نفسه.

(34) المصدر نفسه.

نهودُ عذارَى زُحْزِحَتْ عنْ مَقَرِّها
فقامَتْ عَلى الأطرافِ والحَلَماتِ[35]

حرف الحاء

وقال معارضاً البحتري:

يـا بِـأبـي ظبـيٌ إذا مـارَنـا
أثـخـنَ قَـلْبـي وفُـؤادي جِـراحْ
يفتـرُّ عنْ طلعٍ وعـنْ جـوهـرٍ
وفِـضّـة أو حَـبَـبٍ أو أقـاحْ[36]

حرف الـدال

وقال في راءات الصيف:

عِنـدي فـديتـكَ راءاتٌ ثمـانيـةٌ
ألقى بها الحَرَّ إن وافَى وإن بَرَدا
رق ورَوْح ورَيْحانٌ وريقُ رشاً
ورفـرف وريـاضٌ نـاعم ورِدا[37]

وقال يتشوق إلى الروضة المقدسة الطاهرة، ويسلّم على محمّد سيد ولد آدم في الدنيا وسيد الناسِ في الآخرة:

سلامٌ وَلا أقْرَا سـلاماً على هِنـدِ
صرفتُ إذاً مَسْرايَ عن مَسْلك الرشْدِ

(35) شرح مقامات الحريري للشريشي 3 :65 نشر خفاجي. والتين القوطي من أنواع التين بالأندلس. انظر النفح 1 :200.

(36) المصدر نفسه 1 :62 وهو يعارض قول البحتري.

(37) المصدر نفسه 3 :42.

على قمَرٍ لو أطلعتهُ يدُ الثّرى
لقصّــر عن لألائه قمــرُ السّعـدِ
وأرْبَى على نورِ الغـزالــة نـورُه
كما يفضل الحُرُّ الكريمُ على العَبْدِ
فَطابَ بهِ ترْبُ الضريح بطيبِهِ
فيعبَقُ عن مسـكٍ نديّ وعن نَـدٍّ
ويَضحكُ عن روضٍ تُداني يد الصّبا
به صفحة السّوسانِ مِن صفحةِ الوردِ
فَطوبى لمَنْ أضحى يمرّغ لـوعَةً
بتـربة ذاك القَبْـر خـدّاً إلى خَـدِّ
نـبي عـليــهِ مـن تــلألـؤ نــورِه
تَـلألؤ برقٍ أسـرجَتْهُ يـدُ الـرّعْـدِ
نما من قريشٍ في ذؤابة هاشمٍ
فما شئت من فضلٍ عميمٍ ومن مجد
سـلامٌ عليـهِ مـا تغنّت حمـامــةٌ
وفاحَ ذكي المسكِ من جنّة الخُلْدِ
وما أنشدَ المشتاقُ إن هبّت الصّبا:
«ألا يا صَبا نجدٍ متى هِجْـتِ من نجدِ»[38]

وقال يصف البهار وهو الذي يسمّيه أهل المشرق نرجساً:

وبـهــارٍ يحـكى كـؤوس لُجـيـنٍ
حملتهــا أنــامــلٌ من زبــرجَــدْ

---

(38) المطرب: 97.

سـامرتهـا الكـواكبُ الـزُّهْـرُ حَتّى
سَمَرت وسْطَها كواكبُ عَسْجَدْ[39]

حرف الـراء

وقال يصف حاله في الكبر:

قَـوّسَ ظَهْـري المشيبُ والكِبَـرُ
والـدَّهـرُ يـا عَمْـرو كُلُّه عِبَـرُ
كـأنّـني والْـعَصـا تـدِبُّ مـعي
قوسٌ لَها وهْي في يـدِي وَتَرُ[40]

وقال يصف نار الكانون:

فـحـمٌ ذكـتْ فـي حشـاه نـارُ
فـقـلتُ مسـكٌ وجُـلّنـارُ
أوْ خَـدُّ مَن قَـدْ هـويتُ لَمّـا
أطـلّ مـن فَـوْقـه الـعِـذارُ[41]

وقال في وصف ثَغر وخَصْر:

جلوتِ لنا شيئاً من الدرِّ عاطِلاً
بعيشِكِ لِمْ جنّبتِه الجيدَ والنّحرا
فقالَتْ ولم تكذِبْ خشيت سقوطَهُ
وأومت إلى فيهـا فنـظّمـه ثَغْـرا

---

(39) شـرح المقامات للشريشي 1 :54.

(40) المصدر نفسه 1 :96.

(41) المصدر نفسه 4 :155.

كذلك إنْ عَضّ السِّوارُ بمِعْصَمي
وحاولَ أن يُدْميه حَمَّلْته الخَصْرا[42]

وقال يصف الهلال وأخذه من ابن المعتز:

انـظُر إلـى الْـهـلالِ إذْ
لاحَ بـهـي الـمَـنْـظَرِ
كـزورقٍ مـن فـضّـةٍ
وسط لـجـيـنٍ أخـضَـرِ[43]

وقال يصف متنزّهاً بشريش يسمّى إجانه:

أيـا حبذا إجـانَـةٌ كيفمـا اغْتَـدتْ
زمـان ربيـع أو زمـان عَصيـرِ
مذانبُ ماء كاللُّجين على حصىً
كـدُرٍّ بـلا ثَـقبٍ أغَـرَّ نـثيـرِ
ورملٍ إذا ما ابتلّ بالمـاءِ عِطْفُه
غَـنيـنـا بِـهِ عن عَـنْبـرٍ وذَرورِ
وتينٍ كمـا قـامتْ على حَلَمـاتهـا
نهودُ عَذارى الـزّنج فَـوقَ صدور
كـأنّ قِـبـاتِ آلْخَـزِّ فيهـا عَـرائِسٌ
على سُـرُرٍ مفـروشـةٍ بحَـريـرِ[44]

وقال من قصيدة حجازية:

(42) المصدر نفسه 1: 195

(43) المصدر نفسه 1: 94.

(44) المصدر نفسه 3: 65 وانظر ما قيل في الإجانة: المغرب لابن سعيد (شريش).

متى أقــولُ وقـد كلّتْ ركــائبُنـا
من السّرى وارتكاب البيدِ في البُكَرِ
يـا نـائمين على الأكـوارِ ويْحَكُمُ
شدّوا المطي بذكر اللّهِ في السّحَرِ
أما سمعتم بحادينـا وقد سَجَعَتْ
وُرْق الحمائمِ فوق الأيكِ والسَّمُر
هذي البشارة يا حُجّاجُ قد وجَبَتْ
غَـداً تحطّونَ بين الرُّكْنِ والحجَرِ(45)

وقال يصف حاله في الكبر:

لمّا تقوّس منّي الجسمُ عن كِبَـرٍ
وابيضّ ما كانَ مُسْوَدّاً مِن الشّعَرِ
جعْلتُ أمشي كـأنّي نصفُ دائرَةٍ
تمشي على الأرض أو قوسٌ بلا وَترِ(46)

حرف الـزاي

وقال مُلْغِزاً:

معــانقَـةُ العجــوز أشَـدُّ عِنْــدي
وأقْتــلُ من مـعــانقــة الـعجــوز
ومــا ريق العَجـوز أمَــرُّ عِنـدي
وَلا بـألَـذّ من بَــوْلِ العجـوز(47)

(45) المطرب: 99.
(46) تحفة القادم.
(47) المطرب: 99.

العجوز الأولى: المرأة المسنـة، والثانيـة السيف، والثالثـة الْخمر والرابعـة البقرة، وبولها: لبنها.

حرف السـين

وقال في وصف الخمر:

ومُـدامَـةٍ لبستْ غِـلالـةَ نـرجسٍ
وتنفّست في الكَـاس أيّ تنفُّسِ
بـاكـرتهـا والـورْدُ يـوقـظُهُ النّـدى
وَتَبـلُّ خَـدّيـه عيـون النّـرجِسِ
والشمسُ تنـظُرُ من وراءِ غَمـامـةٍ
لَبِست من الكافور أحسنَ ملبَسِ
نبّهتُهـا بيـد المِـزاجِ فَـأصبحتْ
تـرنـو إلي بـأعيـنٍ لم تَـنْعَسِ
وتـورّدتْ حَتّى تـوقّـدَ كَـأْسُهـا
فحسبتُها في الكفِّ جذوة مقْبس(48)

حرف الطـاء

نُسب إليه في المنتقى المقصور هذان البيتان:

تكاملت فيك أوصافٌ خُصصتَ بها
فـكلُّنـا بـك مسـرورٌ ومغـتبط
فـالسنّ ضاحِكـةٌ والكفّ مـانِحـةٌ
والصدرُ متسعٌ والـوجهُ منبسِطُ(49)

---

(48) الشريشي 2 :95.

(49) نسبهما له ابن القاضي في المنتقى المقصور و ذكر ابن خلكان أنه وجدهما منسوبين إلى أبي الشيص وكان ابن تومرك ينشدهما إدا أبصر عند الموت، و فيات 3 :238

حرف القاف

وقال في محبرة عنّاب محلاة بالفضّة:

مـنـعـلةٌ بـالـهـلال مُـلْجـمـةٌ
مـجـدولَـةٌ مـنَ الـشّـفَـقِ
كـأنّـمـا حبْـرُهـا تـميّـعَ فـي
فُـرْضَتِهـا سـائـلٌ من الغَسَقِ
فـأنْـتَ مهـمـا تُـرِدْ تُشَبِّهُهـا
في كلّ حالٍ فانظُرْ إلى الأفقِ[50]

وقال في الجَلَمَيْن:

ومُـعْتَـنِقَـينِ مـا اتَّـهـمـا بـعِشْـقٍ
وإنْ وُصِـفـا بـضَـمٍّ واعْـتِـنـاقِ
لَعَمْـرُ أبيـكَ مـا اجْتَمَعا لمَعْنىً
سِوَى مَعْنى الْقَطيعـةِ والْفِراقِ[51]

وقال معارضاً أبيات الحريري في المقامة الثانية:

ودّعـتُـهـا ومَـدامـعـي
تـنـهـلُّ بـالـدّمْـعِ الـطّليـقْ
فَـبـكـتْ فـأذْرَت أَدْمُـعـاً
فـي صـفـحـةِ الـخَـدّ الأنِـيـقْ
ومـضَـتْ تَـعَضّ بـنـانَـهـا
بـيـن الـتـلهُّـف والـشّـهـيـقْ

(50) المطرب: 98 ونفح الطيب.
(51) المطرب: 98.

فـــرأيـــتُ دُرّاً ســـاقــطاً
مـن نـــرْجِسَيْــنِ عـلى شَـقـيـقْ
ورأيـــتُ مـــبـيضّ الـــلُّجيْـ
ـنِ يـعَضّ محـمَـرّ الْعَـقـيـقْ[52]

حرف اللام

وقال في محبرة آبنوس:

وخَــديـمـةٍ للعلمِ في أحشـائِهـا
كلَفٌ بجمـع حـرامِـهِ وحَـلالِــهِ
لبست رداء الليــلِ ثمّ تـوشّحَتْ
بنجــومِـهِ وتتــوجت بهـلالِــهِ[53]

حرف الميـم

قال ملغزاً:

ســبـيئـتــان اثــنــتــان هــذي
حــلٌّ مــبــاحٌ وذي حَـــرامُ
قُــلْ لــذوي الـعلمِ خَـبّــرونـي
مـا الحـلّ مِنْهـا ومـا الْحَـرامُ[54]

وقال في الغزل:

---

(52) الشريشي 1 :61.

(53) المطرب: 98.

(54) المصدر نفسه.

مـــا كنتُ أَحسِبُ قبــلَ رُؤْيتِــهِ
أن البـدورَ تـدورُ في الأغْصــانِ
غــازلتُــهُ حَتّى بــدا لي ثغــرُه
فـحسِبْتُــه دُرّاً عَـلى مَــرْجـانِ
كـم ليـلةٍ عــانقتُــه فكــأنّـمــا
عـانقتُ من عِطفيـهِ غُصْنَ البـانِ
يَطْغى ويلعبُ عند عقْدِ سواعدي
كالمُهْرِ يلعبُ عِـنْـدَ ثَنْي عِنان[55]

حرف اليـاء

وقال:

بنَفْسي هــاتيكَ الـزوارقُ أُجْـرِيَتْ
كحلبـة خيــلٍ أولاً ثمّ ثــانيــا
وقد كانَ جيدُ النهرِ من قبل عاطِلاً
فأمسى بها في ظلمة الليلِ حالِيا
عليها لزهْر الشمعِ زهـر كواكبٍ
تخـالُ بها ضمن الغـديرِ عـوالِيـا
ورُبّ مُثــارٍ بــالجنــاحِ وآخــرٍ
برجلٍ يحاكي أرنباً خاف بازيا[56]

5 ـ روضـة الأديب، في التفضيـل بين المتنبي وحبيب: من حسن

(55) الشريشي 3: 137.

(56) رايات المبرزين: 53 تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاصي.

الحظ وعجيب الصدفة أن تصلنا هذه الرسالة التي لو لم يسمّها ابن عبد الملك لما عرفناها ولا اهتدينا إليها. وقد وجدْنَاها ضمن مجموع مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ورقم المجموع 3172 ك، وهو يشتمل على أوراق من الروض المريع في صناعة البديع لابن البناء المراكشي العددي وورقات من رائق التحلية وفائق التورية، وورقات في سرقات البحتري من أبي تمام مقتبسة من الموازنة للآمدي، وورقات من قراضة الذهب لابن رشيق، ورسالة ابن لبال تنقصها الورقة الأولى المشتملة على جزء من الديباجة كما تنقصها ورقة أخرى من صلبها وقد اختلطت أوراقها وتداخلت مع أوراق الروض المريع وقراضة الذهب ورائق التحلية، وهذا يبدو من أرقام الصفحات التي أثبتناها كما هي الآن في المجموع المذكور. وتواريخ النسخ في هذا المجموع تعود إلى سنة ثلاث بعد الألف الهجرية وقد كتب بالحروف تارة وبالأرقام تارة أخرى، ولا ذكر لاسم الناسخ، ويبدو من أخطاء النسخ المُتعَدِّدة أنه ليس من أهل العلم والضبط، وقد جاء في آخر الرسالة ما يلي:

تم التأليف والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله أجمعين، ضحوة يوم الأربعاء غرة ربيع الثاني سنة 1003.

نخرج من قراءتنا للرسالة بالملحوظات الآتية:

أ ـ أنها في الأصل إملاء من ابن لبال على أحد تلاميذه ولهذا نجد اسمه يذكر دائماً مصحوباً بتحليته والدعاء له كهذه العبارة: «قال الفقيه المشاور الأستاذ أبو الحسن ابن لبّال أدام الله رفعته» وقد تكرر مثل هذا في أول كل فصل من فصول الرسالة.

ب ـ يتميز أسلوب الرسالة بالتزام السجع والتقيد به من أول الرسالة إلى آخرها، ومن شأن هذا الأسلوب المسجوع أن يحدّ من امتداد النفس، ويؤثر على استرسال القول، ويخرج بالنقد من مجال التفصيل والتحليل إلى

مجال الإجمال والتعميم، وهذا هو الأسلوب الغالب في الرسائل والمقامات النقدية الأندلسية والمغربية كرسائل الانتقاد لابن شرف ومقامات السرقسطي وغيرهما.

ج ـ جل هذه الرسالة آراء وأقوال لشيوخ ابن لبّال وشيوخ شيوخه أو نقول من بعض كتب النقد وأمهات الأدب، فأما الشيوخ فهم علي بن مسلم الإشبيلي وأبو بكر بن فندلة والأعلم الشنتمري وأبو الفضل ابن الأعلم وأبو مروان ابن سراج.

وأما كتب الأدب والنقد التي نقل منها فهي العمدة لابن رشيق والأمالي لأبي علي القالي والذخيرة لابن بسّام ومقامات السرقسطي والموضحة للحاتمي والكامل للمبرد وغيرها.

وله تعقيبات على هذه الأقوال والنقول تفتتح دائماً بمثل هذه العبارة: «قال الفقيه الأستاذ المشاور أبو الحسن ابن لبال أدام الله عزه» وهي تعقيبات يؤيد بها مذهبه في المفاضلة بين الشاعرين.

د ـ الرسالة ليست موازنة منصفة بين أبي تمام والمتنبي أو مفاضلة عامة بينهما، وإنما هي من أولها إلى آخرها تفضيل صريح للمتنبي على الطائي، ولذلك اقتصر ابن لبال على الآراء والأقوال التي تشهد لكلامه وتخدم وجهه نظره، ويبدو أن لرسالة ابن لُبّال علاقة مّا برسالة عنوانها: «نزهة الأديب، في سرقات المتنبي من حبيب» وقد ذكرها البديعي في الصبح المنبي، ونسبها إلى من سماه بابن حسنون المصري[57]، ويفترض بلاشير أنه من أهل القرن الخامس[58] وظن د. عبدالله الجبوري أنه هو عبدالله بن الحسين بن حسنون البغدادي نزيل مصر[59]، ولم ينتبه إلى أن هذا توفي

(57) الصبح المنبي 1 :426 (بهامش شرح العكبري).

(58) انظر: ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين. ترجمة أحمد بدوي ص 32.

(59) له ترجمة في تاريخ بغداد 9 :442 - 443 وغاية النهاية 1 :415. وانظر كتاب المتنبي في آثار الدارسين.

سنة ست أو سبع وثلاثمائة أي قبل أن يظهر المتنبي، ويبدو لي أن في الاسم تحريفاً وأن كلمة المصري محرفة عن الحميري وأن الأمر ربّما يتعلق بابن حسنون الحميري[60] معاصر ابن لبال، ولكن هذا مجرد افتراض لأن التأليف المذكور وهو مفقود لم يشر إليه في مكان آخر.

ومهما يكن الأمر فإن ابن لبال في تفضيله أبا الطيب على أبي تمام مسبوق في الأندلس بأبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي مؤلف كتاب «الانتصار لأبي الطيب» وهو كتاب ضائع يدل اسمه والنقول القليلة على إعجاب صاحبه بالمتنبي وتعرضه لبعض معايب أبي تمام[61]، ويبدو من رسالة ابن لبال أنه لم يقف على هذا الكتاب فلو اطلع عليه لاحتج بكلامه أو أشار إليه، والظاهر من رسالة ابن لبال وغيرها أنّ تفضيل المتنبّي على أبي تمام هو الاتجاه الغالب عند الأندلسيين.

هـ ـ وهو يفضّل المتنبّي على أبي تمام بما يلي:

ـ أنه أطبع من أبي تمّام في رأي النقّاد وهو بذلك أشعر «لأن ما كان من الشعر طبعاً لا تكلّفاً جاء أحسن وما كان منه تكلّفاً جاء أصعب وأخشن»[62]. وألفاظ هذا الكلام تشي بوقوف ابن لبال على ما ذكره الجرجاني في موضوع المطبوع والمصنوع أو المتكلّف من الشعر والتكلّف الذي يعاب به شعر أبي تمّام وإن لم يشر إلى ذلك.

ـ لما في شعره من «الغزل المطرب، والتشبيب المونق المعجب، حتى ليذهب بالورع، وربما أوقع من ليست له حصانة فيما يعلق به من

---

(60) ترجمة أبي بكر ابن حسنون الحميري في الذيل والتكملة 6: 452 والتكملة: 574 وغاية النهاية 2: 421. وفي ترجمته أنه لازم ابن القفال في العربية والأدب ولكن لم يذكر له فيها تأليف، ويستفاد من ترجمته أنه اشترك مع ابن لبال في بعض شيوخه.

(61) انظر أحكام صنعة الكلام.

(62) انظر النص.

الدّرَن والطّبَع»[63] ولهذا كان الأعلم الشنتمري ينهى طلبته عن قراءة شعر أبي الطيب في شهر رمضان.

ـ «ولما فيه من الاستغراق في المدح والمبالغة والغوص على المعاني الرائقة والأغراض البديعة الفائقة»[64] ويبسط ما ذكره فيقول: «وكلّما جاوز الشّاعِر في المدح وغلا، وتربّع منصة المبالغة وعلا، وأرقّ الغزل، وأضاع نفسه بين العذر والعَذَل، وتجاوز الصدق إلى الكذب، والجدّ إلى اللعِب، كان أشعر، وأسمع بدواعي ما ينتحله وأبصر؛ ألا ترى أن الشعر لو كان كذبه صدقاً وباطله حقّاً، وكان الوصف فيه على الظاهر لا على التأويل لسخف»[65]. وَوَاضح أن ابن لبّال يؤيد هنا أصحاب الرأي القائل: «أعذب الشعر أكذبه». ويذهب مع المعجبين بالمبالغة والغلو، ومن المعروف بأن أبا الطيب هو «أكثر الناس غلواً، وأبعدهم فيه همّة، حتى لو قدر ما أخلى منه بيتاً واحداً وحتى تبلغ به الحال إلى ما هو عنه غني وله في غيره مندوحة»[66].

ـ أن الشعراء يفضّلون أبا الطيب على أبي تمّام وهم أعرف بصناعتهم، «فَمِن أعلم الناس بالشعر الشعراء لأنه من صناعتهم، ألا ترى أنّ من عامل خيّاطاً فأفسد عليه ثوبه أو أبى هو من إنصافه إن كان لم يساومه فاختلفا في ذلك أو تشاجرا وارتفعا إلى حاكمٍ من الحكّام إنّما يوجّه حكمَهما في القيمة إلى أهلِ تلك الصنعة وكذلك العطّار والنجار والخراز وغير ذلك»[67].

ونلمح في هذا الكلام مسحة الفقيه الأندلسي القاضي ابن لبال، وقد

---

(63) انظر النص.

(64) انظر النص.

(65) انظر النص.

(66) العمدة 2: 63.

(67) انظر النص.

جـلب فـي هذا الموضع أحكام بعض الشعراء وأقوالهم في غيرهم وتطرق إلى اللفظ والمعنى والـطبع والصنعـة بين أبي تمـام والمتنبّي ورد على الحاتمي في تحامله على أبي الطيب.

ـ شعر المتنبي أقرب إلى الوضوح في معناه والسهولة في لفظه من شعر أبي تمام، ولهذا كان الأديب اللغوي ابن سراج القرطبي لا يقرىء في المجلس الواحد من شعر أبي تمّام إلا ثلاثة أبيات، بينما كان يقرىء من شعـر المتنبّي خمسة أبيات.

وإذا كان ابن لبال سار على هذا النحو في رسالته بتفضيله المتنبي على أبي تمّام فإنه لم يشأ أن يختم رسالته دون أن يضع أبا تمام في المرتبة التي يراها فقال: «ومع هذا فلا أخلي أبا تمّام من فضيلة، ولا أعريه عن خصلة جميلة، بل أعتقد أنه شاعر إحسان، وفارِس هذا الشان، وهو مع أبي الطيب كفرسي رهان، في عدة أبيات، وكثير من المقطعات»[68].

وبعد فإن هذه الرسالة لا تأتي بجديد في ميدان النقد الأدبي، وهي ترجع في معظمها إلى التراث النقدي الذي كان متداولاً في القرن السادس الهجري بالأندلس، وتكمن قيمتها عندنا في كونها تمثل حلقة من حلقات الصراع النقدي حول أبي تمام والمتنبي، وقد كانت هـذه القضـية تشغل الخاصة والعامة في الأندلس كما يبدو من حكاية أدباء بـطليوس الـذين اختلفوا في الموضوع واستقر رأيهم على أن يسألوا رجلاً جاهلاً عن أي الشاعرين أفضل «فأيهما أجرى الفال على لسانه، أجمعنا على إحسـانه واستحسانه، فخرجوا متنـاحين خارج المـدينة وإذا بحـراث يحرث . . .» فسألوه أي الرجلين أشعر المتنبي أم حبيب، فقال أشعرهما الذي يقول:

---

(68) انظر النص.

لك يا منـازل في القلوب منازل
أقفرتِ أنت وهُنّ منكِ أواصِلُ[79]

هكذا كانت هذه القضية الأدبية تشغل بال الناس يومئذ على نحو ما ينشغل بعض الناس في زمننا بالمفاضلة بين فريقين في كرة القدم!.

ولهذه الرسالة قيمة أخرى تتجلى في اطلاعنا على شيء من تقاليد الدرس الأدبي في الأندلس كأوقاته وحدوده وما يتعلق بذلك مما سبقت الإشارة إليه.

---

(69) انظر النص.



الفصل الرابع

رَوضَة الأديب في التّفضيل بَين المتَنبّي وَحَبِيب



. . . فصنّفتُ في التفضيل بينَهُما هذا الدّفْتَر الذي رسمتُ فيه ما قيّدت عن شيوخي وقلّدْت[1]، وأثبتُه منْ حفظي في صُحُفي وخلّدت، مع ما تكلّم فيه العُلماء، وأثبتَهُ في تواريخِهمْ المتأَخّرونَ والْقُدماء.

فأوّلُ ما أذكرُه ما قالَ الأستاذ النّحوي أبو الحسن علي بن مُسلم[2] عندما سألناهُ وقْتَ قراءتِنا عليه شِعْر حَبيب وأبي الطيّب، قُلْنا لَه: يا أُستاذ، بالّذي يُبقيك للعِلْم ترفعُ شرائعَه، وتَمْلِكُ عَصِيَّه وطائعَه، أيُّهما أطيبُ شِعْراً، وأنفس دُرّاً، فقال: حبيبُ أصْنَع، وأبو الطّيّب أطْبَع. وهذا لعَمْري فَرْقٌ بيّنٌ دالٌّ على أن المُتنَبّي أشعرُ، لأنّ ما كانَ منَ الشعر طَبْعاً لا تكلّفاً جاءَ أحْسَن، وما كانَ منْهُ تكلّفاً جاء أصْعَبَ وأخْشَن، ولأنّ غيْرَ المطْبوعِ إذا تكلّفَ ضِدّ طِباعِه في شيْء عليهِ تعـذّرَ، وأَبَى وتنكّر، [فـاضطُرّ] إلَى التصَنّع، ونَفِر عن الطّبْع إلى التطبّع، ولِلّهِ دَرُّ أبي الطّيّب حيثُ يَقول:

وأَسـرَعُ مفعـولٍ فعلْتَ تـغَيّـرا
تكلّفُ شيءٍ في طباعك ضدُّه[3]

(1) وقلدت: جمعت، يقال: قلدت أقلِدُ قلْداً أي جمعت ماء إلى ماء.

(2) هو أبو الحسن علي بن محمد بن مسلم مولى المعتمد بن عباد، كان من جلة النحويين، وشهر بجودة التأديب وإنجاب التلاميذ، وكان حيّاً سنة 539 هـ له ترجمة في التكملة رقم 1848 والذيل والتكملة 5: 392 (وص 180) وينبغي أن تكون قراءة ابن لبّال على هذا الشيخ في إشبيلية خلال العقد الرابع من القرن السادس.

(3) الديوان 2: 142 وضع البرقوقي.

وكذلك قوله:

لأنَّ حِلْمَكَ شيءٌ لا تكلّفه
ليسَ التكحُّلُ في العَيْنيْنِ كالْكَحَلِ [4]

وما أحسنَ قولَ سالِم بْنِ وابصة: (11).

يا أيّها المُتحَلّي غَيْرَ شيمتِهِ
إنّ التخلُّقَ يأتي دونَهُ الخُلُقِ [5]

وأنشدوا لأم الهيثم:

ومَنْ يتخِذْ خيماً سِوى خيمِ نفسِه
يدَعْه ويغْلِبْهُ على النَّفْسِ خيمُها [6]

وقالَ ذو الإِصبع:

---

(4) المصدر نفسه.
وللمتنبى أيضاً في هذا المعنى:
يرادُ مِنَ القلب نسيانُكم وتأبى الطّباعُ على الناقِلِ
وله كذلك فيه:
ومكلّف الأيام ضدّ طِباعها
(5) نسبه أبو تمام في الحماسة لسالم بن وابصة الأسدي ولكن صدر البيت في الحماسة كما يلي:

عليكَ بالقصْدِ فيما أنتَ فاعلُه

ونسبه الحصري في زهر الآداب إلى العرجي ورواه هكذا:
ارجِعْ إلى خلْقِك المعْروفِ وارضَ به إن التخلّق يأتي دونَه الخُلُق
وسالم بن وابصة تابعي دمشقي شاعر توفي في آخر خلافة هشام بن عبد الملك. انظر الأعلام للزركلي 3: 116 ط. أولى.
(6) في لسان العرب: أبو عبيد: الخيم: الشيمة والطبيعة والخلق والسجية وأنشد:
ومَنْ يبتدِعْ ما ليسَ مِنْ خيمِ نفْسِه يَدعْه ويغلِبْه على النفسِ خيمُها
وورد البيت غير مسوب أيضاً في عيون الأخبار 3: 5 والعقد 3: 3.
وسمعه المبرد من أم الهيثم الكلابية، وعن الكامل ينقل المؤلف وقال المرصفي في رغبة الآمل 1: 90: نسبه بعض الناس لسليمان بن المهاجر.

كـلُّ امرىءٍ راجـعٌ يومـاً لشيمتِـهِ
وإن تخلّق أَخْـلاقـاً إلى حيـنِ[7]

وقالَ قُدامة:

رأسُ الخَطابة الطّبْع، وعَمودها الدُّرْبة، وجناحاها اللفظ. ورؤوس الأشياء أنْفَسُها وأعلاها، وأحقّها بالفَضْل وأَوْلاها. وقالَ ابنُ رشيق في كتاب العمدة[8].

ومن الشِّعْر مَطْبوعٌ ومَصْنوع، فـالمـطْبـوعُ الذي وُضـع أولاً وعَلَيْه المَدار، والْعَرَبُ لا تَنْظُر في أَعْطَاف شِعْرها بأن تجنّسَ أو تُطابق أو تُماثل بل تنظُرُ في فَصـاحة الكـلام وجَزالتـه مَعَ بسْط المعنى وإبْـرازه. وإنما استطرفوا ما جاءَ من الصّنعـة في البيت والبيتين في القصيد النـادر بين القصائد، وأما إذا كثر فهُوَ عَيْب يشْهَد بخلاف الطّبْع وإيثار الكُلْفة.

قال الفقيه المشاوَر الأستاذ أبو الحَسَن بن لُبّال أدامَ اللّهُ رِفْعَتَه: وسألْنا الوزيرَ أبا بكرٍ محمّد بْنِ عبد الغَني بْنِ فندلـة[9] كاتب الرّشيـد[10] وقْتَ قراءتنا عليه عامَ اثنين وثلاثين [وخمسمائة] فقال وكان شيخاً كبيراً كَتب للرشيد، ورَكَضَ مع أعيان الكتاب في ساحة القصر المشيد: يا بُنيّ، مِنَ

---

(7) ذو الإصبع العدواني حرثان بن الحارث شاعر جاهلي مشهور، والبيت من قصيدة له مشهورة يعاتب فيها ابن عمه. انظر ترجمته ومصادرها في الأعلام 2: 184 وقد جمع شعره في ديوان نشر بالعراق.

(8) انظر النص في العمدة 1: 129 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وقد أورده ابن لبال بتصرف واختصار، وهذا إما لأنه ينقل عن بعض مختصرات العمدة أو لأنه يعتمد على محفوظه وذاكرته وهذا ملاحظ في عدد من نقوله.

(9) أبو بكر ابن فندلة هذا من بيت إشبيلي مشهور، كان من كبار أصحاب الأعلم الشنتمري، وكان أديباً لغوياً نحوياً محدّثاً شاعراً فصيحاً. ولد سنة 444 هـ وتوفي سنة 533 هـ. انظر ترجمته في صلة ابن بشكوال: 552 - 553 وبغية الوعاة رقم 271.

(10) الرشيد هو عبيد الله بن محمد المعتمد، كان ولي عهد أبيه، توفي في حدود 530 هـ بقلعة مهدي بن توالا حيث كان منفياً وقد نيف على 70 سنة انظر ترجمته في الحلة السيراء 2: 68 - 70.

الفرْقِ بينَهُما أنّ شيْخَنا أبا الحجّاج يوسف الأعلم الشنتَمَري[11] كانَ إذا دخلَ شهْر (12) رَمَضانَ يُقْرِئُنا شعْرَ حَبيب، ويَنْهانا عَنْ شِعْر أبي الطّيِّب، وهذا إفراطٌ في تفضيلِ أبي الطّيّب عَلَى حَبيب، ونهايةٌ وبَلاغٌ في تقْديمِه عليْه، [و] منعُه إيّاهم منْ قراءتِهِ في رمضانَ لِما فيه من الاسْتِغْراق في الْمَدْح والمُبالَغة والغَوْص على الْمعاني الرائِقَة والأَغْراض البَديعة الفائِقة، والغزَل المُطْرب، والتّشْبيب الْمونِقِ المُعْجِبِ، حَتّى لَيَذْهَبُ بالوَرَع، ورُبّما أَوْقَعَ مَنْ ليسَتْ لَهُ حَصانَةٌ فيما يعْلَق بِهِ من الدّرَنِ والطّبَع، وكلّما جاوَزَ الشاعِرُ في المَدْح وغَلا، وتربّع منصّةَ المبالَغَة وعَلا، وَأَرَقَّ الغزَلَ، وأضاعَ نفْسَهُ بيْنَ العُذْر والْعَذَل، وتجاوزَ الصّدْقَ إلى الكَذِب، والْجِدّ إلى اللّعِب كَانَ أشْعَر، وأَسْمَع بِدواعي ما يَنْتَحِلُه وأبْصَر. ألا ترى أنّ الشِّعْرَ لَوْ كانَ كذِبُه صِدْقاً، وباطلُه حقّاً، وكانَ الوَصْف فيه على الظّاهِرِ لا عَلى التّأْويل لسَخُف؛ كما قيلَ إنّ بعْضَ الأُمراء قالَ لشاعِرٍ - أُظنُّه ابْنَ هانِيء - اصنَعْ لي شعْراً ولا تكْذِبْ فيه، فقال:

اللّيلُ لَيْلٌ والنّهارُ نَهارُ
والبَغْلُ بَغْلٌ والحِمارُ حِمارُ
والدّيكُ ديكٌ والدَّجاجةُ مثْلُهُ
وكِلاهُما طيرٌ لَه مِنْقارُ[12]

فلم يطب - لما خرجَ عن الشعر - في الأسْماع، ومَجَّتْهُ النّفوسُ والطّباع، فلمّا قالَ:

أَلِفَ السّقْمُ جِسْمَه والأَنينُ
وبَراه الْهَوى فَما يستبينُ

(11) هو شيخ الأندلس في وقته في الدراسات الأدبية والنحوية واللغوية وأكثر الأندلسيين شرحاً للأشعار الجاهلية والإسلامية. انظر ترجمته ومراجعها في وفيات الأعيان 7: 81 تحقيق د. إحسان عباس.

(12) انظر على سبيل المثال في هذا: التقريب لابن حزم: 206 - 207.

لا تَــراهُ الــظُّنُــون إلا ظنــونــاً
فَهْــوَ أخفى مِنْ أنْ تَراهُ الــظُّنــونُ (13)

قــد سمِعْنــا أنينَــه منْ قَــريبٍ
فــاطْلُبوا الشّيْــخَ حيث كــان أنينُ
لــم يــعِشْ أنّــه جليــدٌ ولــكــنْ
ذابَ سُقماً فلم تجدْه المَنــونُ[13]

حَسُنَ ذلك في المَسامع، وذهَبَ طَرَبُه بِكُلِّ سامِع.

وَلِما في الشِّعْرِ من الكذِب لم يُعْطَهُ النّبي ﷺ، وحاش لِلّهِ أن يكونَ كاذِباً، هذا في أحد الأقوال، وقد قيل إنّما مُنِعَهُ صلّى اللّهُ علَيْه وَسَلّم لأنّهُ لو كانَ شاعراً ما صُدِّق فيما أتَى به؛ ألا تَرَى أنّهُ قَدْ قيل: «شاعِرٌ نَتَربّصُ به رَيْبَ المَنون»؛ وكانَ صَلّى اللّهُ عليهِ وسَلّم لا يُقيمُ وَزْناً وَلا يَسْتطيعُ من الشِّعْر قافِية.

قالَ الفَقيهُ الأُسْتاذُ الْمُشاوَرُ أبو الحسَن عَلي بْن لُبّال أدامَ الله عِزّه: وسألتُ الوزيرَ الْفَقيهَ الكاتبَ القاضِيَ أبا الفَضْل ابنَ الأعــلم[14] بشَريشٍ

---

(14) هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن يوسف الشنتمري، حفيد الأعلم المشهور ولد بإشبيلية سنة 478 هـ وروى عن أبيه عن جده أبي الحجاج الأعلم جميع رواياته وتآليفه، وهو من أعلام الدولتين اللمتونية والمومنية وقد ولي القضاء بلبلة وشنتمرية الغرب، وبها استشهد سنة 546 هـ أو التي بعدها، ولم يذكر المؤلف تاريخ اجتماعه به في شريش واكتفى بالإشارة إلى أنه كان عند عودته من حضرة أمير المؤمنين، أما أمير المؤمنين هذا فهو عبد المؤمن بن علي، وقد قدم عليه أبو الفضل مع وفد أهل الأندلس لمبايعته، وكان هذا الوفد يتألف من نحو الخمسمائة «من الخطباء والفقهاء والقضاة والأشياخ والقواد» وكان في هذا الوفد المؤرخ ابن صاحب الصلاة الذي وصف خروجه من إشبيلية في 15 ذي الحجة سنة 545 هـ وأشار إلى مرور الوفد بشريش وجزيرة طريف والقصر الكبير ثم سلا حيث استقبلهم عبد المؤمن في رحبة دار ابن عشرة في أول يوم من عام 546 هـ وحكى ابن الملجوم أنه لقي أبا الفضل الأعلم بمراكش في سنة 645 هـ. انظر هذه الوفادة في الأنيس =

شَذونة حَرَسَها الله في دار الْفَقيهِ المُشاوَر القـاضي أبي غالِب أيمن بن الأيمن عند وُرودِهِ مِنْ حضْرة سَيِّدنا أُميرِ المؤمنين عَن الفَرْقِ بَيْنَ أبي الطَّيِّب وحَبيب ـ وقَدْ كنتُ قرأتُ عليهِ بإشْبيلية مُدّةً يَسيرةً حينَ طَلَبي فيها، واقتباسي للْعِلْم في أقطارِها ونواحيها، فكانَ لي عَلَيْهِ بذلكَ إدْلال، ولَهُ إليّ هَشٌ مِنْ ذلِك السَّبَبِ وإقْبال، فَقالَ لي: الكُتّابُ يُفَضّلون حَبيب والشُّعَراءُ يفَضّلونَ أبا الطيّب، وهذا لَعَمْري مِنْ تفضيل أبي الطّيّب على أبي تمّام، لأنّ كُلَّ أحدٍ أعْلَمُ ببضاعَتِـهِ[15] وَلَيْسَ للْكُتّـابِ نِهايـةٌ في علم الشعر لأنّـهُ ليسَ مِنْ صناعاتِهِمْ وإنْ كانَ لهُمْ بهِ بعضُ المَعْرفة لأنّهُمْ بالكتابةِ أبْصَرُ، وباعُهُم في علْم (14) الشّعرِ أضْيقُ وأقصر.

وممّا يزيدُ هذا وُضوحاً قولُ عُمَر بن الخَطّاب رضي الله عنهُ في كِتاب إلَى سَعْد بن أبي وقّاص: شاوِرْ في أمْرِك عَمْرو بن معدي كرب وطلْحَة بن خُـوَيْلدٍ، فـإنّ كُـلّ قومٍ أعْلَمُ ببضـاعَتِهم وصِناعَتِهِـمْ[16]؛ ومِنْ أمثـالِ العرب: الخيلُ أعلَمُ بفُرْسانِهـا[17]؛ فَمِنْ أعْلَم النّاسِ بالشّعْر الشُّعَراء لأنّه مِنْ صِناعَتِهِمْ؛ ألا تَرى أنّ مَنْ عاملَ خَيّاطاً فأفْسَدَ عَلَيْه [ثَوْبَه] أوْ أبى هُوَ مِنْ إنصافِهِ إن كانَ لَمْ يُساوِمْه فاخْتلَفا في ذلِك أوْ تشاجَرا وارْتَفعا إلَى حاكِمٍ

= المطرب: 192 والبيان المغرب (قطعة منشورة بمجلة المعهد المصري بمدريد جـ20 ص 94) والعبر لابن خلدون 6: 489 والاستقصا 2: 119.

وترجمة أبي الفضل حفيد الأعلم فتوجد في التكملة: 241 - 242 وبغية الملتمس: 239 والمغـرب 1: 396 - 397 ونفـح الـطيب 4: 31، 73 - 74، 86. تحقيق د. إ. عبـاس. والمطمح. 64 ورايات المبرزين: 34 والمطرب لابن دحية: 218. وخريدة القصر (قسم المغرب والأندلس) 3: 469 - 472 ط. تونس. ومعجم السفر: 117 - 119 تحقيق د. إحسان عباس. أما الفقيه المشاور القاضي أبو غالب أيمن بن أيمن فلم نقف على ترجمته، وقد يكون من أسرة بني أيمن الدين منهم وزير بني الأفطس أبو عبدالله محمد بن أيمن وولده أبو الحسن محمد بن أيمن. انظر الذخيرة والمغرب 1: 366 (ط. ثالثة).

(15) هكذا في الأصل، وسيكررها فيما بعد.

(16) انظر في أنه يرجع في كل صناعة إلى أهلها· الموازنة 1: 395 - 396.

(17) انظر المثل وتخريجه في كتاب الأمثال لأبي عبيد: 204 تحقيق د. عبد المجيد قطامش.

من الحُكّام إنّما يُوَجّهُ حُكْمَهما في الْقيمة إلَى أهْلِ تِلْكَ الصَّنْعَة وكذلك الْعَطّار والنّجّارُ والْخراز وغَيْرُ ذلِك؛ وروى أبو علي الْبَغْدادي[18] أنّ بعْضَ خُلَفاءِ بني أمية قالَ لجَرير لمّا كان شاعِراً: أَخْبِرْني مَن أشْعَرُ النّاس فقال: ابْنُ العِشْرين يَعْني طَرَفة، قالَ: فما تَقول في ابنِ أبي سَلْمى والنّابِغَة، فقالَ: كانا ينيِّرانِ الشّعْرَ ويُسدّيانِه؛ قال: فما تقولُ في امرىء القَيْس، قلت اتخذَ الخبيثُ الشّعرَ نَعْلَيْن يَطَؤُهُما كيفَ شاء، قال: فما تقولُ في ذي الرّمّة، قال: قدَر مِنَ الشّعْر عَلَى ما لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ أَحَد، قال: فما تقول في الأَخْطَل، قال: ما باحَ بما في صدرِه من الشّعْر حتّى مات، قالَ: فَما تقولُ في الْفَرَزْدَق، قال: بِيَدِه نَبْعَةُ الشّعْر قابِضاً عَلَيْها، قال: ما أبْقَيْتَ لِنفْسِكَ مِنْهُ شَيْئاً قالَ: كلاّ واللّهِ يا أميرَ المؤمنين، أَنا مَدينَةُ الشّعْر الّتي يَخْرُجُ منْها ويعودُ إلَيْها وأنا نَسَجْتُ في الشّعْر نَسْجاً ما نَسَجَهُ أَحَد، قالَ، فما النسيج قال: نَسَبْتُ فَاطْرَبْت، (15) وهَجَوْتُ فآذَيْتُ، ومَدَحْتُ فأَسْنَيْتُ، ورملتُ فأغورتُ، ورجزت فأبحرت، فأنا قلْتُ منَ الشّعْر ضُروباً لم يَقُلْها أَحَد.

قالَ الْفَقيهُ المُشاوَر الأُسْتاذُ أبو الحَسَن عَلِي بْنُ أَحْمَد بْنُ لبّال أدام اللّهُ عِزّه: وحدّثني غَيْرُ واحِد أنّ قَوْماً أُدَباءَ خَرَجوا مِنْ مَجْلِسِ المُتَوَكّل بِبَطَلْيَوْس وَقَدْ أجْرَوْا ذكْرَ حَبيبٍ وَالْمُتَنَبّي حَتّى كَثُر في التَفْضيل بينَهُمْ الصَّخَب. ومالَ بِهِم حُبُّ التفضيل عنِ الطّرَب فقالَ بَعْضُهم: ميلوا بِنا إلى رَجُلٍ جاهلٍ نجعَلْ كلامَهُ في ذلك فالاً فَأَيُّهما أَجْرى الفالُ عَلَى لسانِهِ، أجْمَعْنا عَلَى إحسانِهِ واسْتِحْسانِهِ فَخَرجوا متناحِينَ خارجَ الْمَدينة وإذا بحرّاثٍ يحْرُث وكانَ ذلِكَ أوّلَ الرّبيع، والأرْضُ تَرْفُلُ مِن الزّهر في مِثْل الوَشْي الصنيع فقالوا لَهُ وهُمْ يَظُنّونَهُ جاهِلاً، وعمّا انتَبهوا لَهُ نائِماً غافِلاً، أيُّها الْحرّاث: أَيّ الرّجُلَينِ أشْعَرُ، الْمُتَنَبّي أَمْ حَبيب؟ فَرَكزَ عَصاه وقالَ: اسْمَعوا مِنّي وخُذوا عَنّي، أشْعَرُهُما الّذي يقولُ:

(18) انظر النص في الأمالي 2: 79، 180.

لَكِ يا منـازِلُ في القُلوب مَنازِلُ
أقفَـرْتِ أنتِ وهُنّ مِنْـكِ أواهِـلُ

فاسْتَنْبَلوا مِنْهُ ما اسْتَجهَلوا، وَرَفَعوا مِنْهُ ما وَضَعوا، وفَكّروا عِنْـدَما انفَتَلوا عَنْهُ ورَجَعُوا، وَقالوا: واللّهِ ما بَدأ بهذا القَصيد، إلاّ لمَعْنىً مُفيد، وما رَمى عَنْ قَوْسِه إلا بالسَّهْم السّديد، فكَشَفَ لَهُم الفِكْر، وأَبْدَى لَهُمُ الذّكْر، أنّه أرادَ قَوْلَ أبي الطيّب في أثناءِ القَصيدة (16):

وإذا أتتـكَ مـذمّتي مِنْ نــاقصٍ
فَهْي الشّهادةُ لِي بأنّي كامِـل[19]

فرفَعوا للمُتَوكّـل[20] قصّتَه، ووصَفوا لَهُ صِفَتَه، فقال: آه هو ابن [مقانا][21] أغفلْناهُ واللّهِ وَأَضَعْناه، فأمَرَ النّاسَ أَنْ يَجْلِسوا إلَيْـه، ويَقْرأوا عَلَيْه، وأَثْبَتَهُ في ديوانِهِ، وأَلْحَقَهُ بإخْوانِه.

---

(19) لم أقف على هذه الحكاية في مكان آخر، ولم يشر المؤلف إلى حكاية مماثلة تحكي عن المعري وهي أن الشريف المرتضى كان يبغض المتنبي ويتعصّب عليـه، فجرى يـوماً بحضرته ذكر المتنبّي فتنقصه المرتضى وجعل يتتّبع عيوبه فقال المعـري: لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله: لك يا منازل في القلوب منـازل. لكفاه فضـلاً، فغضب المرتضى وأمر فسحب برجله وأخرج من مجلسه وقال لمن بحضرته: أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة، فإن للمتنبي ما هو أجود منها لم يذكرها، فقيل: النقيب السيد أعرف، فقال: أراد قوله في هذه القصيدة:

وإذا أتتــكَ مــذمّتــي مِـنْ نــاقصٍ   فَـهْي الـشّهــادةُ لـي بــأنّـيَ كــامِــل

تعريف القدماء بأبي العلاء 1: 76، 287، 354.

(20) هو عمرو ولد المظفر أحد ملوك بني الأفطس، انظر ترجمته وأخباره في المطرب 21 - 33 والبيان المغرب والذخيرة ونفح الطيب والحلة السيراء 2: 96 - 107.

(21) في الأصل: مفسد أو مسد، بدون نقط، وأغلب الظن أنه الشاعر ابن مقانا كما أثبت، فهو الذي اشتغل بالحرث والفلاحة ببلده القبذاق بعد أن أعياه التجوال في أقطار الأندلس، وفي ذلك يقول من قصيدة يصف فيها حاله:

تــركتُ المـلوكَ الخـالـعيـنَ بـرودَهُمْ   عَلَيّ وسَيْـري في الْمَـواكِبِ والنّقْـعِ
وأصْبحتُ في قبـذاقَ أحصـدُ شَـوْكَهـا   بـمـزْبـرةٍ رعشــاءَ نــابـيــةِ القَــطْعِ

انظر ترجمة ابن مقانا ومصادرها في الذخيرة ق 2: 786 - 796. تحقيق د. إحسان عباس.

قالَ الفَقيهُ المُشاوَر الأستاذُ أبو الحَسَن علي بْنُ لُبّال: وَعَلَى ذِكْرِ هذا ما ذكَر ابنُ بسّام في كتاب الذّخيرة في أخبارِ أهْلِ الجَزيرة، قالَ في فَصْلٍ مِنْ كتابِهِ: إن أبا عبدِ الله بْنِ شرف قالَ يوماً للمأمونِ يَحْيى بْنِ ذي النّون أيّامَ خدْمَتِه إيّاه، واستِشْفافِهِ صُبابَةَ عُمْرِه في ذراه، وقَدْ أُجْروا ذكْرَ أبي الطيب، فذهَبَ في تأبينِه كُلَّ مذْهَب، وقالَ: إنْ رَأى أميرُ المؤمنين لا فارَقَ الْعِزَّةَ والْعُلا أنْ يُشيرَ مِنْ شعْرِ أبي الطيِّب إلى أيّ قصيدةٍ شاء أُعارِضُهُ بقَصيدةٍ تُنْسي اسْمَه، وتعفي رَسْمَه، فتغافلَ عنْهُ ابنُ ذي النّون علْماً بضيق جنابِه، وإشفـاقاً مِنْ فضيحَتِـه وانْتِشابِـه فألَـحّ على ابْنِ ذي النّون حَتّى أحْرجَـه وأغراه فقالَ لَه، دونَكَ قَوْلَهُ:

لِعْينكَ مَا يلْقى الفُؤادُ وما لَقي

فَخَلا بها ابنُ شَرف يوماً فوجَدَ مَرْكَبَها وعْراً، ومَريرَتَها شَزْراً ولكنّهُ أبلى عُذْراً وأرْهَقَ نفْسَه من أمْرِها عُسْراً (17)، فَما قامَ وَلا قَعَد، وَلا حَلّ ولا عَقَد، وسُئِل ابنُ ذي النّون: أيّ شيءٍ أقْصَده إلى هذه الْقَصيدة، فقالَ لأنّ أبا الطّيّب يقولُ فيها:

بلغْتُ بسيفِ الـدّولة النّـور رُتْبَـةً
أنَرْتُ بِها مـا بَيْنَ غرب ومَشْـرِقِ
إذا شـاءَ أن يلْهُـو بلحْيَـةِ أحْمَقٍ
أراه غُباري ثُمَّ قالَ لَـه الْحَقِ[22]

وهذِه غَريبةٌ ولَوْ صدرَتْ عن أبي العبّاس المأمون، فَضْلاً عَنْ مُنْتَزِع لَقَبه يَحْيى بْن ذي النّون.

وقَدْ قيل بُـدىء الشّعْرُ بكِنْدَة وخُتِمَ بكنْدَة، أيْ بُدِىء بامْرِىءِ الْقَيْس

---

(22) انظر هذا الخبر في الذخيرة ق 4 :23 - 24 تحقيق د إحسان عباس وثمة حكاية مماثلة لهذه تنسب الواقعة للخالديين مع سيف الدولة. انظر الصبح المنبي

وخُتِم بأبي الطيّب لأنّهما كِنْدِيان[23]. وقد اتّفقَ النّاسُ عَلَى تَفْضيل امْرِىء القَيْس لطَبْعِه وسَلاسَة كلامِهِ عَلَى قِدَمِه، وَقِلّةِ تَكلُّفهِ عَلَى أَعْرابية خُلُقِه وشِيَمِه.

وَأَمّا قولُ الصّابي: بُدِىء الشّعْرُ بمَلِك، وخُتِم بمَلِك، يعني بُدِىء بامرِىء القَيْس، وخُتِم بأبي فِراسِ الْحَمْداني، فَإِنّما قالَ ذلك لأن أبا فِراس كانَ مِنْ أَرْباب الدّولة وأرادَ التصنّعَ لَهُ بذلِك؛ وَقَدْ قيل إنَّ قائلَ هذا إنّما هُوَ الصّاحِب. وقد أنسى ذكره المُتنبّي، ولولا قُرْبُه من الرّياسَة ما ذُكِرَ مَعَه كَما قَد أَنْسَى أبو الطيّب ذكْرَ الخُبْز أرزي والصّنَوْبَري، وكان أشيخَ منْهُ وأقْدَم. هكـذا ذكرَ ابنُ رشيقٍ في كتابِ العُمْدة[24].

وقال أبو الطّاهر يوسُف بن عبدالله التّميمِي في مقاماته في تصْنيف الشعراء، قال: فما تقولُ في الطّائي الأكْبر، قالَ نِعْمَ ما صَنعَ وحَبّر، وبيسَ ما أفْصَح عن الْمَعاني وعبّر، حَتّى أذّن في شِعْرِه وكَبّر، ومن التحسْين والتنْجيد (18) ما يُزْري بالمُبَرّز المُجيد، وقد أَبَى النّاسُ إلاّ تقديمَه، وإنْ مَزّقوا بِالذّمِّ أديمه؛ قالَ: فَما تقولُ في أبي الطّيّب قالَ: ذو الكلام الطيّب، والطّبْع الصّيّب، لَهِجَتْ بأمْثالِهِ الأفْواه، وغُذِيَتْ بِشِعْرِه الأمْواه، وسارَ بشِعْرِه الرّفاق، ووقَعَ عَلَى تَفْضيلِهِ الإصْفاق[25].

---

(23) أضاف الأندلسيون إليهما كندياً ثالثاً هو الرّمادي، قال الحميدي في ترجمة يوسف بن هارون الكندي الرمادي: «ونفق عند الكل حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون: فتح الشعر بكندة، وختم بكندة. يعنون امرأ القيس والمتنبي ويوسف بن هارون، وكانا متعاصرين». جذوة المقتبس: 347.

(24) انظر يتيمة الدهر 1: 35 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وفي عبارة المؤلف شيء من القلق والاضطراب، وها هو كلام ابن رشيق: «وأما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعر إلا أبو فراس وحده، ولولا مكانه من السلطان لأخفاه، وكان الصنوبري والخبزرزي مقدّمين عليه للسن ثم سقطا عنه». العمدة 1: 101.

(25) هذا من المقامة الموفية ثلاثين، وهي مقامة الشعراء في مقامات السرقسطي اللزومية، وفي عبارة المؤلف شيء من التصرف، كما أن الكلام عن المتنبي في المقامات يأتي بعد ذكر

فَمَدحَ صَنْعةَ أبي تمّام بالشّعْر وتنْميقه إيّاه، وذمّ معانيَـهُ في ذلك وجَفاه، فليتَهُ لو ذَمّ صناعَته، مدَحَ معانيَهُ وبراعَته، وإلّا فهَلْ تروى غُلّة العاطشِ خُضْرةُ أشْجار، وبَهْجةُ كَمائم وأزْهار، بضفّةِ نَهْرٍ مُرّ المَذاق، مُقِعّ المُلوحَةِ والحُراق، فإذا صادفَ ماءً زُلالا، قد الْتحفَ مِنْ شَجَرٍ بِهِ ظِلالاً، شَفَى عِلّتَه، وَأَرْوى بُوروده إيّـاهُ غُلّته، وكذلكَ هُو شعْرُ أبي الطيّب والله لقد هُو العذْبُ الزّلال، والخَصْر السّلسال، يلْتحِفُ منْ رونَق طَبْعِهِ بظِلال.

قال الفَقيهُ المُشاوَرُ الأستاذ أبو الحَسَن علي بْنُ لبّال أدامَ اللّهُ رفْعَتَه، وقالَ ابنُ رشيق[26]: الْمَعْنى معَ اللفظِ في الشّعر كالـرّوح في الجَسَد، فإذا اختلّ من الروح شيء في الجسد ضعف بعض الجسد، وجاءَ ناقِصاً وظَهرَتْ دمامَتُه كشَلَل الْيَد والرّجْل وغيْرِ ذلك، إذا بَطَلَ بريحٍ أوْ بعارضٍ يعْرِضُ فيه، فإذا ذهَبَ الرّوح منْهُ وهو المَعْنى بَقِي اللفْظُ لا مَنْفَعَةً فيه كالجَسَد الخالي من الرُّوح.

وقيل[27] إنّ المَعْنى للّفْظ كالصّورةِ للثّوب، فمَهْما كانَتِ الصّـورةُ حَسَنة في الثوب الحَسَن، كان ذلك أعْلى للنّاظِر وأوْقَع في الخاطِر، ومهما كانا قَبيحَيْن، كانا كذلك في النّفْسِ والْعَيْن، فالصّورةُ الْحَسَنة في الثّوب القَبيح أحسنُ، من الصّورة القَبيحة في الثّوْب الحَسَن، لأنّها هيَ المعنى، ومَوْقِعُها في القلْبِ أحْلى وأسنى.

قالَ الفَقيهُ الْمُشاوَرُ الأُستاذ أبو الحَسَن علي بْنُ أحمد بْنُ لبّال أعَزّه

البحتري وابن الرومي وابن المعتز. المقامات اللزومية: 229، 232 تحقيق د. حسن الوراكلي. نسخة مرقونة.

(26) ينقل المؤلف هنا عن العمدة بتصرف وتلخيص. انظر نص ابن رشيق بتمامه في العمدة 1 :124.

(27) جاء في العمدة 1: 127: «وبعضهم ـ وأظنه ابن وكيع ـ مثّل المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة فإن لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها، وتضاءلت في عين مُبصرها».

الله تعالى، وعَلَى ذكْرِ «حتّى أذَّنَ في شعْرِه وَكَبّر» هجاهُ بعضُ الشّعراء فقال:

أرادَ حبيبٌ أنْ يحـوكَ قـصيـدةً
بمـدْحِ أميـرِ المؤمنينَ فَـأَذَّنـا
فقُلْنـا لـهُ لا تعجلَنْ بـإقـامـةٍ
فلَسْنا على طُهْرٍ فقـالَ وَلا أنا(28)

وعلى ذِكْر طَبْع أبي الطيّب وصِناعةِ حَبيب ما مثّلَه العلماءُ بيْنَ أهلِ السُّنّة والصّوفية، وذلك أنّ ملكاً من المُلوك أمَر فـارِسياً ورومياً أن يُرِيَ كلٌّ أحدٍ منهما أبْدَع صناعَتِهِ، فبَنَى لَهُما حائطَيْن ليُصَوّرَ كلّ واحد في حائِطِهِ أبْدَع ما يَعْرِفُ منْ صناعَتِه وضَرَب بيْنَهُما سِتْراً لئلاّ يَرَى أحَدُهما ما يصْنَعُ الآخَر، وقالَ لهُما: ليصْنَعْ كلُّ واحدٍ منكُما أحْسَنَ ما يُتْقنُ من التّصْوير والنُّقوش والتزْويـق، فجعَلَ الفارسي يُحكِم في نـاحيته بـدائعَ الصُّـوَر، ويضاهي في لبّة الروْض قلائدَ الزّهَر، والرّومي لا يَزيدُ بَعْد تلبيس الحائط بالجصّ على الدّلْكِ فيه [بآلَةٍ؟] وقد طبعَها، وأتْقَنَها وأبْدَعَها، ليتقبلَ بذلك كُلّ ما صنعَ الفارسي ونقَشه، فَهذا يُصَوّر ويُتْقِن، وذاكَ يدْلك ويُمْعِن، فلمّا تَمّ لَهُم العام، وحانَ مِنْ عَمَلِهِم التّمام، قالَ لهُما المَلِك: لِيُرِنا كُلُّ واحِد مِنْكُما ما صَنَع، لأُخْبَرَ أيُّكما أبْدَع، في صناعَتِه وأبْرع؛ فَـأزالا السّتْر الذي بينَهُما فَعَكَس ذلك الرّومي كُلّ ما صَنَع الفارسي لنَفْسِه، ولم يزل ذلكَ على

---

(28) جاء في الوافي لصالح بن شريف الرندي: ولما أنشد للمعتصم قول أبي تمام:

الله أكبـرُ جـاءَ أكبـرُ مـنْ جَـرَتْ   وتـحيّـرتْ فـي كـنْـهِـهِ الأوْهـامُ

قال بعض من حضر:

أرادَ حـبيـبٌ أنْ يـقـولَ قـصيـدةً   بِمَـدْحِ اميـرِ الْـمؤمِنيـنَ فـأذّنـا
فَقُلْتُ لَـهُ لا تـعْـجَـلَنْ بـإقـامَـةٍ   فَلَسْنـا عَلَى طُهْـرٍ فـقـالَ وَلا أنـا

(مخطوط الوافي) وقد نسب البيتان في الموشّح لمروان بن أبي الجنوب يقولهما في علي بن الجهم (الموشح: 527) ونسبهما ابن المعتز في الطبقات: 415 لأبي العيناء.

جصّه، وأتى بالأمْرِ مِنْ فَصّه، فغلَب الرّومي[29].

وكَذلكَ أبو الطّيّب برقّةِ طَبْعِه، ورَوْنَقِ شِعْرِه، وصِقالِ لَفْظِه، وفِرَنْد مَعْناه، يضمّنُ في شِعْرِه صِناعَة كُلِّ شاعِر معَ ما أُعْطِيَهُ من الطَّبْع الرَّوْنَقي، والنّور الأُفُقي.

قالَ الفقيهُ المُشاوَر الأُستاذ أبو الحَسَن علي بن لُبّال أدامَ اللّهُ عِزّته: وأما قصّةُ الحاتِمي[30]معَ أبي الطيّب وردُّه عليه، وتفضيلُ كلام حبيبٍ على كلامِهِ فكما قالَ عُمَرُ بن أبي رَبيعة:

حَسَداً حُمّلْنَه من أجْلِها
وقَديماً كانَ في النّاس الحَسَد

وكما قال الآخر:

حَسَدوا الفَتَى إذْ لَمْ ينالوا سَعْيَهُ
فالنّاسُ أعداءٌ له وخُصومُ
كَضَرائر الحَسْناءِ قلْنَ لوجْهِها
حَسداً وبَغْياً إنّه لَذَميمُ[31]

وقال أبو الطيّب:

وكَمْ مِنْ عائبٍ قَولاً صَحيحاً
وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السّقيمِ

(29) لم أتمكن من الوقوف على هذه الحكاية في المصادر التي بين يدي

(30) قصة الحاتمي مع أبي الطيب مفصلة في الموضحة التي حققها الدكتور محمد يوسف نجم، وانظر تحليلاً لقصة الحاتمي مع المتنبي في تاريخ النقد الأدبي للدكتور إحسان عباس: 263 - 270.

(31) ينسب هذان البيتان إلى أبي الأسود الدؤلي.

ولكن تأخذ الأذهانُ مِنْهُ
عَلَى قدْرِ الْقرائح والعُلومِ

وكما قالَ ابن بسّام (21): والحسَدُ مَوْروث، وقَديمٌ لا حَديث، في قصّة صاعِدٍ اللُّغوي مع الزّبيدي وابْن العَريف والعاصِمي بيْنَ يَدَي المنْصور ابْنِ أبي عامِرٍ إذْ دخَلَ عليهِ بباكورةِ وَرْدٍ فقال المنصورُ لصاعِدٍ صفْها، فقال:

أَتَتْكَ أبا عامِرٍ ورْدَةٌ
يذكّرك المِسْكُ أنْفاسَها

كَعَذْرَاء أبْصَرَها مُبْصِر
فغَطّتْ بِأَكمامِها رأسَها

في قصّة طَويلة، فحسَدَهُ كلُّ مَنْ حَضَر، وقال: هذا شعر قديمٌ مُشْتَهِر[32].

والذي عابَ الحاتِمي على أبي الطيّب قد احتج أبو الطيب بمِثْلِه من شِعْر حَبيب، وأتى بالْعَجَب العَجيب، وليسَ هذا كُلّه بِحُجّة لأنّ الشاعِر كالغَوّاص تارةً يخرجُ بدُرّة، وتارةً بآجُرة، وتارةً بسَبجَة، وأخرى بِبَعْرَةٍ مُدَحْرَجَة، ولا بأْسَ أنْ يَنْزِلَ منَ القَوْل الفَصْل، إلى المَنْطِق الْفَسْل، في البيْتِ والبَيْتَيْن من القَصيدة، كما تُنْظَم السَّبجَةُ بجانب الْفَريدة، ولَوْلا البؤْسُ ما طابَت النّعْماء، وفي حالِك الظّلام يُعْرَف حُسْنُ الضّياء، وبضدّها تتميّزُ الأشياء.

قيل لبَشّار بْن بُرد. يا أبا مُعاذ: كم بين قولك:

يا أطيب النّاسِ ريقاً غيْرَ مُخْتَبِرِ
إلاّ شَهادة أَطْراف المَساويك

---

(32) قول ابن سام وقصة صاعد التي أشار إليها المؤلف في الذخيرة ق 4: 17 - 19.

يـا رَحْمـةَ الله حُلّي في منـازلنـا
خَسْبي برائحة الفردَوْس مِنْ فيك

وبَيْنَ أنْ تقول:

إنّـمــا عَــظْم سُـلَيْـمـى خـلّتـي
قَصَب السّكّـر لا عـظْمُ الجَمَــلْ
وإذا قُــرّبَ مــنْـهــا بــصَــلُ
غلَب المِسْكُ على ريح البَصَلْ(33)

فقال: إنّما الشاعِر كالبَحْر يقذف مَرّةً بصَدَفة، ومرّةً بحَشَفَة؛ وقيلَ له أيضاً كيف تقول:

إذا مـا غَضِبْنا غَضْبـةً مُضَرِيّـةً
هَتَكْنا حِجاب الشّمس أوقَطرتْ دَما
إذا ما رَفَعْنا واحداً مِنْ جَمَاعَةٍ
عَلَى مِنْبـرٍ صلّى عليْهِ وَسَلّمـا

وهذا فيه منْ جزالةِ اللّفْظ ما لا يَخْفى عَلَى أحد، وأنت تقولُ:

حَــبَــابَــةُ رَبّــةُ الــبـيْــتِ
تـصُـبُّ الــخــلَّ فــي الــزّيْــتِ
لَــهـــا سَــبْــعُ دجــاجــاتٍ
وديــكٌ حَــسَــنُ الــصّــوْتِ

---

(33) في زهر الآداب للحصري: قيل لبشار: كم بين قولك.

قــد زرتِنــا مــرةً في الـدّهْـرِ واحـدةً عُــودي ولا تَجْعليها بيضــةَ الـديــك

وبين قولك:

إنــمــا عــظم ســلـيـمــى خـلّـتـي قـصـب الـسـكــر لاعــظم الـجـمــل

فقال: إنما الشاعر المطبوع كالبحر، مرة يقذف صدفة ومرة يقذف جيفة.

فقال إنّما أقولُ لكلّ واحدٍ عَلى قَدْره، وأنـا إذا قلت هذا علفتْ دجاجها ورخّمت بيْضها وأطعمتني.

وقال أبو العباس المبرد[34]: وقد يضطرُّ الشاعِر المُفْلِق والخـطيب المصْقَـع والكـاتبُ البليـغ فيقـعُ في كـلامهم اللفظ المستنكـر والمعنى المستغلق، فإذا انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره وسترتا من شينه.

وإن شاء قائلٌ أن يقول بأنّ الكَلامَ الْقَبيح في الكَلام الحسَن أظْهَر، ومجاوَرَتُه لَهُ أشْهَر كانَ ذلك، ولكن يُغتفَر الشّيء القبيح للحسن والبعيد للقريب.

وقال المعرّي: جيّدُ قول الشعر وإنْ قلّ يَغْلِب (23) على رَديئه وإن كثُر ما لَمْ يكُن الشّعْرُ لهُ صِناعَة، ولطبعه مرناً وعادة[35].

وكَـلامُ أبـي الـطيّب كـلُّه حَـسـن، ولـكـنّ الـحُـرّ مُـمْـتَـهَـن، وَرَديء أبي الطيّب في جَيّدِه كالقَطرةِ في البحر، أو الذرّة في التّبر، فَهلاّ نَظر الحاتِمي هذا النَّظَر، وترَكَ القليلَ لِلْكَثير وغَفَر، وقارَنَ هذا الْعَيْبَ بعَيْب صاحِبِه[36] فَسَتَر، ألا تَرى أنّ الشُّجاعَ البَطَلَ رُبّمـا خَامَ[37]، وحـادَ عَن الإقْدام، إلى الإحْجام، وآثَرَ الْفِرار، عَلَى القَرار، فلا يكونُ ذلِكَ كُلُّه عَيْباً إذا عُرِفتْ بَسالتُه، وبُلِيَ كَرُّهُ في الحَرْب ومُجاولَتُه. ألا تَرَى إلى قَوْلِ زُفَر بن الْحارِث وكانَ فرَّ يَوْم مَرْج راهِط عَنْ أبيه وَأخيه فقال:

أيَـذْهَـبُ يـومٌ واحـدٌ إن أسَـأْتُـه
بِصـالِـحِ أيّـامي وحُسْن بَـلائيـا

---

(34) انظر الكامل 1: 27 ت. محمد أبو الفضل والسيد شُحاته.

(35) من خطبة سقط الزند؛ وفيه: «والجيد من قيل الرجل...» قال الخوارزمي: عنى بالقيل الشعر. انظر شروح سقط الزند 1: 24.

(36) يعني به أبا تمّام.

(37) خام: جبن وأحجم

ولم تـــر منّي زلّــةٌ غَيْــر هـــذه
فـراري وتَرْكي صـاحِبَيّ وَرائِيا[38]

وقالَ عَمْرو بْنُ معدي كَرِب ولقي بني عَبْس وفيهِمْ زُهير بن جَذيمَة العَبْسي ففرّ عنهم فقال:

أجــاعِـلةٌ أم الـثّــوَيــرِ خَــزايَـــةً
عليّ فِراري إذْ لقيتُ بَني عَبْسِ
لقيت أبـا شأسٍ وشـأساً ومـالِكاً
وَقَيْساً فجاشَـتْ من لقائِهُم نَفْسي
وليسَ يعابُ المرْءُ من جُبْنِ يَوْمِه
إذا عُرِفتْ مِنْهُ الشّجاعةُ بالأمْس[39]

ومثلُ هذا كثير.

قالَ الْفَقيهُ المُشاوَر الأستاذ أبو الحَسَن علي بْنُ لُبّال أَدامَ اللّهُ عزّته (24) وقالَ الفقيهُ الأستاذُ النّحوي ابن مُسلم[40] عِنْدَ سؤالِنا إيّاه، واقتباسِنا منْهُ ما حَفِظَه من العِلْم ووعَاه: إنّ الْوَزير الْفَقيه الأديبَ اللّغوي أبـا مَرْوان بْن سِراج[41] كانَ لا يُقْرِئُ مِنْ شِعْر أبي تمّام إلاّ ثلاثة أبيات، وكان يقرىء من شعر أبي الطّيّب خمْسَةَ أبيات. وهذا أيضاً شاهِدُ على طَبْع أبي الطيّب، فقَدْ قيلَ[42]: خَيْرُ الشّعر ما ورّاكَ نفْسَه، وشَرّ الشّعْر ما سُئِلَ عَنْ مَعْناه، وللّـهِ دَرّ ابنِ عَمّار حيثُ يقولُ يمْدَح المُعتضِد بالفَصاحة:

---

(38) العقد الفريد 1: 146.

(39) المصدر نفسه 1: 146 - 147 وفي الأبيات تحريف في الأصل.

(40) تقدم ذكره والتعريف به.

(41) ترجمته ومصادرها في الذخيرة.

(42) لم أهتدِ الآن إلى صاحب هذا القول.

رَقيقُ حواشي الطّبْـع يَجْلُو بَيانُـه
وُجوهَ المعاني واضِحاتِ المَباسِمِ [43]

فلَمْ يمْدَحْهُ باستغْلاق اللّفْظ، ولا بِبُعْد الغَوْر وضَعْف المَعْنى، بلْ مدَحـه برقّة اللفْظ وبَيان المَعْنى.

قالَ ابنُ رشيق[44]: لا يكونُ الكلام بليغاً حَتّى يُسابقَ مَعْناه لَفْظَه ولَفْظُه مَعْناه، ولا يكونُ لفْظُه أسْبَقَ إلى سَمْعِك، مِنْ مَعْناهُ إلَى قَلْبك.

وسأل عامر بن الظرب العدواني حَمامة الدّوسي بيْنَ يـدَيْ بَعْضِ مُلوكِ حِمْير فقال: مَنْ أبْلَغُ النّاس؟ فَقال: مَنْ جلا المَعْنى العَزيز، في اللّفْظِ الْوَجيز، وطَبّق المَفْصل قَبْل التّحْزيز.

وقيل إن أفْصَحَ الكَلام وأبْلَغ الْبَلاغة كلامٌ إذا:

سمِعْتَـه ظَنَنْتَ أنّـك تـصْنَـعُ
مثلَهُ فإذا رُمْتَه لم تقـدِرْ علَيْه[45]

وقد قيل: خيْرُ الكَلام ما فَهِمتْه العامّة ولَمْ تُنكِرْه الخاصّة[46].

(43) لم نقف على هذا البيت، ويبدو أنه من قصيدته المشهورة:

عَـلَيّ وإلاّ مـا بُكَـاء الـغَـمـائـم وفـي وإلاّ مـا نـيـاحُ الْـحَـمـائِـمِ

وهي قصيدة تنيف على 90 بيتاً ولم نقف عليها كاملة، ومنها في مدح المعتضد:

إذا رَكـبـوا فـانـظُرْهُ أوّلَ صـاعـنِ وإن نـزلـوا فـارصـده آخِـر طـاعِـمِ
أبَـى أن يـراه الله إلا مـقـلّداً حـميـلةَ سـيـف أو حـمـالـة غـارمِ

هذا وللمعتضد ديوان شعر جمعه ابن أخيه إسماعيل. انظر الحلة السيراء 2: 43 والمعجب والذخيرة.

(44) انظر العمدة 1: 245 وفيها: «من حلّى المعنى المزيز» وقد تكلف المحقق في تخريجها، والصواب ما ورد هنا وفي نسخ خطية من العمدة.

(45) ؟؟.

(46) في المستطرف 1: 51: قال أبو عبدالله وزير المهدي: «البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة». وفي التقريب لحد المنطق لابن حزم: «البلاغة ما فهمه العامي كفهم الخاصي». التقريب: 204.

وقد قيل: إنّ أبلَغَ البلاغة ما لَمْ يؤْتَ السامع من إفهام المسمع ولا المسمع من فهم السامع، ذكر هـذا عدة من أصحـاب الكلام كقـدامة وغيره[47].

وقد قيل: إنّ خَيْر الكَلام لمحة دالّة [48] وهذا كثير لأنّ الكَلامَ إذا كان قليلَ الفُضول، سَهْلَ الألفاظ غَيْر وَحْشِيِّها، وخَرَج من اللُّغة الغريبة، إلى الأَلْفاظ المُسْتعملة الْعَجيبة، كانَ أسْلَس وأقْرَب إلى الْحُسْن.

قالَ الفقيهُ المشاوَر الأُستاذ أبو الحسَن علي بن لبّال رَحِمه الله: وقال الجاحظ: كما لا يَنْبغي أن يكونَ اللّفظُ عامّياً، ولا ساقِطاً سوقياً كذلك يَنْبغي أنْ لا يكونَ وَحْشِياً إلاّ أنْ يكونَ المتكَلّم بدَوياً أعْرابياً[49].

وقالَ بعضُهم لحَبيب في مجْلسٍ حافِلٍ وأراد تَبْكيته: لَمَ تقولُ منَ الشّعرِ ما لا يُفْهم، فقالَ لَهُ حَبيب: وأنْتَ لِمَ لاَ تفْهُم ما يُقال[50]، والمَطْبوع لا يُعَرِّض نفسَه إلى هـذا الطّعْن بـاستِغْلاق اللفظ وإبْهـام المَعْنى كأبي الطيِّب، ولذلكَ كانَ ابنُ سراج يُقْرىء مِنْ شِعْر المُتَنبّي أكْثَرَ مِنْ شِعْر حَبيب لسُهولةِ لَفْظِه وبَيانِ مَعْناه.

وقالَ أبو العباس المُبَرّد في مثلِ هذا: «فمن ألفاظ[51] [العرب البينة القريبة المفهمة، الحسنة الوصف، الجميلة الرصف، قول الحطيئة:

وذاكَ فتى إن تـأتـِهِ في صنيعـةٍ
إلى مـالِـهِ لا تـأتِـه بشـفيـع

(47) في البيان والتبيين 1: 101: وكان الإمام إبراهيم بن محمد يقول: «يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع» وقد استحسن الجاحظ هذا القول واعترضه التوحيدي. انظر البصائر 1: 362 - 363.

(48) الكامل 1: 17.

(50) ينسب السؤال إلى الشاعر أبي العميثل. انظر وفيات الأعيان.

(51) ما بين معقفتين صفحة بيضاء في الأصل، وقد قدّرت أن ابن لبال نقل فيها كلام المبرد في الكامل الذي أوردته ورقعة ابن ورقاء التي نقلتها من المنتقى المقصور لابن القاضي.

وكذلك قول عنترة:

يخبـرْكِ مَنْ شهِـدَ الـوقيعـةَ أنّني
أغْشى الوَغى وأعِفّ عنْد المُغْنَمِ

وكما قال زهير:

على مُكثـريهمْ رزق مَنْ يعتريهمُ
وعنـد المُقلّينَ السماحـةُ والبـذلُ

ومما وقع كالإيماء قول الفرزدق:

ضربَتْ عليكَ العنكبـوتُ بنَسْجها
وقضى عليك به الكتـاب المنزل

فتأويل هذا أن بيت جرير في العرب كالبيت الواهي الضعيف، فقال فقضى عليك به الكتاب المنزل، يريد قول الله تبارك وتعالى: وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون؛ ومن كلامه المستحسن قوله لجرير:

فهلْ ضربـةُ الرُّومي جـاعلةٌ لَكُمْ
أبـاً عن كليب أو أباً مثْـلَ دارِمِ

ومن أقبح الضرورة وأهجن الألفاظ وأبعد المعاني قوله:

ومـا مثله في النـاس إلا مملّكـاً
أبـو أمّـه حـيٌّ أبـوهُ يقـاربُـهْ

مدح بهذا الشعر إبراهيم بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم وهو خال هشام بن عبد الملك فقال: وما مثله في الناس إلا مملّكاً يعني بالمملك هشاماً أبو أمّ ذلك المملّك أبو هذا الممدوح، ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن

يقول وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا ممّلكٌ أبو أمّ هذا المملك أبو أم هذا الممـدوح فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير[52].

ومن الوحشي المتكلّف، والركيك المستضعف، والمعقّد البارد رقعة ابن ورقـاء ونصها:

«صين امرؤ واعين امرؤ دعا لامرأةٍ مقسئنة أولعت بأكل الطرمـوق فأصابها منه اسمئلال أن يهب لها الله اطرغشاشاً وابرغشاشاً».

وطرحها في المسجد فما [[53] قرأها أحد إلا لعنه ولعن أمّه.

قالَ الفَقيه المُشاوَر الأستاذ أبو الحَسَن علي بن لُبّال أدامَ اللّهُ رفْعَته: معنى صين من الصيانة، وأعين من الإعانة أي أعانه الله، وقوله مُقْسَئِنّة، المُقْسَئِنّةُ الشّديدةُ الْكِبَر، يقال اقْسَأَنّ العُود إذا يَبِس واشتدّ يبسُه وقَوْلُـه الطّرموق، وهُو الطّفَل، فإذا قدّمت الميم على الرّاء قلْتَ الطُّمْروق، وهو الخُفّاش، والطّفَل بتَحْريك الفاء وهو الصّواب، ولا يُقال بالإِسْكان، وقولُه: بالإِطـرغْشـاش والإِبْـرِغْشاش، يُقال: اطرغشّ الرّجُلُ وابرغَشّ، وقَشْقَشَ إذا أفاقَ مِنْ مَرَضِه، والمُقَشْقِشتان: المُعَوّذتان قال الشاعر:

أعيــذُكَ بـــالمُـقَشْـقِشَـتَيْـن مِمّـــا
أحــاذِرُه ومِـنْ شَـــرّ الْعُـيـــونِ[54]

فهذا وإن كانَ كَلاماً عربياً يَقْبُح في الْمسامع، ويُثْقِل على كلّ سامِع، لخُشونتِه وقلّةِ استِعْمالِه، ولَنا في كتاب الله الكَريمِ قُدْوة، وكَفى به للْمُتأَسّي بِهِ إسْوة.

(52) الكامل 1: 17 - 18.

(53) المنتقى المقصور لابن القاضي. مخطوط. ولم أتمكن من الوقوف على الحكاية في غيره.

(54) ورد البيت غير مسوب في كتاب ألف باء للبلوي 2 :402.

قالَ الفَقيهُ الْمُشاوَر الأستاذ أبو الحسَن علي بن لبّال:

ومَعَ هذا فَلا أُخْلي أبا تمّام مِنْ فَضيلة، وَلا أُعَرّيه عنْ خَصْلَةٍ جَميلة، بَلْ أعتقدُ أَنَّهُ شاعرُ إحْسان، وفارسُ هذَا الشّان، وهُو مَعَ أبي الطيّب كفرسَيْ رِهان، في عدّة أَبْيات، وكثيرٍ من المُقَطّعات، كقول أبي تمّام في وصْف القلم:

لـكَ القَلمُ الأعْلى الّذي بشباتِـه
تصابُ من الأَمْرِ الكلَى والْمَفاصِلُ

لُعـابُ الأَفاعي القـاتلاتِ لُعـابُـه
وأرْيُ الْجَنَى اشتارتْهُ أَيْدٍ عواسِلُ

لَـهُ الخلَواتُ الـلاّءِ لـولا نَجِيُّها
لَما اختلَفَت للملك تلكَ المحافِلُ

لَـــهُ ريقـةُ طَـلٍّ ولكنَّ وقْعَهـا
بآثاره في الشّـرقِ والْغَرْبِ وابِـلُ

فصيـحٌ إذا اسْتَنْطَقْتَـهُ وهْوَ راكِبُ
وأعجم إنْ خـاطبتَـهُ وَهْـوَ راجِـلُ

إذا ما امْتَطى الخَمْسَ اللّطافَ وأُفْرِغَتْ
عليهِ شِعابُ الْفِكْـرِ وَهْي حوافِـلُ

أطـاعَتْهُ أطْـراف الْقَنـا وتَقَـوّضَتْ
لِنَجْواهُ تَقْويض الْخِيـام الْجحافِـل

إذا استَغْزَرَ الذّهْنَ الذكي وأَقْبَلَتْ
أعاليهِ في القِرْطاسِ وَهْي أسافِلُ

وقَـدْ رَفَدَتْـه الخِنْصـران وسـدّدت
ثـلاث نـواحيـه الثـلاث الأنـامِـلُ

رأيت جَليــلاً شَــأنُــه وهْــوَ مــرهَـقٌ
ضَنىً وسَميناً خَطْبُه وهو ناحِلُ[55]

وهذِه لعَمْري قِطْعَةٌ بديعةُ النَّسْج، رائقة الدَّرْج، لم يُحكْ عَلَى مِثالِها ولا نُسِج عَلى مِنْوالها.

وأَرْبى عَلى أبي الطيِّب في قوله:

خَبَتْ نارُ حَرْبٍ لم تَهِجْها بنانُـهُ
وأَسْمَرُ عُرْيـانٌ مِنَ الغُصْن أَصْلعُ
نَحيفُ الشَّوَى يَعْدو عَلَى أُمِّ رأسِهِ
ويَحْفَى فَيَقْوى عَدْوُهُ حينَ يُقْـطَعُ
يَمُـجُّ ظَـلاَمــاً في نهـارٍ لِســانُـهُ
ويُفْهِمُ عن منْ قالَ ما لَيْسَ يُسْمَعُ[56]

وهذه لعَمْري قطْعَةٌ تدلّ على طَبْعٍ عَفْو، وماءٍ صَفْو ولكن الأُولى أعْلى، وأَلْيَقُ بالتقديم وأَوْلى.

قالَ الفقيهُ المُشاوَر الأُستاذُ أبو الحَسن عليّ بنُ أحْمد بْنِ لُبّال أدامَ الله عزّتَه بمنّه وكَرَمه: وَأنا أرْغَبُ ممّنْ تَصـفّح كَلامي، وتحقّقَ منْهُ سَرْدي ونِظامي، في هذا التّأليف الّذي خَرَقْتُ فيه حِجاب السّخف، ولَمْ أَستَتِرْ فيه من العَقْل بسِجف، فتعرّضتُ فيهِ للألْسِنة، ونَبّهتُ لِعِرْضي مَنْ كانَ عنْهُ ذا سِنَة، وبَلّغتُ الناقدَ سُولا، ولَمْ أُرِدْ ذلـكَ ولكنْ لِيَقْضِي اللَّهُ أمراً كـانَ مَفْعولاً.

---

(55) الأبيات من قصيدة أبي تمام التي مطلعها:

متى أنـتَ عَنْ ذُهْـليـة الحي ذاهِـلُ وقلبــكَ منهــا مـدّةَ الـدّهـرِ آهِـلُ

انظرها في ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي جـ3 ص 122 وما بعدها. وقد كان لها التفضيل والتقديم على سائر شعر أبي تمام عند الأندلسيين انظر طبقات الزبيدي: 306 - 307 والعقد الفريد 4: 192.

(56) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي جـ2 ص 421.

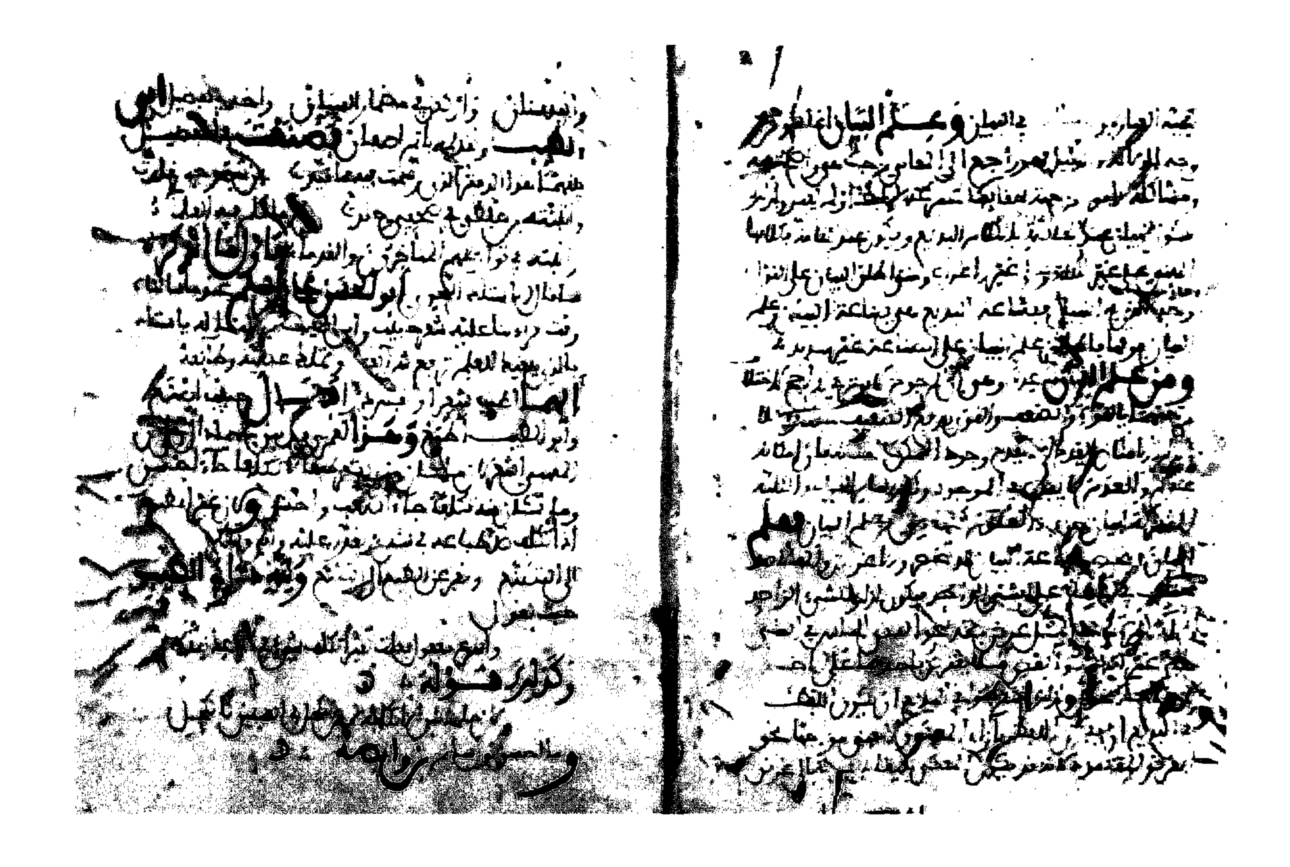
فَعَلى مَن اعْتَزَى إلى عِلْم، ووُصِفَ بذَكاءٍ وفَهْم، أنْ ينْظُرَ بعَيْن الإغْضا، ويتصفّح تواليفَ مَنْ مَضى، فكَمْ في الدّفاتِر، مِنْ سخيفٍ فاتِر، وَلَو اقتصرَ المُتَأخّرونَ عَلى علْمِ المُتَقَدّمين لذَهَب عِلْمٌ كثير، وَأدبٌ غَزير، وأما الجاهِل فمَنْ ضاقَ في العِلْم ذَرْعُه، وقَصر به فهْمُه وطَبْعُه، حتّى يظُنّ أنْ لا علْمَ إلا ما وَعاه، ولا تحقيقَ إلاّ ما ندَبَهُ فهْمُه إلى مَعْرفتِه ودَعاه، فَما دُرِيَ جَهْلُه، وأشدُّ ما جَنى عَلَى عِلْمٍ ما سَطّرَهُ السّخيفُ عَقْلُه.

وَإذا خَفيتُ عَنِ الْغَبي فَعَاذِرٌ
أَلّا تَراني مُقْلَةٌ عَمْياءُ[57]

واللّهُ المُوَفّقُ للصّواب، وصلّى اللّهُ عَلى محَمّد نبيّه ما زُيّن بِاسْمِهِ كتاب، وما عَذُبَ ذكْرُه صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم في الأفْواه وطاب، وسلّم تسليماً كَثيراً.

تمّ التأليف والحمدُ لله ربّ العالمين
والصّلاة على محمدٍ وآله أجْمعين
ضحْوة يوم الأربعاء غرة ربيع الثاني
سنة 1003 هـ

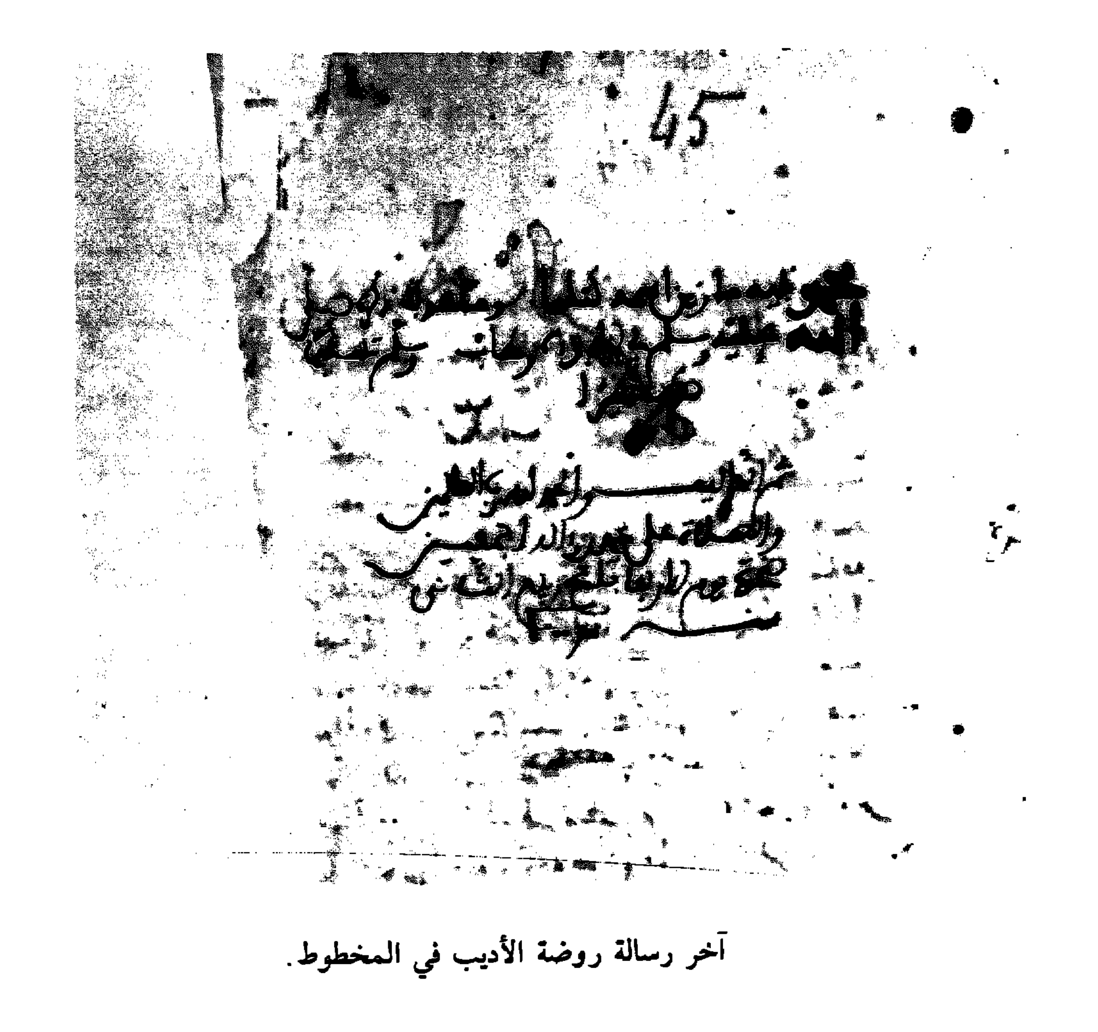
(57) المصدر نفسه 1: 18.



أول رسالة روضة الأديب في المخطوط.

الفصل الخامس

مختارات من نسخة ديوان المتنبي السعدية



آخر رسالة روضة الأديب في المخطوط.



ـ 1 ـ
مقدمة الديوان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم وصلَّى اللَّهُ عَلَى سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِهِ.

الحمدُ لِلَّهِ عَلَى ما منَحَ منَ الْعوارِف، وما أَلْهمَ من الْمَعارِف، وسَنَّى منَ اللَّطائف الأنيقةِ الْمَطارِف، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى رسولِهِ مُنقذِ الأمَّةِ وَهاديها، وخيرِ مَن يحْدُو لِمعالِمِهِ المُشَرَّفةِ بالمهْرِية القَوْدِ حاديها، وعلى آلِهِ ذؤابَة المَجد الفارِعة، وعصابة الرسالة البارِعة، وأَصْحابِهِ الذينَ جَلَوْا قتامَ الشرْكِ عن وجه السَّمْحاء، وروَّضـوا بعوارض الإيمانِ بِطاحَ الْبطحاء؛ والرِّضا عن الإمام الخليفة القائم بأمر الله مُطْلِع شموس الحقّ بعد أُفولِها، ومُعيدِ معالي الخلافةِ إلى أُصولِها.

وعن نجلِه الإمام الخَليفَةِ الْمَهْدي سُورَة المُلْكِ وفاتحَةِ كتابِهِ، ومُحْيـي معالِمِ الخِلافَة المُؤَهّلَةِ بالْملوكِ الصِّيدِ أعْقابِهِ، ومُصْلت سَيْف النَصْر الّذي دانت لَه الفتوحُ المُتَوالِية، وخضعَتْ لَهُ الأقطارُ الدانيةُ والقاصِية؛ ودوْحة الشرف الّتي بَسَقتْ بالْمَجدِ والعُلا أفنانُها وأوْرَقتْ بالعدل المتفيّىء الظّلال عَلَى الْبَسيطةِ أغْصانُها؛ والدّعاء بنُجْح الآمال، الْفَسيحَة الْمَجال، والسَّعْد الذي لا يزالُ لِسانُه بِالبشائِر والتّهاني طلْق الرّوِيّة والارْتجال، لمولانا أميرِ الْمؤمنين بن مولانا أمير المؤمنين بن مولانا أمير المؤمنين عصمة الدين وهضبة شرفه العليا، وبهجة الملك وزهرة الحياة الدّنْيا أعجوبة الدهر وآيته، ومنتهى الفخر وغايته، العزيز الوجود، وعين كلّ موجود:

عُقِمَ النّسـاءُ فَمـا يلْدِنَ شبيهَـهُ
إنّ الـنّـسـاءَ بِـمِـثْـلِهِ عُـقْـمُ

جلّتْ مفاخِرُه ومآثِرُه عَنْ أنْ تُحْصى، ويَنْفَدُ في جانِبِها تعْدادُ الكواكِب والْحَصى:

وَمَنْ لي بحَصْر الْبَحْر والْبَحْرُ زاخِرٌ
وَمَنْ لي بإحْصاءِ الْحَصَى والْكَواكِبِ

ماضي العَضْب، وَحامي ذَمـارِ الْمُسلمينَ بالأسَل والقُضْب ومجلى سُدو الرّيب، وناصِر الشّريعَة الّتي جاءَ بِها الرّسولُ عَن الرّب:

فمن كانَ أو مَنْ قَدْ يكونُ كَأحمدٍ
نـظامـاً لحقٍّ أو نكـالاً لِمُلْحـدِ

باهَتْ مَناقِبه الْغُرّ الشّموسَ سَنىً وسَنَاءً، وأنبتَتْ سَحائِبُ جوده الوَكّافة في كلِّ أرْضٍ ثَرْوة وغَناءً، إن ضحِك أبْكى بالبذل مالَه، وأنْجَح لِلْمعتفي آماله:

غَمْـرُ الـرّداء إذا تبسّم ضـاحكـاً
غَلِقتْ لضحكتِـه رِقـابُ الْمـالِ

عَلَمُ المجْدِ وبيْتُ شَرَفه، ورفيعُ عِماد العُلى ومُشيدُ غُرَفِه، وولي السّمْحاء ونَصيرُها، وبدر الخلافة الذي ازدهى بِهِ منبَرُها وسَريرها:

ووارث المُلْكِ عن شُمٍّ غـطارفـة
بهم أُنوف الخُطوبِ الشُّمّ تُجْتَدَعُ

مَأْمَن الخائِف، وكَعْبةُ الطّائف، وسَعادةُ الزّاجِر الْعائِف ورحمة الله التي أطْبَق على الخَلْق سماؤها، وأظَلّهم لواؤها؛ راقَتْ أيامُه الْغُرّ فعادت مَواسِم، وثُغورُ الأماني بها مفتَرّةٌ وبواسم:

تَـلوحُ في دولــة الأيــام دولـتُــهُ
كـأنّهـا ملّة الإسـلامِ في الْمِلَلِ

جنّة الوافِد، ومناخُ الرّائِد، ومُجْزلُ الفَوائد، ومُكْمِل الصّلَةبالْعائِد، أجزل الملوك نَدىً وبأساً، وأكْرمُهم مَحْتِداً ونَفْساً، وأمْنَحُهم إسجاحاً وعَفْواً، وأبعدهم في المَجْد والعلا شأواً:

تَـعِبَ الـمُلوكُ مــراهـنـيـن وراءَه
فَتَنـاكَصـوا لا يلْحَقــونَ الشَّمْـألا

بهَرت العقولَ والألبابَ آيتُه، وأربت عَلى كُلّ غَايةٍ في الفَضْلِ غايتُه، وتجاوزَ في كُلّ مأثُرَةٍ المُنْتَهى، واستَعْلى بهمّتِهِ البعيدة المرمى على هامة السُّهى؛ وغادَرَتْ فَضائلُهُ وفواضِلُه الأوهامَ حائرَة، وغدتْ بمناقبِه الأمثالُ في أقْطار المعمورِ سائرة:

مَنْ للْمَـدائـحِ تَسْتـوفي مَنـاقِبَــهُ
وقَدْ أنافَتْ عَلى شُهْبِ السّما عَدَدا

لا زال ظِلّه المَمْدودُ على الْبَسيطة منشوراً، وذكرُهُ في ديوانِ الفخرِ مسطوراً، بحوله وقوته.

وبعدُ فإنّ ديوانَ أبي الطيّب أحْمد بْنِ الحُسين المتنبّي رَحِمَه اللّهُ لَمّا كان بحَسَب رقّة الغَزَل والنّسيب كالرّوضِ باكَرَهُ الْحَيا، وجـزالَةِ الفَخْـر والْمَديح كالرّعْد اصطُكّت بصلْصَلَته مسامِعُ الدّنيا، إلَى ما ضُمِّنَهُ مِنْ حكَمٍ تقفُ منها الْفَريدَة في مَيْدانِ الْمُحاوَرَة مَوْقِف الرّسالَـة الْبارِعـة، وتَنْهَضُ للمُسْتشْهِـدِ في مقام بِهـا في مَقامِ الْمُنـاضلة بالحجّـة البالِغـة والشّهادَةِ الْقاطعة، وأمْثال، يَروق لضَرْب المَثَل بها تِمْثال، ووَعيد يدكُّ الجِبالَ تَهْديدُه دَكّاً ويصُك الإعـذارُ بـه مَسامع الْمُرْجِفينَ صَكّاً، واستعطافٍ يَبْعث الرّحمةَ في الْقلوب القاسية، ويسْتَنْزلُ بلَطافَتِه العُصْم من قُنن الشّواهِق الرّاسِية،

صارت الْمُلُوكُ بحفْظِه مولَعَة، وَحِكَمُه وأمثاله في صدورِهم مُودَعَة وكان أشدّهُمْ به ولوعاً، وَأَحْنى عليهِ ضُلوعاً، أشبههم لَطافةً برقّتِه، وأَلْهَجَهُم لِساناً بحكْمَتِه، وأَنْضاهُم يَوْم الرّوع لسَيف جَزالَتِه، وأجراهم في الإقدام في حومة الهِياجِ والْكِفاح على دِلالَتِه، وأحْسَنهم إيراداً لأمثالِه، وأَرْشَقَهُم لثغْرَة السّداد بسِهام الرأي المصيب ونِباله، وأنفذَهُم في الملْحِدينَ لِوعيده، وأعْطفَهم على الْمؤمنين مِنْ رعايا الله وعَبيدِه، ملك المُلُوك، وفَخْر المالِك والْمَمْلوك، مَوْلانا الإمام الْخَليفة أمير الْمؤمنين. وناصِر الدّين أبو عبدالله مُحَمّد الشّيخ المَهْدي قدّسَ الله نفْسَه، وطيّب بأَنْفاس المَغْفِرة والرُّحْمى رَمْسه، كانَ كثيراً ما يَتعاطاهُ عَلَى شَغَف، ويُعْرب بذَوْقه السّليم عَنْ حِكَمٍ أنيقَة القُرْطِ والشّنَف، ويجلّي بمَدارِس الإدْراك غُرَرَه، ويسْتَخْرجُ بفَهْمِه الثّاقب مِنْ بُحور مَعانيه الزّاخِرة دُرَرَه، حتّى اشتَمَلَ عليْهِ حفْظاً ودِراية، ورَفَعَ للشُّهرَةِ بمَعْرِفَتِه الرّايَة، وما زالَ رَضي اللّهُ عَنْه يُوصي بحِفْظِه وَدِرايته إلى أعْقابه الْكِرام وَبَنيه، ويُشِير بذلكَ عَلَى كُتّابه وَعُلَماء وَقْتِه وذويه، فَكان أجْرَى بَنيه عَلى سَمْتِه في ذلك الطَّلْق، وأحْرَزَهُم فيه لخَصْل السَّبْق، أجراهم في الْجُمْلَةِ عَلى هَدْيه، وأكْثَرهُمْ اقْتداءً بصالِحِ عَمَله ومَشْكورِ سَعْيِهِ، بيْتُ قَصيدِهِمْ وَواسِطَةُ عقْدِهِمْ، وقُطْبُ الْمعالي الّذي علَيْهِ مدارُ شَرَفِهمْ ومَجْدِهم، مَولانا الإمام الْخليفَة أمير المؤمنين.

فإنّه اليوم أيّدَهُ اللّه كالْخليفَةِ أبيه كلف بِمُطالَعَتِه ومُغْرَم وولُوعه الْمُنيف قَدْ طافَ بمُعاطاته وأحْرَم، وما زالَ عَلى الْمَدى مُطْلِعاً لشُموس حِكَمِه ونَوادِرِه في كَريم ناديه، ومُجيلاً لقِداح الْمُحاوَرَةِ فيه مَعَ جَهابذَة هذا الشّأنِ وَأَهْل وادِيه، حَتّى فازَ مِنْ سِهام الْمَعْرفةِ بمَعانيه وأساليبه وَمبانيه بالْقِدْحِ الْمُعَلّى، وَصارَ في حْفظِه وحِفْظِ الأدَبِ عَلى الجُمْلَة ودرايتِهِ آيَةً تُتْلى، ثم لمّا غَدا بالتفنن في ذلِكَ على هام الْكَواكِب نازِلاً، وصَوّرَتْ منهُ الدّرايةُ للْمَعارِف الجَمّةِ شخْصاً ماثِلاً، وأقدرَتْه الْمَلكَةُ فيها على التصرّف الْمُطلَق، وفتحَتْ لَهُ إلى الإجادَة في الاختيار كُلّ وَصيدٍ مُغْلَق، نظَرَ إلَى هذا الدّيوان نظَرَ مُشْفِقٍ عَلَى بضاعَتِه، وَغَيُورٍ عَلَى صِناعَتِه، فرأى أيّدَه اللّهُ عَدَمَ ترتيبِهِ،

وإغْفالَ تَبْويبِه، وخُلُوّ جَمْعِه مِنْ ضابِط، وعُرُوّ مَوْصوله منْ صلَةٍ ورابِط، نقصاً في إحسانِه، وحَصراً في لِسانِه، وعاهَةً في شخْصِه وإنْسانِه إذْ يَعْسُر بذلكَ عَلَى مُطالِعِه الاهْتِداء إلَى قَصْدِه، والعُثورُ بديهةً عَلَى ما يشاءُ مِنْ هَزْلِه وجدِّه. وعَلَى أنّ بعْض الفُضَلاء وإن كانَ قَدْ فوّق إلَى هذا الْغَرَض نِبالَه، وأشْرَع إلَيْه نِصَاله، وَجَرى في تَرْتيبه عَلَى حسَب ما في وُسْعِه ومقْدورِه، ونظَم في قِلادة جَمْعِه ما الْتَقَطَهُ من فرائِدِه وشُذُوره، فقَلَّ أنْ وُجدَ في تَرْتيبِهِ لشِعْرِهِ الْمشْهور، مُسْتقصياً في جَمْعِه لنظمِه الّذي صحّحه أئمّة الْمَنْظوم والْمَنْثور، إذ كانَ اقْتَصرَ على ما صحّتْ عندَه رِوايتُه، ووقَفَ في الاجْتِهاد حَيْثُ وقفَتْ في مَجال الدّراية رايتُه.

فآثَرَ أيّدَه اللّهُ الإتيانَ في ذلِك بالجَمْع المُتناهي، وجَبْـرِ ما أغْفَلَهُ السّاهي، بأنْ أمَرَ خلَّدَ اللّهُ سُلْطانَه، ومهّدَ أوْطانَه، باسْتِقْصاءِ ما اشْتَمَلَتْ عَليه خَزائنُه الحافِلة الْعِلْميّة، واحْتَوَت عليْهِ مِنْ نُسَخ هَذا الدّيوانِ الْعَتيقَةِ الْمَنْسُوبةِ الْمَرْويّة، وَأشارَ بتحْرير نُسْخةٍ منْها تشْتَمِلُ على نظْمِهِ الْمَرْوِيّ الْمُجاز، وشِعْرِه الّذي ليْسَ في صحّة رِوايتِهِ احْتِمالٌ وَلاَ مَجاز، وَأمَر أيّدَه اللّهُ ونَصَرَه، وأسْعَدَ آصاله وبُكَرَه، بترتيبِها عَلَى حُروف الْمُعْجَم على طَريقةِ الْمَغارِبَة واصْطِلاحِهِمْ والْجَرْي في وَضْعِها عَلَى بَيانِهِمْ وإيضاحِهِمْ، ليَرْتَفِعَ بهذا التّحرير الْعَجيب عَن شعْره الْمَرْوِيّ الشّكُّ والارْتِياب، ويسهل بهذا الترتيب اهْتِداءُ الْمُطالِع إلى مَحلّ الحاجَةِ من الْكِتاب، فلبّى العَبْدُ المَأمورُ دَعْوتَه، ونَهَج إلى الْوَفاء بما اقْتَرَحَتْهُ هِمّتُه العالية جادّتَه المُثْلَى وشِرْعَتَه، وَرَمَى إلَى هذا الْغَرَض عَنْ قَوْس ذَكائِه ونُبْلِه فَقَرْطَسَهُ، وأذْكَى عَلَى عَلَم الإجَادةِ فيه للطّالبين والرّاغبينَ قَبَسَه، فَنَجَحَ فيه بحمْدِ اللّه الْقَصْدُ، وأنجز الوَعْد، وَساعد النية الصّالحةَ فيهِ السّعْد، واللّهُ الْمَسْؤولُ في إثابة المَوْلى الكَريم الخَليفة عَلى اعْتِنائِه الْجميل في إحياءِ العلم ونَشْرِهِ وأن يَنْفَعه بذلك مَنْفَعَة يَجدُها أسْنى الْقُربات يومَ عرض الخَلْق وحَشْرِه، وأصلّي على سَيّد الأولين والآخرين صَلاةً دائمَةً إلَى يَوْم الدّين، وآخرُ دَعْوانا أن الحمدُ لله ربّ العالَمين.



ـ 2 ـ

الطّرر

طرر حرفي الألف والباء(*)

قافية الألف المتحركة

1 ـ فـالسّـلمُ يكسرُ من جناحي مالِـهِ
بنـوالِـهِ مـا تـجـبـر الـهـيـجـاءُ

من قول أبي تمام:

إذا مـا أغـاروا فـاحتووا مالَ مُعسرٍ
أغـارتْ عليـهِ فـاحتـوتـه الصّنـائـعُ(1)

2 ـ وهبني قلتُ هذا الصّبحُ ليلٌ
أيـعْمـى العـالـمـون عن الـضّيـاءِ

هذا البيت ينظر إلى قول ابن الرومي:

أسقط المدْحَ فيكَ أن لم يُبِنْ منْـ
ـكَ خَفيّـاً وهَلْ لصبحٍ خفـاءُ(2)

3 ـ تطيعُ الحاسدينَ وأنتَ مَـرْءٌ
جُـعـلتُ فـداءَه وهُـمُ فـدائـي

(*) اقتصرت هنا على طرر حرفي الألف والباء وفي النية إخراجها كلها فيما بعد إن شاء الله.
(1) ديوان أبي تمام 4: 588.
(2) ديوان ابن الرومي 1. : 41. دار المعرفة ـ بيروت.

من قول الحصني:

فـدتـكَ نفسي ويَفْديني أعـاديكـا
بل كلٌّ من فوق ظهْرِ الأرض يفديكا(3)

4 ـ مضت الـدهـورُ ومـا أتينَ بمثـلِهِ
ولقـد أتى فعجـزنَ عن نـظرائِـهِ

مأخوذ من قول حبيب:

هيهـات لا يـأتي الـزمـان بمثلِهِ
إن الـزمـان بـمثـله لبـخيـلُ(4)

وأخذه حبيب من قول الأول:

عقم النّسـاءُ فما ولـدن مثـالَـه
إن النـسـاء بـمثـلِهِ عُـقـمُ

5 ـ أنـتَ أعـلى مـحـلّةً أن تُـهـنّـى
بمكانٍ في الأرض أو في السّماءِ

ينظر إلى قول ابن الرومي:

أنتَ أعلى من أن يقولَ لكَ القا
ئـلُ يـهـنـيـك إن ولـيـت وِلايـة

6 ـ ولـك النـاسُ والبـلادُ ومـا يسـ
ـرَحُ بـين الـغبـراءِ والـخضـراء

---

(3) انظر المنصف: 329.

(4) ديوان أبي تمام 4: 102.

من قول عدي:

ولــك الأهــلُ والبنــونَ ومـا تَمْـ
ـلِكُ من ثــابت ومن مُسْتـاق

7 ـ وبمِســكٍ يُكْنى بــه ليسَ بــالْمسـ
ـك ولــكــنّــهُ أريــجُ الــثّــنــاء

من قول العطوي:

فليسَ نسيمُ المسـكِ ما تجـدانِهِ
ولكنّــه ذاك الـثنــاء الـمُخَـلِّـدُ

8 ـ فـارمِ بي مـا أردت منّي فــإنّي
أســدُ الـقـلـبِ آدمـيّ الــرواء

ينظر إلى قول أبي تمام:

أسْرى بنو الإسْلامِ فيهِ وأَدْلَجوا
بقلوب أُسْدِ في صدور رِجـالِ(9)

قافية الباء

9 ـ يزورُ الأعادي في سَماء عجاجـةٍ
أسِنَّتُــه في جـانبيهــا الكــواكِبُ

ينظر إلى قول بشار:

(9) ديوان أبي تمام وسرقات المتنبي للشنتريني: 8.

كأنّ مُثارَ النقعِ فوقَ رؤوسنا
وأسيافنا ليلٌ تَهاوى كواكِبُهْ[10]

10 ـ طلعنَ شموساً والغُمود مَشارقٌ
لهنّ وهاماتُ الرّجالِ مغارِبُ

ينظر إلى قول عبدالله بن المعتز:

متردّياً نصلاً إذا
لاقى الضّريبة لم يراقبْ
فكأنّه في الحربِ شمسٌ
والرؤوسُ له مغارب[11]

11 ـ دمعٌ جرى فقضى في الربْعِ ما وجَبا
لأهلِهِ وشفى أنّى وَلا كربا

هذا البيت يشبه قول الوائلي:

سأشكر الدّمعَ إنّ الرّبع كانَ لَهُ
حقٌّ فقامَ لَهُ عنه بواجبهِ[12]

12 ـ سقيته عبراتٍ ظنّها مطراً
سوائلاً من جفوني ظنّها سُحُبا

هذا ينظر إلى قول أبي تمّام حبيب:

مطرٌ من العَبَراتِ خدّي أرْضُهُ
حتى الصّباحِ ومقلتاي سماؤُه[13]

---

(10) ديوان بشار 1: 318. . . .

(11) ديوان ابن المعتز 3: 246 والمنصف: 318.

(12) المنصف: 388.

(13) ديوان أبي تمام 4: 148 والمنصف: 388، 531.

13 ـ بيضاءُ تُطمِعُ فيما تحتَ حُلّتها
وعَـزّ ذلكَ مـطلوبـاً إذا طُلبـا

يشبه قول الآخر:

سألتك حاجةً فأجبتَ عنها
بأسرعَ ما يكونُ من الجوابِ
فلمّا رمتُها رمْتُ الثريّا
وأبعد ما يكون من السحاب[14]

14 ـ كأنها الشّمسُ يُعيي كفّ قابضِهِ
شُعاعُها ويراهُ الطرفُ مُقترباً

يشبه قول ابن أبي عيينة:

فقلْتُ لأصحابي هي الشمسُ ضوءُها
قريبٌ ولكن في تناولِها بُعْدُ[15]

15 ـ لو حلّ خاطِرُه في مُقعَدٍ لمَشى
أو جاهلٍ لصحا أو أخرسٍ خَطَبا

يشبه قول الآخر:

ومقعدِ قومٍ قد مشى من شرابِنا
وأعْمى سَقَيْناه ملياً فأبصرا[16]

16 ـ إذا بَـدا حجبتْ عينيـكَ هيْبتُـه
وليسَ يحجبُـه سـترٌ إذا احتجَبا

(14) الوساطة: 261 العكبري 1: 112.

(15) المنصف: 391.

(16) المنصف: 392 (بدون نسبة).

ينظر إلى قول البحتري:

وإن أتى دونَه الحُجّاب فما
تحجبُ عنّا آلاءه حجُبه[17]

وكأن صدر بيت أبي الطيب من قول الفرزدق:

يُغضي حياءً ويُغضى من مهابتِه
فَما يُكَلّم إلّا حين يبتَسِمُ

17 ـ تحلو مذاقتُه حتى إذا غَضِبا
حالتْ فلو قطرت في الماءِ ما شُرِبا

ينظر إلى قول ابن المعتز:

لَوْ أنّ ما تبتليني الحادثاتُ بهِ
يصبُّ في الماءِ لَمْ يشرَبْ من الكَدَرِ[18]

18 ـ وتغبط الأرضُ منهُ حيث حلّ بِهِ
وتحسُدُ الخيلُ منها أيّها ركِبا

قوله وتحسد الخيل من قول الآخر[19]:

ومن لـه تخشعُ الملوكُ ومَنْ
تُزْهَى به الخيلُ حينَ يركَبُها

19 ـ هزّ آللواءَ بنو عجْلٍ بهِ فَغدا
رأساً لَهُمْ وغدا كلٌّ لهُمْ ذنَبا

---

(17) ديوان البحتري 1: 281 والمنصف: 15.

(18) المنصف: 395.

(19) هو ابن دريد كما في المنصف: 396 والبيت ليس في الديوان.

قوله فغدا رأساً وما بعده من قول الحطيئة:

قومٌ هم الأنفُ والأذنابُ غيرهم
ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا[20]

20 ـ مبرقعي خيلِهم بالبيضِ متّخذي
هامِ الكُماةِ على أرماحِهمْ عذَبا

قوله متخذي هام الكماة وما بعده يشبه قول بعضهم:

من كُلّ ذي لمّة غطّت ظفائرها
صدر القَناة فقد كادتْ ترى عذَبا

21 ـ مراتبٌ صعِدت والفكرُ يتبعها
فجازَ وهْو عَلَى آثارِها الشُّهُبا

قوله فجاز وما بعده يشبه قول ابن الرومي:

وسمَتْ همّتي فجاورت العيو
ق بُعداً أو جازت العيّوقا[21]

22 ـ مكارمٌ لكَ فتّ العالَمين بِها
مَنْ يستطيعُ لأمرٍ فائتٍ طَلَبا

هذا البيت يشبه قول البحتري:

أيُّها المبتغي مُساجلة الفتْحِ
تبغّيت نيلَ ما لاَ يُنالُ[22]

---

(20) المنصف: 398، 426.

(21) ديوان ابن الرومي 4 1713 والمنصف: 399.

(22) ديوان البحتري

23 ـ بكلّ أشعثَ يلْقى الموتَ مُبْتسماً
حتّى كـأنّ لـه في قَتـلِه أَرَبـا

قوله حتى كأن وما بعده يشبه قول أبي تمّام:

يستعذبونَ مناياهُمْ حتّى كأنّهُمُ
لا يَيْأسون مِنَ الدُّنيا إذا قُتِلوا[23]

24 ـ بأبي الشموس الجانحات غواربا

قوله الجانحات غواربا يشبه قول البحتري:

شمس تـألق والفراق غـروبها
عنـا وبـدر والصـدورُ غـواربُـهْ[24]

25 ـ ونصبنني غـرض الرُّمـاة تُصيبني
محنٌ أحَـدُّ من السيوفِ مضـاربا

يشبه قول الآخر:

في كل يومٍ لهـا نَبْلٌ مفـوّقة
كأنّني غرضٌ تنحـوهُ أو هَدَفُ[25]

26 ـ فكـأنّما كُسي النهـارُ بهـا دجى
ليـل واطلعت الـرمـاحُ كـواكبـا

من قول بشار:

كأنّ مثار النقـع فوق رؤُوسنـا
وأسيـافنا ليـلٌ تهاوى كـواكبـه[26]

---

(23) ديوان أبي تمّام 3: 17 والمنصف: 257، 326.
(24) ديوان البحتري.
(25) البيت منسوب للحصني في المنصف: 432.
(26) ديوان بشار 1: 318 والمنصف: 317.

27 ـ أُسْـدٌ فرائسُهـا الأسـود يقـودهـا
أسَـدٌ تصيـر لـه الأُسـود ثعـالِبـا

من قول عبدالله بن المعتز:

أُسْدٌ فرائسُهـا الأسود ولا تـطأ
إلا على الآسـادِ يوم حـروبِها[27]

وعجزه من قول بعضهم:

كم من عدوٍّ كان قبلك ضيغماً
حَتّى إذا ما خيفَ عاود ثعْلَبا[28]

28 ـ في رتبةٍ حجبَ الْوَرَى عن نيلِها
وعـلا فَسَمّـوهُ علي الحـاجِبـا

يشبه قول ابن الرومي:

كـأنّ أباهُ حين سمّـاهُ صاعِـداً
دَرَى كيفَ يرْقَى للمعالي ويَصْعَدُ[29]

29 ـ كالبحر يقـذف للقريب جـواهراً
جـوداً ويبعث للبعيـدِ سَحـائبـا

يشبه قول مسلم:

هو البحر يغشى هوة الأرض فَيْضُهُ
ويدركُ أطرافَ البـلادِ سواحِلُهْ[30]

---

(27) ديوان ابن المعتز: 1 :394 والمنصف: 437.
(28) البيت منسوب للمريمي في المنصف: 437.
(29) ديوان ابن الرومي 2: 591 والمنصف: 437.
(30) ديوان مسلم بن الوليد: 146 والمنصف: 438.

30 ـ شـادوا مناقبهـم وشـدت مناقبـاً
وجـدت منـاقبهم بهن مَثـالِبـا

يشبه قول أبي تمّام:

مَساعٍ لأقوامٍ مَتى تقرِنوا بهـا
محاسن أقوام تكن كـالمعايب(31)

ويشبه قول أبي المعتصم:

إذا نحن عددنا محاسنه اغتدى
محاسن أهل الأرض فيها مساويا(32)

31 ـ تدبيرُ ذي حُنـك يفكّر في غـدٍ
وهجـوم غِـرٍّ لا يخـافُ عـواقِبـا

يشبه قول البحتري:

ملكٌ لَهُ في كلّ يـومِ كَـريهـةٍ
إقـدامُ غـرٍّ واعتـزام مجـرّب(33)

32 ـ خُذْ مِنْ ثنائي عليكَ ما أسطيعُه
لا تلزمَنّي في الثنـاءِ الـواجِبـا

ابن الحـاجـب:

جَهِدتُ فلَمْ أبلغ صفاتِك كلّها
فقلتُ على مقدار ما احتملَ الوُسْعُ(34)

---

(31) ديوان أبي تمام 1: 191 والمنصف· 439.

(32) المنصف: 439.

(33) ديوان البحتري 1: 81 والمنصف: 439.

(34) المنصف: 440.

33 ـ أبـا سـعيـد جنّب الـعتـابـا
فـربّ رائـي خـطأٍ صَـوابـا

ينظر إلى قول منصور النمَري:

لعـلّ لَـهُ عـذراً وأنت تلومُ
وكم لائمٍ قد لام وهـو مُليم(35)

والمليم الذي أتى ما يلام عليه قال الله تعالى: فالتقمه الحوت وهو مليم.

34 ـ مـا يجيلُ الـطرْفَ إلاّ حمـدَتْـهُ
جهـدَها الأيـدي وذمتْـهُ الـرّقـابُ

معنى هذا البيت أنه يصـل أولياءه وقاصديه فيملأ أيديهم معروفاً ويقتلُ أعداءه فتذمه رقابهم والبيت ينظر إلى قول العكوك:

وما مددتَ مَدى طَرْفٍ إلى أحدٍ
إلّا قـضيـت بـأرزاق وآجـال(36)

وبهذا البيت احتج المأمون في قتل العكوك فإنه لما سمع قوله في أبي دُلـف:

كل ما في الأرض من عـرب
بـيـن بـاديـه ومـحـتـضـره
مـسـتـعـيـرٌ مـنـه مـكـرُمَـةً
يـكـتـسـيـهـا يـوم مـفـتـخـره

(35) المنصف: 202.
(36) ديوان العكوك: 66.

أمر بطلبه وكتب لجميع الأقطار بحبسه فحبس وعقل بالشامات وأتي به إليه فقال له كيف تجعلنا نكتسب المكارم من ممدوحك ولكن لم استحلّ دمك بهذا وإنما أستحلّه بقولك: وما مددت مدى طرف البيت. أخرجوا لسانه من قفاه فقتل سنة ثلاث عشر ومائتين.

35 ـ طاعن الفرسان في الأحداق شَزْراً
وعجاجُ الحرب للشمس نِقابُ

يشبه قول الأفوه الأودي:

تخلى الجماجمَ والأكفّ سيوفنا
ورماحنا بالطعن تنتظم الكلا

36 ـ لما نسبتَ فكنت ابناً لغير أب
ثم اختُبرت فلم ترجع إلى أدب

ألمّ فيه بقول الأول:

ليس له ما خلا اسمه نسب
كأنه آدم أبو البَشر[37]

37 ـ ضروبُ الناسِ عُشّاق ضُروبا
فأعذرهمْ أشفّهمُ حبيبا

هذا البيت ينظر إلى قول سعيد ابن حميد:

قَدْ عشِقْتُ الذي إذا اعتذَر العا
شِقُ فيه فَعذرُهُ مقبولُ

(37) المصف: 579.

38 ـ وَما سَكَني سِوى قَتْلِ الأعادي
فَهَلْ مِنْ زورةٍ تَشفي الْقُلوبا

يشبه قول طاهر بن الحسين:

أَطْيبُ الطيباتِ قتلُ الأعادي
واختيالي عَلَى متونِ الْجيادِ

39 ـ شَديدُ الخُنْزُوانةِ لا يُبالي
أصابَ إذا تنمّر أو أُصيبا

البيت من قول سعد بن ناشب المازني:

إذا هم لم يَرْدَعْ عزيمةَ همّه
ولم يأت ما يأتي من الأمر هائبا[38]

وكأنه أيضاً من قول عباس بن مرداس:

أكرُّ على الكتيبة لا أبالي
أحتفي كان فيها أم سواها[39]

40 ـ كأن الفجْرَ حِبٌّ مستزارٌ
يُراعي مِنْ دُجُنَّتِه رَقيبا

البيت ينظر إلى قول الأول:

وقد لاح للساري سهيلٌ كأنه
على كلّ نجم في السماءِ رقيبُ

وقول ابن المعتز:

---

(38) الحماسة 1: 73 وهو برواية أخرى منسوباً إلى مالك بن الريب في المنصف: 608

(39) المنصف: 608.

في ليلةٍ ما راعني فيها سوى
شبه النجوم كأعين الرقباء[40]

وزاد عليهما أبو الطيب ذكر الحب فجاء بيته أكمل.

41 ـ أقلّبُ فيه أجفاني كأنّي
أعدُّ به علَى الدّهرِ الذُّنوبا

هذا يساوي قول بعضهم:

أنا أحصي لك النجومَ ولكن
لذنوب الزّمانِ لستُ بمحصي[41]

42 ـ إلى ذي شيمةٍ شَغَفت فُؤادي
فلولاهُ لقلتُ بها النّسيبا

ينظر إلى قول أبي تمّام:

طابَ فيه المديحُ والتذّ حَتّى
فاقَ وصْفَ الديارِ والتشبيبا[42]

43 ـ قسا فالأسدُ تفزعُ مِنْ يدَيْهِ
وَرَقَّ فنحنُ نَفزعُ أنْ يذوبا

قوله ورق إلى آخره ينظر إلى قول أبي تمّام:

فقصرنا دونك الأبصار
خوفاً أن تذوبا[43]

(40) ديوان ابن المعتز 2: 13 والمنصف: 608.
(41) لم يرد في المنصف: 609.
(42) ديوان أبي تمام 1 :161. ولم يرد في المنصف.
(43) ديوان أبي تمام ولم يرد في المنصف.

44 ـ أشـدُّ من الـريـاحِ الهـوج بـطشـاً
وأسـرعُ في النّـدَى مِنْهـا هُبـوبـا

ينظر إلى قول أبي تمام:

رياحٌ كريح العَنْبر المَحْضِ في النّدى
ولكنّهـا يـومَ اللّقـاءِ زَعـازِعُ(44)

وقول ابن أبي زرعة:

نَسيمُ الصَّبا للطالب الْعرفِ ريحُهُ
وللكاشحينَ الخُزْرِ نكباءُ عاصِفُ(45)

45 ـ إذا نُـثِـلَـتْ كـنـائـنُـه استـبـنّـا
بـأنـصلِهـا لأنـصلِهـا نُـدوبـا

ينظر إلى قول الآخر:

نجـلٌ يُتبِّعْـنَ السهـام بمِـثلِهـا
فلهنّ مِنْ تحتِ النُّدوبِ نُدوبُ(46)

46 ـ ومـا ريـح الـريـاض لهـا ولكن
كَسـاهـا دفنُهمْ في التـربِ طيبًـا

هذا البيت ينظر إلى قول المسيب:

ومـا المسـكُ تـربُ مقـامـاتهم
وتـربُ قـبـورهـم أطـيـبُ

---

(44) ديوان أبي تمام ولم يرد في المنصف.

(45) لم يرد في المنصف.

(46) المنصف: 609.

47 ـ فـلا زالَـتْ ديـارُكَ مُـشـرِقـاتٍ
ولا دانيتِ يـا شمسُ الغـروبـا

عجزه ينظر إلى قول ابن الرومي:

فيـا بـدراً ينيـرُ بـلا أُفـولٍ
ويا شمساً تضيءُ بلا غُروبِ[47]

48 ـ لأصبـح آمِنـاً فيـكَ الـرّزايـا
كَمـا أنـا آمِنٌ فيـك العُيـوبـا

هذا البيت ينظر إلى قول بعضهم:

أسـالمُ قَـدْ سلمتَ من العيـوبِ
ألا فـاسلَمْ كـذاك من الْخُـطوب

49 ـ الـطيـب ممّـا غـنيـت عنـهُ
كـفى بـقـرْبِ الأمـيـرِ طـيـبـا

يقرب من قول ابن الرومي:

فتى لا يعدّ الطيبَ ضربَةَ لازبٍ
ولـكنّـهُ مـنْ نَـفْسِـه متـعَـطّرُ

50 ـ إذا نـظر الـبـازُ فـي عِـطفِـهِ
كستْـهُ شُعـاعـاً على الـمنكِبِ

ينظر إلى قول أبي نواس:

يـقـلّب طـرفـاً طَـحُـور الْقَـذَى
يُضيءُ . . . . خَدّه

---

(47) البيت لابن الرومي الديوان 1: 224.

51 ـ أعيدوا صباحي فهْوَ عند الكـواعبِ
وردّوا رُقادي فهو لحظ الحبـائبِ

هذا البيت بجملته في عجز بيت أبي تمام:

قرى دارهم مني الدموعُ السوافِكُ
وإن عادَ صبحي بعدهم وهو حالِكُ

52 ـ فـإن نـهـاري لـيـلةٌ مـدلـهـمّـةٌ
على مُقلةٍ من فقدكم في غياهِبِ

البيت ينظر إلى قول أبي تمّام:

عــادتْ لَــهُ أيــامُــهُ مســوَدّة
حـتّـى تــوَهّـمَ أنـهـنّ لـيـالـي

وإنما أخذه أبو تمّام من قول الآخر:

صبّتْ عليّ مصـائبٌ لَـوْ أنّهـا
صُبّتْ على الأيـام عُـدْنَ لَيـالِيا

53 ـ تخـوّفني دون الـذي أُمـرَتْ بـه
ولم تدرِ أنّ العارَ شرُّ العواقبِ

ألمّ فيه بقول القائل:

ومــوتٌ لا يـكــونُ عـليّ عــاراً
أحــبّ إلــيّ مــن ذُعــاقِ

54 ـ إليّ لعمــري قصْدُ كـلّ عجيبَـةٍ
كأنّي عجيبٌ في عيونِ العجائبِ

ينظر إلى قول أبي تمّام:

على أنها الأيامُ قـد صِرْنَ كلّهـا
عجائبَ حتّى ليسَ فيها عَجـائبُ

55 ـ فقَـدْ غيّبَ الشُّهّادَ عَنْ كـلّ موطنٍ
وَرَدَّ إلَى أوْطـانِـه كـلَّ غـائب

هذا مليح، فأما مسلم فإنه يقول:

نفَضَتْ بـهِ الآمـالُ أَحْلاَسَ الْعَنا
واسْتـرجعَـتْ نُـزّاعَهـا الأَمْـصـارُ

56 ـ رَمَـوا بنـواصيهـا القِسِي فجُبْنَهـا
دوامي الهوادي سالماتِ الجوانبِ

ينظر إلى قول أبي تمّام:

مسلّمـةٌ في الحربِ أكفـالُ خيلِنا
ودامـيـةٌ لبّـاتُـهـا وصـدورُهـا

57 ـ أولئـك أحْلى من حيـاةٍ معـادَةٍ
وأكثـر ذكـراً من دهـور الشبـائب

ينظر إلى قول بعضهم:

ذكـرتـك ذكـرة جـذبت ضلوعي
إليـك كـأنّهـا ذكـرى تصـابي

58 ـ وحقّ لـهُ أن يسبقَ النّاسَ جـالسـاً
ويُدركَ ما لم يُدْركوا غيـرَ طالِبِ

ينظر إلى قول ابن الرومي:

تـطاولَ أمـلاكٌ وقصّـر جهـدهم
ونالَ الثرَيّـا عفوه وهـو جالِسُ[48]

(48) ديوان ابن الرومي 3: 1224.

وقال آخر:

أَتَـرْجـو أَنْ تُـدانِي سَـعْيَ قـومٍ
وهُمْ سَبَقـوا أبـاكَ وهُمْ قُـعـودُ

وقال ابن الحاجب:

مـا نالَ من شـرفٍ رئيسٌ قـائماً
مـا نـالَـه بنـدى يـديـهِ قـاعِـدا

59 ـ ويُحْـذَى عـرانينَ المـلوكِ وإنّهـا
لِمِنْ قـدمَيْـه في أجـلّ المـراتبِ

هذا من قول كثير:

وَسَعى إليّ بعيبِ عـزّةَ نسـوةٌ
جعـلَ الإلَـهُ خـدودهنّ نِعـالَهـا

60 ـ يـدٌ للزّمـان الجمـعُ بيني وبينَـهُ
لتفـريقـهِ بيني وبـين النّـوائبِ

ينظر إلى قول أبي تمّام:

إذا العيشُ لاقتْ بي أبا دُلفٍ فقَدْ
تقـطّعَ مـا بيني وبين النّـوائِبِ

61 ـ يرى أن ما مـا بانَ منـك لضاربٍ
بـأقتـلَ ممّـا بـان منـكَ لعـائبِ

ينظر إلى قول أبي تمام:

فَتىً لا يـرى أنّ الفريصـةَ مقتلٌ
ولكن يـرى أنّ العُيوبَ المقـاتِـلُ

62 ـ ألا أيّهـا المـالُ الـذي قـد أبـادَهُ
تعـزّ فهـذا فعلُه بـالـكتـائـب

يشبه قول بعضهم:

فعلتْ بمالِكَ فيهِ كفّكَ مثلَما
فعلتْ سيوفُكَ في الطّلا والهامِ

63 ـ حمالة ذا الحُسام على حُسامٍ
وموقع ذا السّحاب على سحاب

صدر البيت من قول ابن الرومي:

سيفٌ ترداه سيف غير ذي طَبَعٍ
كأنما الرُّمحُ يمشي في حمائلِهِ

وعجزه من قول البحتري:

سقى جوده جود السحاب ومن رأى
حيا ماطرٍ تسقيه ديمة ماطِرِ

64 ـ وما ينفَكُّ منكَ الدّهرُ رَطباً
ولا ينفكُّ غيثُكَ في انسكابِ

هذا ينظر إلى قول العكوك:

وحميدٌ يَجودُ في كلِّ حينٍ
ولقَطْرِ النداء وقتٌ وحينُ

65 ـ فديناكَ أهْدى النّاسِ سهماً إلى قلْبي
واقتلَهُمْ للدّارعينَ بلا حَرْب

ينظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة:

بنفسِيَ من أشتكي حُبَّه
ومن إن شكا الحبّ لَمْ يَكْذِبِ

وَمَــنْ لا ســلاحَ لــه يــتّــقــي
وإنْ هُــوَ قــاتــلَ لــم يــغــلــب

66 ـ تفـرّدَ بـالأحكـامِ في أهْلِه الْهَـوى
فأنتَ جميلُ الخلق مستحسنُ الكذب

ينظر إلى قول مسلم:

تكـذبُ في الوعـدِ كلّما وعـدت
حتى صـرتُ أشـتهـي الكــذبــا

67 ـ وإني لممنـوع المقاتـل في الوَغى
وإن كنتُ مبذول المقاتلِ في الحبِّ

ينظر إلى قول أبي دُلـف:

إنّــا بـأسْيــافِنـا نعْلُو أكــابــرَنــا
قهـراً وتقتلُنا الـوِلْدانُ بـالمُقل(49)

68 ـ لا يــحــزن الله الأمـيــر فــإنّــني
ســآخــذ من حــالاتــه بنصيـب

هذا البيت ينظر إلى قول أبي تمّام بل منه:

وسألتَ عَنْ حالي فسَلْ عن حالِهِ
دوني فحـالي قـطعـةٌ من حـالِـهِ

69 ـ يـعــز عـليــه أن يـخــلّ بـعــادةٍ
وتـدعـو لأمـرٍ وهْـوَ غيــر مُجيب

ينظر إلى قول الديك في جاريته:

---

(49) المنصف: 534.

أَلاَ تُجيبينَ مَن يدعوكِ باسْمكِ يا
مَنْ كـانَ عـزَّ علَيْهـا أنْ أُنـاديهـا

وقال متمم بن نويرة:

وإني متى ما أدع باسمك لا تجب
وكنت حَـرِيـاً أن تُجيبَ وتَسْمَعـا

70 ـ كفى بـصَفـاءِ الـوُدِّ رِقّـاً لـمثـلِهِ
وبـالقـربِ منـهُ مفخـراً للبيب

ينظر إلى قول ابن دريد:

حـرٌّ تعبَّـدَهُ اصـطنـاعُـكَ عنـدَهُ
ولشـر أحـرارِ الـرجـالِ عبيـدُه

71 ـ علينـا لكَ الإسعـادُ إن كانَ نـافِعاً
بـشقّ قـلوبٍ لا بـشَـقّ جيـوب

أخذه من قول أبي تمّام:

شقّ جيـوباً من رجـالٍ لـو اسطا
عـوا لشَقّـوا مـا وراءَ الْجُيـوبِ

وقال الوأواء:

ليسَ بالحزنِ أن تشقّ جيـوبٌ
إنّما الحزْنُ أن تشقّ الصّـدورُ

وأنشد ابن الرومي لنفسه:

ومِنْ دونِ ما ألقاهُ من لوعةِ الهَوَى
تُشقُّ جيـوبٌ بَـلْ تُشـقُّ قُلوبُ

72 ـ إذا استقبلتْ نفسُ الكريم مُصابَهـا
بُخْبثٍ ثَنتْ فـاستـدبـرتْـهُ بـطيبِ

ينظر إلى قول عبد الصمد بن المعذل:

دللت نفسي لـروعـات الـردى
وفجعـات البَيْن حتّى ما تـروع (؟)

ويشبه قوله:

وهـا أنـا مـا أبـالي بـالـرّزايـا
لأنّي مـا انتـفعـت بـأنْ أُبـالي

73 ـ فَـدَيْناكَ مِنْ ربـعٍ وإن زدتَنا كَـرْبا
فإنّكَ كنتَ الشّرقَ للشمسِ والغربا

سلك أبو الطيب مسلك أبي نواس:

ترى حيثُما كانتْ من البيتِ مشرقا
وما لم تكنْ فيهِ من البيتِ مغربا

74 ـ نـزلْنـا عنِ الأكـوارِ نَمشي كـرامَـةً
لمَنْ بـانَ عنـهُ أن نلمَّ بـهِ رَكْبـا

ينظر إلى قول أبي تمام:

دارٌ أجلّ الهوى عن أن ألمّ بها
فـي الـرّكب إلاّ وَدَمْعي مِنْ مَنائِحِهـا

75 ـ ومن صحب الـدنيا طـويـلاً تقلّبت
على عينه حتى يرى صدقها كذبا

كقول الحكيم: ترداد حركات الملك تحيل الكائنات عن حقائقها.

76 ـ وخلّى العَـذارَى والبطارِقَ والقُـرى
وشُعْثَ النّصارى والْقرابينَ والصُّلْبا

ينظر إلى قول أبي تمام:

أحْذَى قرابينَهُ صرْف الرّدى ومضَى
يحتث أنْجى مطاياهُ على الهَرَبِ

77 ـ ويختلفُ الـرِّزقـانِ والفعــلُ واحـدٌ
إلى أنْ تَرى إحسان هذا لذا ذنبا

هذا من قول ابن دريد:

أرى السّببَ المدني السَّعيدَ إلى الغِنى
بـهِ يمنـعُ المــرءُ الشقي ويُحْـرَمُ

78 ـ تصُـدّ الريـاحُ الهوجُ عنهـا مخافـةً
وتفزعُ فيها الطيرُ أن تلقطَ الحَبّا

ينظر إلى قول الآخر:

وكـانتْ لا يـطيــرُ الـطيْــرُ فيهـا
ولا يــسـري بهــا لـلجنِّ ســار

79 ـ لأمــرٍ أعـدّتْــه الخـلافَــةُ للعِــدى
وسمته دون العالم الصارم العَضْبا

يجانس قول مسلم:

حـاطَ الخِلافةَ سيفٌ مِنْ بني مُضرٍ
أقـامَ قـائمُــه مَنْ كـانَ ذا ميــل

80 ـ ولكن نفــاهـا عنــه غيـر كـريمـةٍ
كريم الثّنا مـا سُبّ قطّ ولا سَبّا

[مأخوذ] مما أنشده أبو تمّام في حماسته:

يـا أيُّهـا المُتَمنّي أن يكـونَ فتىً
مِثْلَ ابنِ زيدٍ لَقَدْ خَلّى لك السُّبُلا
اعــدُدْ ثلاثَ خلالٍ قد عرفن به
هل سَبّ مِنْ أحدٍ أو سُبّ أو بخِلا

وفيما أنشده أبو تمام زيادة وهي نفي البخل عن ممدوحه.

81 ـ وإن كـان ذنبي كـلّ ذنبٍ فـإنّـه
محا الذّنب كل المحو من جاء تائبا

من قول الأول:

إذا اعتذرَ الجاني محا العذْرُ ذنبَهُ
وكلُّ امرىءٍ لا يقبَلُ العُذْرَ مذنِبُ

82 ـ وكَيْفَ تَنـوبُـكَ الشّـكْـوى بـداءٍ
وأنتَ المستغـاثُ لِمـا يَنـوبُ

ينظر إلى قول بعضهم:

وأنتَ طبيبٌ للخـطوب فـداوهـا
إذا حـدثت أدواؤهـا بـدوائهـا

وقد أخذه من قول جرير:

إذا مـرضـت قلوبـهم شفـاهـا
نِـطاسـيٌّ بـدائـهـمُ طـبـيـبُ

وقد أخذ منه أيضاً أبو تمّام:

كـان داءَ الإشـراك سيفُـك واشـ
ـتدّت شكاةُ الْهُـدى فكُنْتَ طبيبا

84 ـ فـقـرّظـهـا الأعـنّـة راجعـاتٍ
فـإنّ بعيـدَ مـا طلبت قـريـبُ

من قول بعضهم:

تـرى بعيـد الشيء كـالقـريب

84 ـ بسيفِ الـدولـةِ الـوَضّـاءِ تُمسي
جُفـوني تحتَ شمسٍ مـا تغيبُ

عجزه من قول البحتري:

كـالبـدرِ إلاّ أنهـا لا تـجتلي
كـالشمس إلاّ أنـهـا لا تغْـرُبُ

85 ـ ولـلحسّـادِ عـذرٌ أن يـشحّـوا
على نَـظَري إليـه وأنْ يـذوبـوا

ينظر إلى قول بعضهم:

واعذر حسودَك فيمـا قد حكاهُ لَنا
إنّ العُلا حسنٌ في مثلِها الحسَدُ

86 ـ فـإنّـي قَـدْ وصلتُ إلـى مكـانٍ
عليـهِ تحسـدُ الْحـدَقَ القلوبُ

من قول بعض الأعراب:

أنـافس من ناجـاك مقـدار لفـظة
ويعتـادُ نفسي إن نـأيْتَ حنينُهـا

وإن وجوهاً تصطفيها بنظرة
إليكَ لمحسودٌ عليكَ عيونُها

87 ـ وما تركوكَ معْصيةً ولكنْ
يُعافُ الورْدُ والمَوْتُ الشّرابُ

ينظر إلى قول القائل:

كهجْرِ الحائماتِ الورْدَ لمّا
رأَتْ أنّ المنيةَ في الوُرودِ

تفيض نفوسُهمْ غمّاً وتخْشَى
حِماماً فهْيَ تنظر منْ بَعيدِ

88 ـ فقاتَلَ عن حريمهم وفَرّوا
ندى كفيّكَ والنّسبُ القُرابُ

ينظر إلى قول منصور النمري:

عطفتَ بأحلام الملوك وناشَدَتْ
لهم رحمٌ ما زلْتَ منْها ترمّم

89 ـ تُكَفكِفُ عنْهُمُ صمّ العوالي
وقدْ شرِقَتْ بظُعْنِهِم الشّعابُ

ينظر إلى قول بعضهم:

رددت القَنا ظمْآنَ عنهم وأُغمِدتْ
على جفْنِها بيضُ السُّيوفِ الْبواتِرِ

90 ـ وليسَ مصيرُهنّ إليكَ شيناً
وَلا في صونهنّ لديْكَ عابُ

ينظر إلى قول النابغة الذبياني:

قـدْ عيّـرتْني بَنـو ذبْيـانَ خشْيتَـهُ

وهـل علي بأن أخشـاهُ منْ عار

91 ـ وكيفَ يتمُّ بأسُكَ في أُنـاسٍ

تُصيبُهُمُ فيؤلمـكَ الـمُصـابُ

من قول منصور النمري في الرشيد وبني علي:

ومـا بطشتْ كفّاكَ منهُمْ بمُذْنبٍ

بـطشْتَ بِـهِ إلاّ وقَلْبُـكَ يـألَمُ

92 ـ وإنّـهُمْ عـبـيـدُك حـيـثُ كـانـوا

إذا تَـدْعـو لحـادثـةٍ أجـابـوا

ينظر إلى قول ابن أبي عيينة:

ومِنْ قحطانَ كُـلُّ أخي حفـاظٍ

إذا يُـدْعـى لـحـادِثـةٍ أجـابـا

93 ـ وجُـرْمٍ جَـرَّهُ سُـفـهـاءُ قـومٍ

وحَـلَّ بغَيْـرِ جَـارِمِـهِ العـذابُ

ينظر إلى قول امرئ القيس:

وَقـاهُـمْ جَـدُّهُـمْ بِبَـنـي أَبـيـهِـمْ

وَبـالأَشْـقَيْـنَ مـا كـانَ ٱلْـعَـذابُ

ومثله لغيره:

رأيتُ الحـرْبَ يَجْنـيهـا رِجـالٌ

ويَـصْـلَى حَـرَّهـا قَـوْمٌ بَـراءُ

94 ـ فـمـسّـاهُـمْ وبُـسْـطهُـمُ حـريـرٌ

وصـبّـحـهُـمْ وبُـسْـطهُـمُ تـرابُ

ينظر إلى قول أبي تمّام:

راحـــوا مُـــلوكـــاً ضِـــرابـــكُـــم
يومَ الوغى خـولاً للأَعْبُـد الخول

95 ـ ومـن فـي كـفّــه مـنـــهـم قـنـــاةٌ
كمَنْ في كفّــه منهم خِضــابُ

من قول زهير بن أبي سلمى:

ومـــا أدْري وسوْف إخـــالُ أدري
أقــومٌ آلُ حــصــنٍ أم نِــســاءُ

ومنه أخذ أيضاً مسلم قوله:

بـوجـوه لا يعــرف العتق فيهـا
وصـــدورٍ فــيهـــا قــلوب النّســاء

96 ـ أجـلُّ قـدركِ أن تسمي مؤبّنـــةً
ومن يصفْـكِ فقد سَمّـاكِ للعربِ

ينظر إلى قول ابن الرومي:

يــا مَنْ إذا نــاديتُــه بـصفــاتِـهِ
دونَ اسمِـهِ بـالغتُ في تعــريفِـهِ

97 ـ طَـوى الجزيـرةَ حتّى جـاءَني خبـرٌ
فـزعتُ فيهِ بـآمالي إلى الكَـذِبِ

ينظر إلى قول مسلم:

وأخـادعُ السّمْعَ الـذكي وقد أتى
خــبــر ألــمّ بــصـــادقٍ لا يُــدْفَــعُ

98 ـ ومن مضتْ غيــر موروث خــلائقُها
وإن مضت يدها مــوروثة النّشَب

ينظر إلى قول ابن الرومـي:

ومن كثُـرَتْ في مـالِـهِ شُـرَكــاؤُه
غَـدا في معانيـهِ قليـلَ المُشـارِكِ

99 ـ يعلمْنَ حين تُحَيّــا حسن مَبْسِمِهـا
ولـيسَ يعـلـم إلاّ اللّهُ بــالـشّنَـب

ينظر إلى قول الشاعر:

لا والــذي يسجــد الأنــامُ لــه
مــا لي بمـا دونَ ثــوبِهـا خَبَــرُ
ولا بـفِـيـهــا ولا هـمـمـتُ بـــهِ
مــا كـان إلا الحــديثُ والنــظَرُ

100 ـ وأكـرم النـاسِ لا مستثنيـاً أحـداً
من الكرامِ سِوَى آبـائك النّجُبِ

من قول النابغة:

ولا أرى فاعلاً في الناسِ يشبهُهُ
ولا أحاشي من الأقوامِ من أحَدِ

101 ـ وعـاد في طلب المتـروكِ تـاركـه
إنّــا لنغفــل والأيّــام في طــلب

قوله: إنا لنغفل، ينظر إلى قول ديك الجن:

نــغـفــل والأيــام لا تــغــفــل
ومــا لــنــا مــن زمــن مــوئــل

102 ـ ولا يـعـن عــدواً أنـت قــاهِــرُه
فـإنهنّ يصِـدْن الصّقـرَ بـالخـرَب

قال ابن الرومي:

ما انفكّ تـدبيره يجـري عَلَى مَهَلٍ
حتّى غدا الصقرُ منصوراً على الخرَبِ

103 ـ وطــوعــاً لــهُ وابـتـهــاجــاً بِــهِ
وإن قصّــرَ الفعــلُ عمّــا وجَبْ

ينظر إلى قول ابن المعتز:

يـقـصــر جـهــدي عـن شُـكــرِهِ
ولـــســت أقــصّـــر عـــن حُــبّــه

104 ـ أزورهُمْ وسـوادُ الليلِ يشفـعُ لي
وأنْثني وبياضُ الصُّبْح يُغـري بي

هـذا البيت صحيح المبنى مليح المعنى ولكنه مـوجود في شعـر عبدالله بن المعتز:

لا تلْقَ إلا بليــلٍ مـن تــواصلُهُ
فـالشمسُ نمّـامــةٌ والليـلُ قــوّادُ

105 ـ أفـدى ظباء فـلاةٍ مـا عـرفْنَ بِهـا
مضغَ الكلامِ ولا صَبْغَ الحواجيب

عاب أبو الطيب مضغ الكلام وغيره يستحسنه ويمدح به النساء لأنه منهن أوقع في النفوس من الفصاحة والإعراب، وقد قال أسماء بن خارجة:

مـنــطقٌ عــاقــل وتلحـن أحيــا
ناً وخيْرُ الكلامِ ما كـان لَحْنا

106 ـ ومِنْ هَوى كلِّ منْ ليسَتْ مموّهةً
تركتُ لونَ مشيبي غير مخضُوبِ

هذا ينظر إلى قول ابن الرومي:

كـذب الغواني في سَـوادِ عِـذارِه
وكــذبنــه فــي ودهــنّ كــذاكــا

107 ـ ليت الحوادث باعتني الذي أخذت
مني بحلمي الذي أعطت وتجريبي

ينظر إلى قول أبي تمّام:

حـلمَـتْـنِـي بــزَعْـمِـهــمْ وأرانـي
قبـلَ هـذا التّحليم كنتُ حَليمــا

108 ـ فمـا الحـداثـة من حلمٍ بمـانعـةٍ
قدْ يوجدُ الحِلْمُ في الشبّانِ والشّيبِ

هذا البيت يساوي قول منصور النمري:

ومـا قصّرتْ بـالرأي منـهُ حداثـةٌ
ولا مـنـعَـتْـهُ أن يـقــالَ حَـلـيـمُ

وقال آخر:

إن الــحــداثــة لا تــقــصــر
بــالــفــتــى الــمــرزوق ذهــنــا
لــكــن تــزكّــي ذهــنَــهُ
فــيــفــوقُ أكــبــرَ مــنْــهُ سِــنّــا

109 ـ مجـرّبـاً فهمـاً من قبـلِ تجـربَـةٍ
مهـذّبـاً كَـرماً من قبـلِ تهـذيب

ينظر إلى قول ابن الرومي:

حازم الرأي ليسَ عن طول حزم
ولبيبٌ وليس عن تَلْبيبِ

110 ـ كأنّ كل سؤالٍ في مسامِعِه
قميصُ يوسف في أجفان يعقوبِ

هذا البيت مأخوذ من قول الوائلي:

كأن كل سؤالٍ في مسامِعِه
قميص يوسف في أجفان والدِهِ

111 ـ إذا غزته أعاديهِ بمسألةٍ
فقدْ غزتْهُ بجيشٍ غير مَغْلوبِ

ينظر إلى قول أبي تمام:

إذا ما أغاروا فاحتووا مال معشرٍ
أغارتْ عليهِ فاحتوته الصّنائع

112 ـ أضرتْ شجاعتُه أقْصى كتائبِهِ
على الحمامِ فما موتٌ بمرهوبِ

ينظر إلى قول العكوك:

فتىً علّمَ الإعطاءَ كل مبخّلٍ
وإقدامَ يوم الرّوْع كلّ جبانِ

113 ـ بلى يروع بذي جيشٍ يجدّلُهُ
ذا مثلِهِ في أحَمّ النّقع غربيبِ

ينظر إلى قول أبي تمّام:

غـــاديتهم بـــالمشـــرقين بـــوقعـــةٍ
صـدعتْ صواعقُهـا جِبالَ الـرُّومِ
114 ـ يـهْـوِي بمنجـردٍ ليست مــذاهِبُـه
للبس ثـوبٍ ومـأكــول ومشـروب

من قول امرىء القيس:

ولـــو أنمـا أسعى لأدنى معيشـــةٍ
كفاني ولم أطلُبْ قليلٌ من المالِ
ولكنمـــا أسعى لمـجــدٍ مؤثّــلٍ
وقدْ يُدركُ المجْدَ المؤثّلَ أمثـالي
115 ـ حتّى وصلْتَ إلى نفْسٍ محجَّبَــةٍ
تلْقى النفوسَ بفضْلٍ غَير محجوبِ

ينظر إلى قول أبي تمّام:

من البيضِ محجوبٌ عن السّوء والْخَنا
ولا تحجبُ الأنواءَ من كفّه الحُجْبُ
116 ـ وكيف أكفـرُ يـا كــافـورُ نعمتَهـــا
وقَـدْ بلغْنكَ بي يـا كلّ مـطلوبِ

مأخوذ من قول أبي نواس:

وإذا المـــطي بنـا بلغْنَ محمّــداً
فـظهورهنّ على الـرّجـالِ حَـرامُ
قرّبْنَنا مِنْ خيرِ مَنْ وطىء الحصى
فـلهـــا علينـــا حُــرْمــةٌ وذِمـــامُ

117 ـ أنتَ الحبيبُ ولكنّي أعوذُ بـهِ
من أن أكونَ مُحِبّاً غَيْـرَ مَحْبوبِ

ينظر إلى قول أبي تمّام:

كم من عدوٍّ قال لي متمثّلاً:
كَمْ من وَدودٍ ليسَ بالْمَوْدودِ(50)

وقال غيره:

ومن الضيم في هوى البيضِ عِنْدي
أن يودّ الإنسانُ مَنْ لا يوَدّه

118 ـ أغالِبُ فيكَ الشّوقَ والشّوقُ أغلبُ
وأعجبُ من ذا الوصلِ والهجرُ أعجبُ

صدر هذا البيت من قول الخبزرَزّي:

أغالبُ فيكَ الشوق والشوقُ غالِبي
وأكتمُ ما بي عن خليلٍ وصاحِبِ

119 ـ ويومٍ كليل العاشقينَ كمنتُهُ
أراقبُ فيه الشمسَ أيانَ تَغْرُبُ

من قول ابن المعتز:

أدهم مصقول سواد الجسم
قد سمدت جبهته بنجم

120 ـ وأخلاق كافورٍ إذا شئتُ مدحَهُ
وإن لم أشأ تملي علي وأكتبُ

(50) ديوان أبي تمام 1 :391 وفيه: ولكم عدوٍّ.

ينظر إلى قول ابن الرومي:

فلقد وجدتُ لِمَنْ مدحتُ مآثِراً
مِنْ مثلِها يفْنى المديحُ وينسخُ
فجميــع مـا حليتُــه من منــطقٍ
حسنٍ فمِنْ أفـعـالِـهِ مُسْـتسلخُ

121 ـ إذا تــركَ الإنســانُ أهــلاً وراءَهُ
ويمّمَ كــافــوراً فـمــا يتـغَــرّبُ

ينظر إلى قول البحتري:

ومـثــل نــداك أدهلني خـليـلي
وأكْـسَبَـنـي سـلوّي عـنْ بــلادي

122 ـ تـزيـدُ عـطاياهُ على الغيثِ كثـرةً
وتلبث أمــواه السّحــابِ فتنضبُ

ينظر إلى قول أبي تمام:

ثم انصرفْتَ ولم تلْبَثْ وقَدْ لبِثَتْ
سَماءُ عذْلِكَ فيهِمْ تُمطِرُ الـدِّيَما

123 ـ أحنّ إلى أهْلي وأهـوى لقـاءهُمْ
وأينَ من المشتـاقِ عنقاءُ مُغْـرِبُ

عجزه من قول الحارث:

تـقــطّعـت الأرحــامُ إلاّ أقـلّهــا
وطارتْ بذاكَ الـوُدِّ عنقاءُ مُغْـرِبُ

124 ـ فإن لم يكن إلاّ أبو المسكِ أوْهم
فـإنّكَ أحلى في فؤادي وأعـذَبُ

هذا البيت من قول البحتري:

أأتّخذُ العراقَ هوىً وداراً
ومَنْ أهواهُ في أرض الشآمِ

فلولا عزّةُ الملِكِ المرَجّى
لآثرتُ الْمَسيرَ على المُقامِ

125 ـ وكل امرىءٍ يولي الجميلَ محبّبٌ
وكلُّ مكانٍ يُنْبِتُ العِزّ طيّبُ

صدر هذا البيت من قول ابن أبي القين:

ومحبّبينَ إلى القلوبِ سَماحةً
إنَّ الكريمَ إلى القُلوب مُحبّبُ

126 ـ وأظلَمُ أهلِ الظّلْم مَنْ باتَ حاسِداً
لمن باتَ في نعمائِه يتقلّبُ

هذا البيت ينظر إلى قول ابن الرومي:

. . . .
من بتُّ في نعمائه أتقلّبُ

127 ـ وكنت له ليث العرين لشبلِهِ
ومالك إلّا الهندواني مخلب

عجزه ينظر إلى قول البحتري:

كالليث إلا أن هذا ضاربٌ
بمهنّدٍ ذكرٍ وذاك بمخْلَبِ

128 ـ لقيت القنا عنهُ بنفسٍ كريمةٍ
إلى المَوْتِ في الهيجا من العارِ تهربُ

ينظر إلى قول العكوّك:

فَتىً يتّقي مـأثورَ مـا يتّقي الفَتى
ويغْشى الْمَنـايـا والـرّمـاحُ دوامي

129 ـ وقـد يتركُ النّفس التي لا تهـابُـهُ
ويـخـتـرم الـنّفسَ الـتي تـتهـيّبُ

ينظر إلى ما أنشده معاوية في بعض بني:

كـأنّ الـجـبـانَ يَـرى أنّـهُ
يـدافِـع عـنْـه الفـرارُ الأَجَـلْ
فقـدْ تُـدرك الحـادثـاتُ الجبـانَ
ويسلمُ منهـا الشجـاع البَـطَلْ

130 ـ ويُغنيـكَ عمّـا ينسب النـاسُ أنّـه
إليـكَ تناهى المكـرمـاتُ وتنْسبُ

هذا من قول عامر بن الطّفيل:

فمـا سَـوّدتنـي عـامِرٌ عن وراثَـةٍ
أبى اللّهُ أن أسْمـو بـأمٍّ ولا أبِ

131 ـ فشـرّق حتّى ليسَ للشّرقِ مشـرقٌ
وغرّب حتّى ليس للغربِ مغـرِبُ

ينظرُ إلى قول أبي تمّام:

وغرّبْتُ حتى لم أجِدْ ذكرَ مغرِبٍ
وشرّقتُ حتّى قد نسيتُ المغـارِبا

132 ـ إذا قلتُـهُ لَمْ يمتنِـعْ مِنْ وُصُـولِـهِ
جـدارٌ مُعَلّى أو خِبـاءٌ مـطَنّبُ

ينظر إلى قول ابن الجهم:

فسارَ مسيرَ الشمسِ في كلّ بلدةٍ
وهبَّ هبوبَ الريحِ في البَرِّ والبَحْرِ

133 ـ ليـاليَ عنْـدَ البيضِ فَـوْدَايَ فِتنـةٌ
وفخـرٌ وذاكَ الفَخْرُ عنـديَ عـابُ

هذا معكوس قول بعضهم:

أصبحتُ شيخـاً له صمتٌ وأبهـةٌ
يـدعونني البيضُ عمّـاً تـارة وأبـا
وتلكَ دعـوةُ إجـلالٍ وتكـرمـةٍ
وددت أني معتـاضٌ بـهـا لَقَبـا

134 ـ جَلا اللّونَ عنْ لونٍ هدى كلّ مسلكٍ
كما آنجابَ عن ضوءِ النهار ضَبابُ

ينظر إلى قول الفرزدق:

والشّيبُ ينهضُ في الشّبابِ كأنّـهُ
ليـلٌ يصيـحُ بجـانبيـه نـهـارُ

135 ـ وإنّي لنجمٌ تهتـدي صحبتي بِـهِ
إذا حالَ من دون النجوم سَحابُ

ينظر إلى قول ابن دريد:

لـم يـهـدِه النّجـم ولكـنـه
بسَيْـره نجم الـهُـدى مقْتَـدي

136 ـ غَنِي عن الأَوْطـان لا يستفـزّني
إلى بلدٍ سـافرتُ عنـهُ إيـابُ

ينظر إلى قول علي بن الجهم:

لا يمنعنّك خفض العيشِ تطلبه
نزوع نفسٍ إلى أهل وأوطانِ
تلقى بكلّ بلادٍ إن حللتُ بِها
أهلاً بأهلٍ وجيرانا بجيران

137 ـ تركنا لأطراف القنا كلّ شهوةٍ
فليسَ لَنا إلاّ بهنّ لعاب

ينظر إلى قول الأول في عامر ابن الطفيل:

ولاعبَ أطرافَ الأسنّةِ عامِرٌ
فصارَ لهُ حظ الكتيبة أجمع

138 ـ أعزّ مكانٍ في الدّنا سرج سابحٍ
وخير جليسٍ في الزمان كِتابُ

ينظر إلى قول الجاحظ:

نعْمَ المحدّث والجليسُ كِتابُ
تلهو بِهِ إن خانكَ الأحبابُ
لا يفشين سرّاً إذا حدثتَهُ
ويفادُ منهُ حكمةٌ وصَوابُ

ولابن المعتز:

جعلْتُ كتبي أنيسي لأني
لستُ أرضى إلاّ بكل نَفيس

139 ـ تجاوز قدْرَ المدحِ حتى كأنّه
بأحسن ما يُثنى عليهِ يعابُ

ينظر إلى قول البحتري:

جلّ عن مذهب المديح فقد كا
دَ يصيرُ المديحُ فيهِ هجاء

وقال الخبزرزي:

من كان مادح من كانت فضائله
تقابلُ المدحَ فَضْلاً فَهْو هاجيه

140 ـ وأكثرُ ما تلْقى أبا المسكِ بذلةً
إذا لم تصن إلّا الحديدَ ثيابُ

ينظر إلى قول أبي المعتصم:

يصانُ إلّا عن ظُبا
الْبيضِ وأطرافِ الْقَنا
وصونُها مبتَذَلٌ
للموتِ في يومِ الْوَغى

141 ـ أيا أسَداً في جسمِهِ روحُ ضَيْغمٍ
وكم أسُدٍ أرواحهنّ كِلابُ

مأخوذ من قول أبي تمام:

أسرى بنو الإسلام فيهِ وأدْلَجوا
بقلوبِ أسدٍ في صدور رِجالِ

142 ـ لنا عند هذا الدّهْر حق يلطّه
وقد قلّ إعتابٌ وطالَ عِتابُ

من قول أبي العتاهية:

إذا استعتب المرءُ الحوادث لم يَجدْ
لمسْتَعْتِبٍ عنْدَ الحوادثِ إعْتابا

وأصل هذا من قول أبي ذؤيب:

أمِنَ المَنونِ وريبِها تتوجّعُ
والدهْرُ ليسَ بمعتبٍ من يَجْزَعُ

144 ـ ولا ملك إلاّ أنت والملْكُ فَضْلَةٌ
كأنّكَ سيفٌ فيهِ وهو قُرابُ

ينظر إلى قول مسلم:

وإني وإسماعيلَ يوم وداعِهِ
لكا لِغمْدِ يوم الرّوعِ فارقه النصْلُ

145 ـ وفي النّفْسِ حاجاتٌ وفيكَ فطانةٌ
سكوتي بيانٌ عندَها وخطابُ

ينظر إلى قول العرزمي:

وإذا طلبتَ إلى كَريمٍ حاجةً
فلُقيهُ يَكْفيكَ والتسليمُ

وقول الآخر:

أروحُ بتسليمٍ عليكَ وأغتدي
وحسبُكَ بالتسليمِ منّي تقاضِيا

146 ـ وإنّ مديحَ الناسِ حقٌّ وباطِلٌ
ومدْحُكَ حقٌّ ليسَ فيهِ كِذابُ

هذا البيت يشبه قول أبي القين:

إذا قـال فيهم مادِحٌ قـالَ صادقـاً
وما كلُّ ذي مدْحٍ إذا قالَ صادِقا

وقال ابن دريد:

إذا مـادِحٌ أثنى علـيـك فـإنّـه
يقـول ولـو أرْبى بمـا يتقـولُ

147 ـ إذا نلتُ منك الوُدّ فـالكـلُّ هَيّنٌ
وكـل الذي فـوقَ التـرابِ تـرابُ

من قول الأول:

لكـل اجتمـاع من خليلين فـرقـةٌ
وكـلّ الذي فـوق التـرابِ تُـرابُ

148 ـ ومـا كنت لولا أنت إلّا مهـاجـراً
لـه كـلّ يـومٍ بلدةٌ وصِحـابُ

من قول أبي البصير:

يـا فتـحُ دعـوةَ بـائـعٍ أوطـانَـهُ
بـذراك لـولا أنت لم يـتغـرّب

149 ـ ولكنّـك الـدنيـا إليّ حَـبيبَـةٌ
فمـا عَنْكَ لي إلّا عليْكَ ذهابُ

يشبه قول القائل:

روحي وقلبي في يـديـك وإنّمـا
أنت الحيـاة فأينَ عنـك المَهْرَبُ

150 ـ لا جـزعـاً بـل أنفـاً شـابَـهُ
أن يقـدرَ الـدّهْـرُ على غَصْبِـهِ

ينظر إلى قول البحتري:

ما كنتُ أحسبُ أنّ بَحرك يُرْتَقى
بـالنّـائبـاتِ ولا حِمـاكَ يُـرامُ
قَـدَرٌ عَدَتْ فيـه الحـوادث طـورَهـا
وتـجـاوزت أقـدارَهـا الأيّـامُ

151 ـ وإنّ مـن بـغـدادُ دارٌ لَـه
ليس مقيمـاً في ذرى عَضبِـهِ

ينظر إلى قول الحصني:

وقـوفُـكَ تحتَ ظِـلال السيـوف
أقـر الـخـلافـة فـي دارِهـا

152 ـ لا بـدّ لـلإنسـانِ من ضَجْعـةٍ
لا تقلبُ المضجـع عن جَـنْبِـهِ

يقرب من قول أبي تمّام:

أنوحَ بن عمرو إن مـا حُمّ واقِعٌ
ولـلأجْنُبِ المسْتَعْلَياتِ مصـارِعُ

وقال مسلم:

فـاصعَدْ إلى الغـرفاتِ يـومُكَ واقـعٌ
بـالشّـامِتِينَ لِكـلِّ جَنْبٍ مَصْـرَعُ

وقال البحتري:

هـجـود لم يـسـل بهـم حفـي
ولم تقـلبْ لضـجعـتهـم جُنـوب

153 ـ أستغفر اللَّهَ لشخصٍ مَضَى
كانَ نداهُ منتهى ذَنْبِهِ

سلك فيه أبو الطيب مسلك النابغة في قوله:

ولا عيبَ فيهمْ غيرَ أنّ سيوفهم
بهنّ فلولٌ من قِراع الكتائب

فجعل عيب السيوف من قراع الكتائب كما جعل أبو الطيب ندى المتوفاة ذنْبَها.

154 ـ يريد من حب العلى عيشه
ولا يريد العيش من حُبّه

ينظر إلى قول الحمّاني:

لولا الصنائع لم أحفِلْ متى هتفت
باسمي المنون ولولا الخرد العينُ

155 ـ يحسبُهُ دافنُهُ وحدَهُ
ومجدُهُ في القبْرِ من صَحْبِهِ

من قول زياد الأعجم:

إن السّماحةَ والمروءَةُ ضُمّنا
قَبْراً بمروٍ على الطريق الواضِحِ

156 ـ ومَنْ بنوه زين آبائهِ
كأنّها النّورُ على قُضْبِهِ

قوله كأنها النّور على قضُبه ينظر إلى قول أبي تمام:

لمّا رأى أدباً في غيْرِ ذي كرمٍ
قد ضاعَ أوْ كرماً في غيرِ ذي أدبِ

سما إلى الرتبة العلياء فاجتمعا
في فعله كاجتماع النَّوْرِ والعُشُبِ

157 ـ ما كان عندي أن بدرَ الدّجى
يوحشه المفقود من شهبِهِ

ينظر إلى قول أبي تمام:

كأن بني نبهان يوم وفاتِهِ
نجومُ سماءٍ خرّ مِنْ بينها البَدْرُ

158 ـ ولم أقل مثلَك لأعني بِهِ
سواك يا فرداً بِلا مُشْبِهِ

ينظر إلى قول البحتري:

متى كان يأبى قدره أن يرى له
شبيه مساوٍ أو نظيرٌ مشاكِلُ

ـ 3 ـ

توقيفات المنصور السعدي
(اختياراته)(*)

- ولَـكَ الزمـانُ من الزّمـانِ وقـايـةٌ
ولـك الحِمامُ من الحِمـام فِـداءُ
- وهبني قلتُ هــذا الصُّبـحُ ليــلٌ
أَيَعْمى العــالمــونَ عن الضيــاء
- شَـغَـلْتَ قَـلْبي بـلَحْظِ عَـيْـنـي
إلـيــكَ عَنْ حُـسْـن ذا الـغِـنـاءِ
- إنَّ القتيـلَ مضـرّجـاً بـدُمــوعِـهِ
مثْلُ الْقتيـلِ مُضَـرّجاً بِـدِمَـائِـهِ
- المَوْتُ أَعْذرُ لي والصَّبْرُ أَجْمَلُ بي
والبَـرُّ أوسـعُ والـدُّنْيا لِمَنْ غَلَبَـا
- أرى كُلّنــا يبغي الحيـاةَ بِسَعْيِــهِ
حَريصاً عَلَيْهـا مُسْتهامـاً بِها صَبّـا
- ضُـروبُ النَّاسِ عُشّـاقٌ ضُـروبـاً
فـأعــذرهــم أشـقـهُـمْ حَـبـيـبـا

(*) آثرنا جمع الأبيات التي وقف عليها المنصور في هذه النسخة لما قد يكون لها من دلالة على ذوق المنصور واتجاهه.

- وَقَـدْ فَـارَقَ النَّـاسُ الأحِبَّـة قَبْلَنَـا
وَأَعْيـا دواءُ الْمَـوْتِ كُـلّ طَبيبِ
- فـربّ كئيبٍ ليسَ تَنْـدى جُفـونُـهُ
ورُبّ كثيـر الـدَّمْـعِ غَيْـرُ كئيب
- وفي تعبٍ مَنْ يحسُد الشمسَ نورَها
ويجْهَـدُ أَنْ يـأتي لَهـا بضَـريب
- وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ لنا
فؤاداً لِعـرْفـان الـرُّسـوم وَلاَ لُبّـا
- نَـزَلْنا عن الأَكْـوارِ نمشي كرامَـةً
لِمَنْ بـانَ عَنْـهُ أن نُلِمّ بـه رَكْبا
- أيَـدْري مـا أرابَـكَ مَنْ يُـريبُ
وَهَلْ تَرْقى إلى الْفَلَكِ الخـطوبُ
- يهـزُّ الجيشُ حـولَـكَ جـانبيـه
كمـا نَفَضَتْ جَنـاحَيْهـا العُقـابُ
- ومـا جهِلَتْ أيـاديـكَ البَـوادي
ولـكن ربّـمـا خفـي الـصَّـوابُ
- ومـا الخيـلُ إلاَّ كـالصَّـديقِ قليلةٌ
وإن كثُرتْ في عين من لا يُجرّبُ
- إذا لم تشاهدْ غيرَ حسن شياتِهـا
وأعضـائها فـالحسن عَنْـكَ مَغيّبُ
- وأظلم أهلِ الظُّلْم من بات حاسداً
لمَنْ بـات في نعمـائـه يتقلّبُ
- أعزّ مكانٍ في الدّنا سَرْجُ سابحٍ
وخيـر جليسٍ في الزمـان كتـابُ

- أنـا فـي أمَّـة تـداركـهـا الله
غـريـب كصـالـحٍ فـي ثمـودِ
- وَمَـا مـاضي الشَّبـابِ بِمُسْتَـرَدٍّ
وَلا يَـوْمٌ يَـمُـرُّ بِمُـسْتَـفـادِ
- أزورُهُمْ وَسَـوادُ الليلِ يشْفَـعُ لي
وأنثني وبياض الصّبحِ يُغْري بـي
- وَمِنْ هَوى الصِّدقِ في قَوْلي وعادَتِهِ
رَغِبتُ عَنْ شعَرٍ في الْوَجْهِ مَكْذوب
- فما الْحَدَاثَـةُ مِنْ حِلْمٍ بِمـانِعَـةٍ
قَدْ يوجَدُ الحِلْمُ في الشبَّانِ والشيبِ
- وفي النَّفْسِ حاجاتٌ وفيكَ فَطَانَةٌ
سُكـوتي بيـانٌ عِنْـدَهـا وخِـطَابُ
- إذا نِلْتُ منـك الودّ فـالكلُّ هيِّنٌ
وكـلّ الّذي فـوق التـرابِ تُـرابُ
- ومِنْ نكدِ الدُّنيا على الْحرّ أن يَرَى
عـدُوّاً لَـهُ مـا مِنْ صَـدَاقَتِـهِ بُـدُّ
- بـذا قضت الأيامُ مـا بينَ أَهْلِهـا
مَصـائبُ قوْمٍ عنـدَ قَوْمٍ فَـوائِـدُ
- نهَبْتَ منَ الأَعْمَارِ ما لَوْ حَوَيْتَهُ
لهُنّئتِ الـدُّنْيـا بـأنَّـكَ خـالِـدُ
- فأنْتَ حُسامُ المُلْكِ والله ضـارِبٌ
وأنتَ لـواء الـدِّين والله عـاقِـدُ
- ومن يجعل الضرْغامَ للصَّيدِ بـازَه
تصيّـدَه الضـرغـامُ فيمـا تَصَيّـدا

- إذا أنْتَ أكرمْتَ الكريمَ ملكتَهُ
وإن أنْتَ أكرمْتَ اللّئيمَ تمرّدا
- ووَضْعُ النّدى في موضع السّيف بالْعُلى
مُضِرٌ كوضع السّيف في موضع النّدَى
- فلا يَنْحَلِلْ في المجْدِ مالك كلّه
فينحل مجدٌ كان بالمال عقده
ودبّرْه تدبير الذي المجْدُ كَفّه
إذا حاربَ الأعداءَ والمالُ زندُهُ
فلا مجدَ في الدّنْيا لمن قلّ مالُه
ولا مالَ في الدُّنيا لمَنْ قلّ مجدُه
وفي النّاسِ منْ يَرْضَى بميْسور عيشِهِ
ومَركُوبُهُ رِجلاهُ والثوب جلده
- مَنْ عَلّم الأسودَ المَخْصِي مكرُمَةً
أقَوْمُه البيضُ أم آباؤه السّودُ
- ولا تحسبنّ المجدَ زقّاً وقينةً
فما المجْدُ إلاّ السّيفُ والفتْكةُ البكْرُ
- وتركُكَ في الدنيا دوياً كأنّما
تداولَ سَمْعَ المرءِ أنمله العَشْرُ
- وَمَنْ ينفِق السّاعاتِ في جَمْع مالِهِ
مخافة فقرٍ فالّذي فعَلَ الفَقْرُ
- فأقبلَها المُروجَ مُسَوّماتٍ
ضوامِرَ لا هزالَ ولا شيارُ
- تركتْ دخانَ الرّمث في أوطانِها
طلَباً لقومٍ يوقِدونَ العَنْبرا

- إذا اشْتَبَهَتْ دمـوعٌ فـي خـدُودٍ
تـبيَّـنَ مَنْ بـكى مـمَّنْ تَـبـاكـى
- فقَلْقَلْتُ بالهمّ الذي قلْقلَ الـحشـا
قـلاقِـلَ عيسٍ كلّهن قـلاقـل
- إذا قيلَ رفقاً قال للحِلْمِ موْضعٌ
وحلْم الفَتى في غيْر موضِعِه جهْلُ
- ونادى النَّدى بالنَّائمينَ عنِ السُّرَى
فأسْمَعهم هُبّوا فقَدْ هَلَكَ البُخْلُ
- وبـقـايـا وَقـارِهِ عـافت الـنَّـا
سَ فصـارَتْ ركانـةً في الْجِبـالِ
- لك يا منـازلُ في القلوب منازل
أقفـرتِ أنت وهنّ منـكِ أوائـل
- فـافخَرْ فـإنّ الناسَ فيـكَ ثـلاثَةٌ
مستعْـظِمٌ أو حـاسـدٌ أو جـاهِـلُ
- وإذا أتتـكَ مـذمّتي من نـاقصٍ
فهْي الشَّهـادة لي بـأني كـامِـلُ
- نصيبُـكَ في حَيـاتِـكَ منْ حبيبٍ
نصيبـكَ في منـامِـكَ من خَيـالِ
- خُذْ ما تَراهُ وَدَعْ شيئاً سَمِعتَ بِهِ
في طَلْعة الشّمسِ ما يغنيكَ عن زُحَلِ
- وقد وجدت مكان القول ذا سَعَةٍ
فـإن وجدت لسـانـاً قـائـلاً فَقُـل
- لعـلَّ عتبَـكَ محمـودٌ عـواقِبُـهُ
وربّمـا صحَّت الأجسـامُ بـالْعِلَلِ

- وليسَ يصحّ في الأذْهانِ شيءٌ
إذا احتاجَ النّهارُ إلى دليلِ

- ليالِيَ بعدَ الظّاعنينَ شُكولُ
طِوالٌ وليلُ العاشقينَ طويلُ
يبِنّ لنا البدْرَ الذي لا أريدُه
ويخفينَ بدْراً ما إليه سَبيلُ
وما عشْتُ من بعْدِ الأحبة سلوة
ولكنّني للنّائباتِ حَمولُ

- وما شَرَقي بالْماءِ إلّا تذكّراً
لماءٍ به أَهْلُ الْحَبيبِ نُزولُ
يحرّمُهُ لمع الأسِنَّة فَوْقَهُ
فليسَ لظمآنٍ إليه وُصولُ

- لا خيلَ عندكَ تُهْديها وَلا مالُ
فلْيُسْعد النطْقُ إن لم تُسْعد الحالُ

- لولا المشقّةُ سادَ الناسُ كلُّهم
الجودُ يُفْقِر والإقدامُ قتّالُ

- تريدينَ لقيان الْمعالي رخيصةً
ولا بدَّ دونَ الشّهدِ من إبر النّحلِ

- وخفوق قلبٍ لو رأيت لهيبَهُ
يا جنّتي لظننتِ فيه جَهَنّما

- شيخ يرى الصلوات الخَمْس نافِلةً
ويستحِلّ دم الحجّاج في الحَرَمِ

- وشبْهُ الشيءِ منجذبٌ إليهِ
وأَشْبَهُنا بدنيانا الطّغامُ

- إذا غـامَـرْتَ في شـرفٍ مـروم
فـلا تقنَـعْ بِمـا دونَ النّجـومِ
فـطعمُ المـوتِ في أمـرٍ حقيـرٍ
كـطعمِ المـوتِ في أمـرٍ عَـظيمِ
- ذو العقلِ يشقى في النَّعيم بعقلِهِ
وأخـو الجهالـةِ في الشّقاوةِ ينْعَمُ
- لا يسلَمُ الشرف الرفيعُ من الأذى
حتّى يـراقَ عَلى جـوانِبِـه الـدَّمُ
- والظلْمُ من شيم النفوسِ فإن تَجِدْ
ذا عـفَّـةٍ فـلعـلّةٍ لا يـظْلِمُ
- ومن البليـةِ عذلُ من لا يَـرْعوي
عن جهلِهِ وخـطابُ من لا يفْهَمُ
- ولـكـن الـغـيـوث إذا تـوالَـتْ
بـأرْضٍ مسـافـرٍ كَرِه المقـامـا
- وإذا كـانـت الـنُّفـوسُ كِبـاراً
تعِبَـتْ في مُـرادِهـا الأَجْسـامُ
- ولا كُتْبَ إلاَّ المشـرفيـةُ عِنْـدَه
ولا رُسُـلٌ إلاَّ الخميس العـرمْـرَمُ
- يا أعدلَ الناسِ إلاَّ في مُعامَلتي
فيكَ الخِصامُ وأنتَ الخصْمُ والحَكَمُ
أعيـدهـا نـظراتٍ منكَ صـادقـةً
أن تحسب الشحمَ فيمن شَحْمُه وَرَمُ
ومـا انتفاع أخي الـدنيا بنـاظـره
إذا استـوت عنده الأنـوارُ والظّلَمُ

- فالخيـلُ والليل والبيـداء تعـرفني
والحرب والضرب والقرطاس والقَلَمُ
- يـا من يعـزّ علينـا أن نفـارقَهُم
وجـدانُنـا كلَّ شيءٍ بعدكم عَـدَمُ
- إنْ كانَ سرَّكمُ مـا قالَ حـاسِدُنـا
فَمَـا لِجـرْحٍ إذا أرضـاكُمُ أَلَمُ
- كم تـطلبونَ لنا عيبـاً فيُعْجزكم
ويكـره اللّهُ مـا تـأتـون والكـرَمُ
- إذا تـرحلْتَ عن قوم وقـد قدروا
أنْ لا تُفـارِقهُم فـالـراحلونَ هُمُ
- وتعظم في عين الصغارِ صغـارها
وتصغُرُ في عين العظيم العـظائِمُ
- إذا ساءَ فِعْلُ المَرْءِ ساءتْ ظُنونُه
وصـدَّقَ مـا يعتـادُهُ مِنْ تَـوَهّمِ
- فأحسن وجهٍ في الوَرَى وجه مُحسنٍ
وأيـمن كـفّ فيـهمُ كـفّ مُنْعِـم
- لمن تطلبُ الدنيا إذا لم تردْ بِها
سـرورَ مُحِبّ أو إسـاءَة مُجْـرِمِ
- رضيتُ بمـا ترْضى بـه لي مَحَبَّةً
وقدتُ إليك النفْسَ قـودَ المُسَلِّم
- اكتبْ بِنـا أبداً بعْـد الْكِتـاب بِـهِ
فـإنَّما نحنُ لـلأسيـافِ كـالخَـدَم
- مَن اقتَضى بِسِوى الهِنْدي حاجَتَهُ
أجابَ كُلّ سُؤالٍ عَنْ هـل بِلَمِ

ـ ولم تـزلْ قلَّةُ الإنصـافِ قـاطِعـةً
بينَ الرِّجالِ وإنْ كانوا ذوي رَحِمِ
ـ قَدْ كنتُ أشفقُ من دمعي على بصري
فـاليومَ كـلُّ عزيـز بعـدكُمْ هـانـا
ـ مـا كلُّ مـا يتمنّى المرءُ يُـدْرِكُـهُ
تَجْرِي الرِّياحُ بما لاَ تَشْتَهِي السُّفُن
ـ عـدُوُّكَ مَـذْمـومٌ بكُـلِّ لسـانِ
وَلَـوْ كانَ مِنْ أَعْدَائِـكَ الْقَمـرانِ
ـ كَـأَنَّ رِقابَ النَّـاس قـالت لسيفـه
رَفـيقُـكَ قَـيْسـي وَأَنْـتَ يـمـان
ـ وإذا لَمْ يكُنْ مِن الْـمـوتِ بُـدٌّ
فَمِنَ العجـزِ أن تكـونَ جَبـانـا
ـ وألْقى الشَّـرْقُ منْهـا في ثيـابي
دنـانيـراً تَـفِـرُّ مِـنَ الـبَـنـانِ
ـ حُشاشة نفسٍ ودّعَتْ يَـوْمَ وَدّعوا
فلَمْ أدْرِ أيّ الـظاعنـين أشـيّـعُ
ـ وعـذلتُ أَهْـل العِشْق حتّى ذقتُـهُ
فَعَجِبْتُ كيفَ يموتُ مَن لا يعْشَقُ
ـ وتكـادُ الـظّبـا لِمـا عَـوّدوهـا
تَنْتـضي نَـفْسَـهـا إلى الأعـنـاقِ
ـ أرَقٌ عـلى أرَقٍ ومِـثْـلِي يـأرَق
وَجَـوىً يـزيـدُ وَعَبْـرةٌ تَتَـرَقْـرَقُ
ـ أتـراهـا لِـكَـثْـرةِ الـعُـشّـاقِ
تحسب الدمع خلقـةً في المآقي

- ومـعــالٍ إذا دعــاهــا ســواهـم

لــزمــتــهُ جــنــايــةُ الــسّــرّاق

- والغِنـى في يــدِ الـلّئيـم قَبيــحٌ

قَـدْرَ قُبْحِ الكـريمِ في الإمـلاق

- لم تـزلْ تسمع المــديـح ولكن

صُهــال الجيــادِ غيـــر النهـــاق

- فيـا أيها المـطلوبُ حاوره تمتنـعْ

ويـا أيُّها المحـرومُ يمّمـه تُـرْزقِ

- وما الحسنُ في وجْه الْفَتى شرفاً له

إذا لم يكُنْ في فعلِهِ والخــلائق

- لَوْلا مُفارقـةُ الأحبابِ مـا وجدت

لَهـا المنـايـا إلى أروَاحنـا سُبـلا

- ومـــن يــكُ ذا فمٍ مـرٍّ مـــريض

يجـد مـرّاً بــه العـذب الــزّلالا

- آلــة الـعـيش صـحــة وشبـــابٌ

فــإذا ولّـيـــا عـن الـمــرء ولّـى

- ذي المعــالي فليعلون من تعــالى

هــكــذا هــكــذا وإلاّ فــلا لا

- والعِيــان الجلي يـحــدث للظَن

زوالاً ولـــلمـــراد انــتــقــالا

- وإذا مــا خــلا الجبــانُ بـأرضٍ

طلب الــطّعن وحــده والـنــزالا

- إذا كنتَ تـرضى أن تعيشَ بذلّـةٍ

فَـلا تَستعـدّنّ الحُسـامَ الْيمـانيــا

ـ ولا تستـطيلنّ الـرِّمـاحَ لغـارةٍ
ولا تستجيـدنّ العتـاق المـذاكيـا
ـ أقِـلّ اشتيـاقـاً أيهـا القلْبُ رُبَّمـا
رايتكَ تُصفي الودّ من ليسَ جازيا
ـ خلقْتُ ألوفاً لو رجعتُ إلى الصّبا
لفارقتُ شيبي موجَعَ القلْبِ باكيا
ـ وما كنتُ ممّن أدرك الملْك بالمُنى
ولكن بـأيـامٍ أشبنَ النـواصيـا
ـ ومـن جـهـلتْ نـفـسُـه قـدرَه
رَأى غـيـرُه منْـهُ مـا لا يَـرَى



ـ 4 ـ

زيادات(*)

وقال في كافور ولم يرو ابن العريف هذه الأبيات:

أكـافـورُ قـبّـحـتَ مِـنْ خـادِمٍ
ولاقـتـكَ مُـسْـرعـةً جـائـحَـة
تـشبَّـهْتَ بـاسْـمِـكَ فـي بَـرْدِهِ
وخـالفْـتَ في اللونِ والـرائحَـةْ
إلـى كمْ تَـعيشُ عَـرَاكَ الـرَّدَى
وقـامَـتْ عليـكَ بِـهِ نـائـحَـةْ

وقال وليست في كتاب ابن قادم ولا أثبتت في أصل النسخة وهي ممّا قال في صِباه:

رأيـتُ المُـقـامَ على الاقـتصـادِ
قـنـوعـاً بـه ذلَّـةً في الْـعبـادِ
وعـجـز بـذي هِمّـةٍ أنْ يـضِيـ
ـقَ بهِ عيشُهُ وُسْـع هذي البِلَادِ
ومـا عـزبَ الـرِّزقُ عنْ رائـدٍ
وَلا سـيـمـا حَـسَـنُ الارْتـيـادِ

(*) نثبت هنا مختارات من الشعر المنسوب إلى المتنبي في هذه النسخة ولا يوجد في الدواوين المطبوعة.

إذا ما الأديبُ ارْتَضَى بالخمو
لِ فما الحظّ في الأدب الْمُسْتَفادِ
وفي الاضْطِراب وفي الاغتراب
منال المُنى وبُلوغ الْمُرادِ
وشرُّ الضَّراغِمِ ضرْغامةٌ
طوٍ شِبلُهُ وهْو في الغَيْلِ هاد
وإنْ صارِمٌ قرّ في غِمْدِهِ
حَوَى غَيْرُه الخَصْلَ يومَ الجِلادِ
وَلَوْ يسْتوي بالنّهوضِ القُعو
دُ لما ذكر اللّهُ فَضْلَ الجهادِ
إذا النَّارُ فارقها زنْدُها
ففسحتها في فراق الزنادِ
فدَعْ موطناً واغد مسترزقاً
كذا الرِّزْق غادٍ إلى كلِّ غاد
ولا يفْنِ عُمْرَكَ خوف الفرا
قِ لسُمْرٍ رقاقٍ وبيضٍ خراد
يطلْنَ البكا عند شحْط النَّوَى
ويأْسَيْنَ كلّ الأسى للبعادِ
فكمْ ترْحَةٍ منْ أسى فُرقةٍ
تعودُ سُروراً بِحُسْنِ الْمَعاد
إلَى كمْ تجمّلُ حرِّيّة
وَتَصْبِرُ والصّبْر صَعْب القياد
على نعمةٍ قوتُها خيرُها
وقوتُ المعيشة سقم الفُؤاد

بــلا حــاســدٍ وبــلا حــامــدٍ
قـليلة خيــرٍ كـمــاءِ الــثَّمــاد
فــلا ضُـرَّ منــهُ يخــاف العــدو
ولا نفــع يـرجــوه أهـل الــوداد
جُب الأَرْضَ شَـرْقاً وجُبْ غَـرْبَها
إلَــى كــل فــجٍّ عَـمــيـقٍ ووادِ
عسى أن تنــالَ الغِنى أو تــمــو
ت وعـذرك في ذاك للنَّاس بـاد
فــإن يكن الفقــر حـتمــاً عـليـ
ـك فكـابده في غيـر نـادك نـاد
ولــلمــوت أهــونُ مـن أن تــرا
ك بعين الخصاصة عين الأعادي

وقال يمدح حمزة بن الحسن الطائي وليست ممَّـا ثبت في أصل الديوان:

أتــظعنُ يــا قلْب فـيمـن ظَعَـن
خـليســاً فــأنــدبُ نـفســي إذَنْ
ولم لا أهــابُ وحـرْبُ الـبسـوس
بـين جُـفــونـي وبـيـن الــوسَـنْ
وَهَــلْ أَنــا بـعــدَكُـمــا عــائشٌ
وقــد بنْتَ عنّي وبــان الـسَّكَـنْ
فـمــا للفــراق ومــا لـلجمـيـع
ومــا لــلرِّيــاحِ ومــا لـــلدِّمَــنْ

فدى ذلك الوجه بدر الدجى
وذاك التثنّي تثني الغصن
كأن لم يكن بعدما كان لي
كما كانَ لي بعد أن لم يكن
ولم يسقني الراح ممزوجة
بماء اللثا لا بماء المزن
لها لون خديه في كأسه
وريحك يا حمزة بن الحسن
ألم يكفك الشرف اليعربي
وأنت غريبة أهل الزمن
كأن المحاسن غارت عليك
فظلّت لديك تسوق الفتن
ولم يَرَك النَّاسُ إلاّ غنوا
برؤياك عن قول هذا ابن مَنْ
ولو قصد الطّفل من طيءٍ
لشارك قصاده في اللبَن
فما البحر في البر إلا نداك
وما الناس في الناس إلاّ اليمَنْ

وقال وليست في كتاب ابن قادم ولا ثبتت في النسخ المتداولة:

مُسْتهامٌ ليسَ يدْري حينَ أن
أحمام الأيكِ غنّى أم تَرِن
ساقه من حلب نارحةً
رشأ أغيد مجدول البدن

وإذا عنـــدك لـم أبـغ الـغنـى
فتفكّــر ثم قــل لـي عنـد من
حيـن لا أبـت بـه من مــلكٍ
كلّمــا سيـل نــدىً قــال حسن
لــك فـيـنـا مـنـن مـشكـورةٌ
عـظُمـتْ مـنكَ عَلَى كل المِنَـنْ
أنتَ أحييت الندى بعد التــوى
فــأقمت الجــود من قعــر جنن

وكتب إلى أبي العباس أحمد بنَ كيغلغ من السجن وليست مما ثبت في أصل:

لـعــلَّ نهْيَ الفـؤاد عن قـلقــه
يبــرِّد من وجــده ومن حــرقــه
سـهــد عيـن الأسيـر ظــالـمُــه
ونــامَ عــن لـيــله وعــن أرقــه
شغلي عن الــربــع أن اســائلَه
وأن أطيــل البكــاء في خـلقــه
بـالسجن والقيـد والحـديـد ومــا
يصــل عنـد القيــام من حَلقه
مــع كــل لص إذا خـلوتُ بــه
حـدث عن جحـده وعن سـرقـه
لــو خـلقـت رجـله كـهــامــتـه
ظــل يبـاري البــازي في طلقه

بـدلـت سكـينـه وتـكـتـه
من خط كف الأديب في ورقـه
يـا أيها السيـد الهمـام أبـا الـ
ـعبـاس والمستعـاذ من حـنقـه
أعـني الأميـر الـذي لهـيبتـه
يخفق قلب الـوليـد في خـرقه
المُظـهـر العـدل فـي رعيتـه
والمعتـدي حلمـه على نـزقـه
نـظرت مـن طبـعـه إلى مـلك
تعصـر خَمْر الشـآم من خلقـه
لـو سفكـه كـان مثـل قـدرتـه
كـان دم العـالَمين فـي عنقـه
يـا من إذا استنصـر الأنـام بـه
مـات جميـع العصـاة من فـرقـه
في كـل يوم يسـري إلى عمـلٍ
في عسكرٍ لا يرى سِـوى حدقـه
تـشتـعـل الأرض مـن بـوارقـه
نـاراً وتنبـو السيـوف عن درقـه
قـد أثَّـر القيظ في محـاسـنـه
وفـاح ريـح العَبيـر من عَـرَقـه
لأنـك الـشمس لـم تـذر بـلداً
في الأَرض إلاَّ طلعت في أفقـه
الله يـا ذا الأمـيـر فـي رجـلٍ
لم يبق في جسمِـهِ سـوى رمقـه

كم ضـوء صبح رجـاك في غَده
وجنـح ليـل دعـاك في غسقـه
نـاداك مـن لـجـة لـتـنـقـذه
من بعـد ما لا يشـكُّ في غرقـه

وقال أبو الطيب مما لم يثبت له في الأصول المنتسخ منها في خياط وسيم:

أمـا تبصـر البـدر بـدر السمـاء
يـروح ويـغـدو إلـى سـوقـه
يـخـيط الـثـيـاب ومـن هـجـره
يـقـد جـلابـيـب مـعـشـوقـه
إذا مـزَّق الـثـوب مـقـراضـه
تـمـزَّق قـلبـي كـتـمـزيـقـه
وإن خـاط سلكـاً فـألـحـاظـه
تـخـيط الـفـؤاد بـتـحـريـقـه
وأطيب من ريق حـور الـجنـان
خـيـوط تـروين مـن ريـقـه

وكتب إلى ابن كيغلغ من السجن يستعطفه ولم تثبت:

عينٌ تقسَّمت الـهمـومُ كـراهـا
وجـوىً تعمّـدني وقلبٌ تـاهـا
وحشـاشة لم تكفهـا بلوى النّوى
والبيـن حتـى زيـد في بـلواهـا
من كـان منزلـه بحمص فمنـزلي
بجهنم الـحمـراء لا بـسـواهـا

في مطبق كتب البلى برجالـه
هـذي القبور وهـذه موتـاهـا
يـا ذا الأمير دعـاء عانٍ عينـه
رؤيـاك من قبل الممات مناهـا
يا ابن الألى حكم الإلّه بحكمه
ألا يـرى لهم الـورى أشبـاهـا
ومن احتقرت من السحاب ثقالها
لـمـا رأيت نـوالـه وحيـاهـا
أشكو إليك عظيم ما قد حَلَّ بي
ممن يخـاف ولا يخـاف الله
لـو ضمني والفـارقي بسـاطـه
كيمـا يقـوم بحجـة مـولاهـا
لم يكـذب القـرشي إلا بعـدما
كـذبت على الله اليهـود سفـاهـا
أقنى بـني العبـاسِ أي قبيلة
هَـزّامَـةٍ إلاَّ وأنْـتَ فـتـاهـا
وعليـكَ حُبِّـر في الأنـام ثنـاؤُهـا
وعلى عِـداكَ سيـوفُهـا وقنـاهـا
الـلَّه فيَ فلسـت أوَّل مُـهْـجَـةٍ
فـطن الأمير بـدائهـا فشفـاهـا
فـاستبقني فـأنـا النـذيـر لأمَّـةٍ
بعـدي تـطا سلميـة وتـراهـا

ومما ليس في كتاب ابن قادِم ولا رواها أكثر الرواة قصيدته في سيف الدولة :

أصــدوداً هــجــرتِــنــا أمْ دَلالا

حينَ أظهــرتِ جـفـوةً واعْتــلالاَ

أم مللتِ الوِصالَ فاعتضتِ هَجراً

ربّمــا أعقــبَ الــوِصــالُ مَــلالاَ

لا تُـحِلّـي دَمي فمــا جعـلَ اللّهُ

دمَ الــهــائم الـمَـشــوقِ حَــلالا

مــا لِهـذي العقيلة الـرُّؤْدِ لا

تَسْمَـح لي بالْـوصالِ إلاَّ عُـلالا

نكَسَتْني بصــدِّهـا بعْــدَمــا قَــدْ

كنتُ فـارقْتُ عنـدهـا الإبـــلالا

أحـسنُ الـغــانيــاتِ دَلّاً وأحْــلا

هُــنَّ فــي كُــلّ حــالــةٍ إدْلالا

شُبِّهتْ بــالْهِلال حُسْنــاً ونــوراً

وهْي في حُسْنِهـا تفـوقُ الهِـلالا

ولقد قيلَ قَدْ نأتْ عنـكَ فاطلُبْ

لَــكَ أُخْــرى تُحبهــا قلتَ لاَلا

طُــلّ دمعي إثـر الظّـعـائنِ لمَّـا

خــلَّفــونـي أســائــلُ الأطْــلالا

إنّــمــا كــانت الــدِّيــارُ ديــاري

يــومَ كــانــوا بــرَبْعهــا حُــلّالا

ألْـبَســوني الضَّـنى كـمــا ألبس

اللـهُ عـليًّــاً مَــهــابــةً وَجــلالا

لِلتُّقى سيمــةٌ علَيْـهِ ولِــلإيمــانِ

نــورٌ فــي وجْــهــه يــتــلَألا

مُـرْهَف الدَّولـةِ الـذي استلَّه اللَّهُ
فحــاطَ الْهُــدى وأرْدَى الضَّــلالا
والأَميرُ الْمُربي عَلَى الغيثِ سَحّاً
وانـسكــابــاً بـجــودِه وانْـهــلالا
مَلكٌ تُـظْهـرُ الملوكُ لــه الإِعْـظا
مَ طــوعــاً لــديــه والإجــلالا
فـاقَ أسْدَ الغيـاضِ باسـاً وإقـدا
ماً وحاكى زَهْـر الريـاضِ خلالا
خَيْــرُ مَنْ أَمّـه المُؤمِّــل يُــزْجي
نحــوه الشــدقميــة الشمــلالا
رَدّ عِــزّ الإِسلامِ غضّــاً عليــه
وكســا الشّــرْك سيّفُــه الإِذلالا
وحمى الثغـر بعدمـا ضـاع نقصـاً
وعــفــا قــلَّةً وذلّ اخــتــلالا
بــزّ تيجــانـهــا المـلوك وأردى
الصيــد قتـلاً وفكَّــكَ الأغــلالا
ليسَ يَخْشى الْـوجـى إذا ســارَ
لـلَّه مُعِــزّاً وَلاَ يـخــافُ الكَـلاَلا
وَإذا ما الرِّماحُ صارتْ جِمىً في
حـومـة المـوت والسُّيـوفُ ظِـلالا
أنْعَــلَ الخيــلَ بــالجمـاجِم فيهــا
وكَســاهــا مِن النَّجيــع جِــلالا
لا كَمَنْ أَصْبَحوا حيارى عَن الرّشْـ
ـدِ وأمْسَـوا عن الْهُـدَى ضُـلّالا

لــو تشكّى إليهمُ الدّينُ يــومــاً
ظمــأ الصّلْدِ ما سَقَــوه بــلالا
فَـهُـمُ بـيـنـنـا حـضـورٌ ولـكـنْ
قَـدْ عـدَدْنـا حُضـورهمْ إخـلالا
أيُّهـا السيّـد الـذي حـلّ في قلّة
أكـرومـةً تـفـوقُ الْـقـلالا
قدْ رجوْتُ الخِـلاَل منكَ اللّواتي
غـمَـرتْـني بـالـبـرّ مـاءً زُلالا
كنت أخشى الإقـلال حتى إذا
زرتــك انسيتُ عنــدك الإقــلالا
ولئن فقـت في مـديحك غيــلان
لـقــد فقـت في نــوالي بــلالا
فــابـق واسـلم وعش ودم واحظ
وانعم واسم وابذخ وصل وطل وتعالا

وقال في كافور وأنفذها من بغداد:

أفيقـا! خُمـارُ الهَمّ نَغّصني الخَمْـرا
وسُكْـري من الأيّام جَنّبني السُّكْـرا
يُسَــرُّ خَليلي بــالمُــدامــةِ والّــذي
بقَلْبي يــأبى أن أُســرّ كَمــا سُــرّا
لبسْتُ صُروف الدّهْـر أحْسَنَ مَلْبَس
فَعــرّقْنَني نــابــاً وفَـرّيـنَني ظُفْــرا
وفي كُـلّ لحظٍ لي ومسمَـع نقمَــةٍ
يُـلاحِـظْنَنِي شَـزراً ويُسْمِعْنَني هُجْـرا

سدكت بِصَرْفِ الدّهر طِفْلاً ويافِعاً
فَأفْنَيْتهُ عَزْماً وَلَمْ يُفْنِني صَبْرا
أُريدُ منَ الأيام مالا يُريدُهُ
سِوايَ ولا يَجْري بخاطِرِهِ فِكْرا
فأسألُها ما لا أنالُ قَضاءَهُ
وما أنا ممّن رام حاجَتَهُ يُسْرَا
وَلي كَبِدٌ من رَأْيِ همّتِها النّوَى
تُرَكّبُني مِنْ عَزْمِها ٱلْمَرْكَبَ ٱلْوَعْرَا
أخو هِمَمٍ رَحّالَةٍ لا تزال بي
نوىً تَقْطَعُ البَيْداءَ أو أقْطَعُ الْعُمْرَا
وَمَنْ كانَ عَزْمي بَيْنَ جَنْبَيْهِ حَثّهُ
وَصَيّرَ طولَ الأرض في عَيْنِهِ شبْرَا
صَحِبْتُ مُلوكَ الأرْض مُغْتَبِطاً بِهِمْ
وفارقْتُهُمْ ملآنَ من شَنَفٍ صَدْرَا
ولما رأيتُ العَبْدَ لِلْحُرِّ مالِكاً
أَبَيْتُ إباءَ الحُرِّ مسترزِقاً حُرّا
ومِصْرُ لَعمْري أهْلُ كُلِّ عَجيبَةٍ
ولا مثل ذا المخصيِ أُعجوبَة نكْرا
يُعَدُّ إذا عُدَّ العجائِبُ أوّلاً
كما يُبتدا في الْعَدّ بالإصبع الصّغْرى
فيا هرقل الدنيا ويا عبرة الوَرَى
ويا أيها المخصي من أمك البظرا
نُوَيْبِيّةٌ لم تَدْر أنّ بُنَيّها النُّوَيْبى
دون اللّهِ يُعْبَدُ في مِصْرا

ويستخـدم البيضَ الكواعبَ كـالدُّمَى
وردّ العُبَـديّ كَـالْغـطارفَـة الْغُـرّا
قـضـاءٌ مـن الـلّهِ الـعـلي أرادَهُ
ألاَ إنّـمـا كـانَـتْ إرادتُـهُ شَـرّا
ولِـلّهِ آيـاتٌ وَلَـسْـنَ كـهـذِهِ
أظُنُّـكَ يـا كـافُـور آيتَـهُ الكُبْرَى
لَعَمْـرُكَ مـا دَهْـرٌ بِـهِ أنْتَ طيّبٌ
أيحسبني ذا الـدّهْـر أحسبـه دَهْـرا
وأكفُـرُ يـا كـافـورُ حين تلوحُ لي
ففارقتُ مذ فـارقتُكَ الشّـرك والكُفْرا
عَثَـرْت بِسَيْري نحـو مِصْرٍ فَـلا لَعـاً
بهـا وَلَعاً في السّيْـرِ عَنْها وَلاَ عَثْـرا
وفارقتُ خيْرَ الأرْض قـاصد شـرِّهم
وأكْـرَمَـهُـمْ طُـرّاً لأنْـذلـهـم طُـرّا
فعـاقبني الخنـزيـرُ بـالغـدرِ جـازيـاً
لأنّ رَحيلي كـان عَنْ حَلَبٍ غـدرا
ومـا كنت إلاّ فائـل الـرّأي لَمْ أُعَنْ
بِحَزْمٍ ولا اسْتَصْحَبْتُ في وِجْهتي حِجْرا
وَقـدّرني الْخنـزيـرُ أنّي مـدَحْتُـهُ
ولَوْ عَلِموا قَدْ كانَ يُهْجي بِمـا يُطْرا
جسـرتُ على دهيـاء مصـر فَفُتّهـا
ولم يكن الـدهيـاءُ إلاّ مَن اسْتَجْـرا
سَـأجْلُبهـا أشبـاهَ مـا حمَلَتْـهُ مِنْ
أسـنتنـا جُـرْداً مُقَـسْـطلةً غُـبْـرا

وأُطْلِعُ بيضـاً كـالشّمـوس مُـظِلّةً
إذا طَلَعَتْ بيَضـاً وإنْ غَرَبَتْ حُمْـرا
فـإن بلغَتْ نَفْسي المُنَى فبعَـزْمِهـا
وإلّا فقَدْ أبلغت في حِرْصِها عُذْرا(*)

(*) سواء أكانت هذه القصيدة من مهمل شعر المتنبّي أم من منحوله فإنها في شكلها ومضمونها تنحو منحى شعر المتنبّي.

صورة الصفحة الأولى في مقدمة القشتالي نسخة الخزانة العامة بالرباط.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

هذا انشاء الاديب الشهير أبي جمعة المراكشي المعروف بالمغوسي رحمه الله

صورة الصفحة الأولى من مقدمة الترتيب ويظهر فيها نسبته إلى الماغوسي نسخة الخزانة العامة بتطوان.

صورة صفحة من نسخة الخزانة العامة بالرباط وتظهر فيها الطرر مع توقيف للمنصور.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهرس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصاحبها: الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود
تلفون : 340131 - 340132 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113 - 5787 - Beyrouth - Liban

رقم 78 / 3000 / 2 / 86

التنضيد الإلكتروني : كومبيوتايب



الطباعة : مؤسسة نزيه كركي



